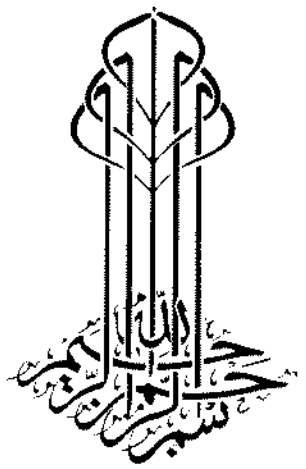

بداية الوصول
بلب
صحيح الأمهات والأصول

جمع
عبد الله عبد القادر التليدي
عفا الله تعالى عنه

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾

المجلد الرابع
قسم التفسير
سورة الحجر - سورة الفلق

دار ابن حزم

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

ISBN 9953-81-269-1

ISBN 9953-81-269-1

9 789953 812694

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: 14/6366

هاتف وفاكس: 701974 - 300227 (009611)

بريد إلكتروني: ibnhazim@cyberia.net.lb

سورة الحجر

بسم الله الرحمٰن الرحيم، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه. آيات السورة تسع وتسعون.

قوله تعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾ [٢]:

{٥١٦} - عن جابر رضي الله تعالى عنه قال - وقد ذكر الخوارج -، قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إن ناساً من أُمتي يُعذَّبون بذنوبهم فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا، ثم يُعَيِّرُهم أهلُ الشرك فيقولون لهم: ما نَرى ما كنتم تُخَالِفُونَنَا فيه من تصديقكم وإيمانكم نفعكم لما يُريد الله تعالى أن يُرِي أهل الشرك من الحسرة، فما يبقى موحد إلا أخرجه الله تعالى**»، ثم تلا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم هذه الآية: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾.

رواه النسائي في الكبرى (٣٧٣/٦)، والطبراني في الأوسط (٥١٤٢) بسند حسن وهو صحيح لشواهده عن أبي موسى عند ابن أبي عاصم في السنة (٨٤٣)، وابن جرير (٢/١٤)، والحاكم (٢٤٢/٢) وصححه بموافقة الذهبي، وعن أنس رواه ابن جرير (٣/١٤)، وابن أبي عاصم (٨٤٤)، وعن ابن عباس رواه ابن جرير (٣/١٤، ٥)، والحاكم وصححه...

والحديث بشواهده مبين للآية الكريمة متى يتمنى الكفار لو كانوا

مسلمين، وأن ذلك سيكون بعد خروج عصاة المسلمين من النار.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [١٦ ـ ١٨]:

{٥١٧} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم جالساً في نَفَرٍ من أصحابه فرُمِي بنجم فاستنار، فقال صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**ما كنتم تقولون إذا كان مثلُ هذا في الجاهلية**»؟ قالوا: كنّا نقول: يولد عظيم أو يموت عظيم... الحديث، ويأتي في سورة سبأ إن شاء الله تعالى.

رواه أحمد (٢١٨/١)، ومسلم في السلام باب تحريم الكهانة (٢٢٥/١٤، ٢٢٦).

لقد خلق الله عزّ وجلّ بقدرته في هذه السماء الدنيا بروجاً ومنازل تسير فيها الأفلاك والكواكب السيّارة وزيّنها بنجوم ليسرّ الناظر إليها، وتولّى سبحانه حفظها من كل متمرّد لعين من الشياطين إلا من اختلس شيئاً من أخبار السماء التي تتكلّم بها الملائكة الكرام، فيضرب بشهاب ثاقب من النار فيحرقه.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [٢٤]:

{٥١٨} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانت امرأةٌ تُصلّي خلفَ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حَسناءَ من أجمَلِ الناس، فكان ناس يصلّون في آخر صفوف الرجل فينظرون إليها، فكان أحدهم ينظر إليها من تحتِ إبطه إذا ركع، وكان أحدُهم يتقدم إلى الصف الأول حتى لا يراها، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾ الآية.

رواه أحمد (٣٠٥/١)، والترمذي (٢٩٢٠)، والنسائي في الكبرى (٣٧٤/٦) وفي المجتبى، وابن ماجه (١٠٤٦)، وابن خزيمة (١٦٩٦)، وابن حبان (١٧٤٩) بالموارد، والحاكم (٣٥٣/٢)، والبيهقي في الكبرى (٩٨/٣) بسند صحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه أيضاً جمع من المحدثين، هذا هو سبب نزول الآية الكريمة، ومع ذلك فلا تقصر على ما نزلت فيه بل تحمل على عمومها، ولذلك قال ابن جرير (٢٦/١٤)، وتبعه الألوسي وغيره: وجائز أن تكون نزلت في شأن المستقدمين في الصف لشأن النساء والمستأخرين فيه لذلك، ثم يكون الله عزّ وجلّ عمّ بالمعنى المراد منه جميع الخلق، فقال جلّ ثناؤه لهم: قد علمنا ما مضى من الخلق وأحصيناهم وما كانوا يعملون ومن هو حيّ منكم ومن هو حادث بعدكم أيها الناس... قال: فيكون ذلك تهديداً ووعيداً للمستأخرين في الصفوف لشأن النساء، ولكل من تعدّى حدّ الله وعمل بغير ما أذن له به، ووعد لمن تقدم في الصفوف لسبب النساء وسارع إلى محبّة الله ورضوانه في أفعاله كلّها.

قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [٧٢]:

{٥١٩} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ما خلق الله تعالى وما ذرأ وما برأ نَفْساً أكرَم عليه من محمد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره.

رواه ابن جرير (٤٤/١٤) من طريقين أحدهما سنده صحيح، ورواه أبو يعلى (٢٧٥٤)، وأبو نعيم (١٣/١٢)، والبيهقي كلاهما في الدلائل وجوّده الهيثمي في المجمع (٤٦/٧).

نقل القاضي عياض اتفاق المفسرين على أن هذا قسم بمدة حياة النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وكذا نقل على ذلك الإجماع كل من القاضي ابن العربي والقرطبي... ومعنى الآية: وبقائك يا محمد أو وعيشك وحياتك إن قومك من قريش لفي شركهم وجهلهم يعمهون أي: يتردّدون تحيّراً. والعَمَه ـ بفتحتين ـ للقلب مثل العمى للبصر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [٧٥]:

{٥٢٠} ـ عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«اتّقوا فِراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله»**، ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

رواه البخاري في التاريخ **(٣٥٤/٧)**، والترمذي **(٢٩٢٤)** بتهذيبي، وابن جرير **(٤٦/١٤)**، وأبو نعيم في الحلية **(٢٨١/١٠، ٢٨٢)**، والخطيب في التاريخ **(٩١/٣)** وج**(٢٤٢/٧)** وغيرهم، وهو وإن كان فيه عطية العوفي وقد ضعّفوه، فإن الترمذي حسن له عدّة أحاديث، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه فمثله لا يترك، وللحديث شاهد مثله أو أمثل منه رواه أبو نعيم **(١١٨/٦)**، والخطيب **(٩٩/٥)**، وابن عبدالبرّ في العلم **(١٩٦/١)** من حديث أبي أُمامة وفيه عبدالله بن صالح كاتب الليث مختلف فيه، فالحديث لذلك حسن، وقد حسّنه الهيثمي في المجمع **(٢٦٨/١٠)**، والسيوطي في اللآلئ، وقال في موضع آخر: حسن صحيح.

قوله: فراسة هي بكسر الفاء وهي نوعان: الأول: ما يُوقعُه الله عزّ وجلّ في قلوب بعض أوليائه المتقين من العلوم والمعارف وبعض الغيوب، والثاني: ما يُعْرفُ بالخَلْق والأخْلاق والتجربة، والمراد به هنا الأول لقوله: «فإنه ينظر بنور الله تعالى»، والمتوسّمون: هم الذين يتوسّمون في الناس ويتأمّلون بعين البصر والبصيرة.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [٨٧]:

{٥٢١} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«الحمد لله أم القرآن، وأمّ الكتاب، والسبع المثاني»**.

رواه البخاري **(٤٥٣/٩)**، والترمذي **(٢٩٢٢)** كلاهما في التفسير، وأبو داود وغيرهم.

{٥٢٢} ـ وعن أُبَيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«ما أنزل الله في التورة ولا الإنجيل مثل أمّ القرآن وهي السبع المثاني، وهي مقسومةٌ بيني وبين عبدي ولِعَبْدي ما سأل»**.

رواه الترمذي **(٢٩٢٣)**، وابن حبان**(١٧١٤)**، والحاكم **(٢٥٨/٢)** وسنده صحيح على شرط مسلم، ولذا صححه الحاكم كذلك ووافقه الذهبي، وتقدم حديث أبي سعيد بن المُعَلّى في الأنفال بنحو هذا. والحديثان يدلاّن على أن المراد بالسبع المثاني في الآية هي سورة الفاتحة، وسمّيت بذلك لأنها تتكرّر وتثنى في الصلاة.

وقد جاء عن ابن عباس أن السبع المثاني هن السبع الطوال من البقرة إلى الأنفال، رواه النسائي في الكبرى **(٣٧٥/٦)**، والحاكم **(٣٥٥/٢)** بسند صحيح، وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي، وانظر كلاماً لابن كثير هٰهنا في تفسيره للآية.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾ [٨٩]:

{٥٢٣} ـ عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«إنما مَثَلِي ومَثَلُ ما بَعَثَني الله كمثلِ رجُلٍ أتى قوماً فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النَّذِير العُرْيان فالنَّجاءَ النجاء فأطاعه طائفةٌ من قومه، فأدْلجُوا فانطلقوا على مَهلِهِمْ فنجوا وكذَّبَت طائفةٌ منهم، فأصبحوا مكانَهم فصبَّحَهُم الجَيْشُ فأهلكهم واجْتاحَهُم، فذلك مثلُ من أطاعني فاتَّبع ما جئت به، ومن عصاني وكذّب ما جئت به من الحق»**.

رواه البخاري في الرقاق وفي الاعتصام **(١٦/١٧)**، ومسلم في الفضائل **(٤٨/١٥، ٤٩)** وغيرهما.

الحديث قد تقدم بمعناه في الاعتصام أول الكتاب.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ [٩١]:

{٥٢٤} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ قال: هم أهل الكتاب جَزَّؤُوهُ أجزاءً فآمنوا بِبَعضِهِ وكفروا ببعضه.

رواه البخاري (٤٥٥/٩)، وابن جرير (٦١/١٤، ٦٢، ٦٤) وغيرهما.

على ما قال ابن عباس ذهب جمع من المفسّرين، وقال آخرون: المراد بهؤلاء كفار قريش تقسّمت أقوالهم وجعلوها في القرآن عضين، أي: فرقاً، قالوا فيه: سِحْرٌ، شِعْرٌ، كهانةٌ، أساطير الأوّلين، واختار ابن جرير العموم.

قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [٩٩]:

{٥٢٥} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**من خير معاش الناس لهم رجلٌ مُمْسِك بعِنان فرسه في سبيل الله يَطِيرُ على مَتْنِهِ كلما سمع هَيْعة أو فَزعة طار عليه يَبْتَغِي القتل والموتَ مظانَّه، أو رجل في غُنَيْمَة في رأس شَعَفَة من هذه الشَعف أو بَطْن واد من هذه الأودية، يُقيمُ الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبدُ ربّه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلاّ في خير**».

رواه مسلم في الإمارة في باب فضل الجهاد والرباط (٣٤/١٣، ٣٥)، والنسائي في الكبرى (٣٧٥/٦)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٧).

عنان ـ بكسر العين ـ اللّجام، وقوله: على متنه، أي: ظهره، وقوله: هيعة أي: صوت العدو، وقوله: شعفة ـ بفتحات ـ: رأس الجبل، وفي رواية: شعب ـ بكسر الشين وسكون العين وآخره باء ـ بطن الوادي. والحديث يفسّر اليقين في الآية بأنه الموت لأنه متيقّن مجيئه، ومنه قوله: «حتى أتانا اليقين»، وقوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عند موت عثمان بن مظعون: «**أما هو فقد جاءه اليقين**»، وبه فسّر الآية مجاهد وقتادة وسالم بن أبي الجعد... فقوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ

ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ أي: دم على عبادة ربّك حتى يأتيك الموت المتيقّن. وفي الحديث فضل الجهاد في سبيل الله بقصد الاستشهاد كما فيه فضل اعتزال الناس في الجبال ونحوها من الأماكن الخالية للتفرّغ للعبادة، وفراراً من الفتن والشرور التي يعيش فيها الناس... من غير أن يكون مؤذياً لأحدٍ حتى يأتيه الموتُ. وبهذا تمّت سورة الحجر والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة النحل

بسم الله الرحمٰن الرحيم، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه. السورة الكريمة من أهم السور المكية التي تحدّثت عن دلائل التوحيد في السمٰوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والبحار والجبال والسهول والسحاب والمطر والنبات والفلك الماخرة في المحيطات والأنعام والحيوانات وما إلى ذلك مما ذكر فيها، وآياتها ثمان وعشرون ومائة.

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ﴾ [٣٠]:

{٥٢٦} ـ عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«إن الله لا يَظْلمُ مُؤمناً حسنةً، يُعْطَى بها في الدنيا ويُجْزَى بها في الآخرة. وأما الكافر، فيُطْعَمُ بحسنات ما عَمِل بها لله في الدنيا حتى إذا أفْضَى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يُجْزَى بها»**، وفي رواية: **«إن الكافر إذا عَمِل حسنةً أُطْعِمَ بها طُعْمَةً من الدنيا. وأما المؤمن، فإن الله يَدَّخِرُ له حسناتِه في الآخرة ويُعْقِبُه رزقاً في الدنيا على طاعته»**.

رواه أحمد (١٢٣/٣، ١٢٥، ٢٨٣)، ومسلم في صفة القيامة (١٤٩/١٧، ١٥٠).

في الحديث وعد من الله عزّ وجلّ للمؤمن كالآية بأنه تعالى يجازيه

على حسناته في الدنيا والآخرة، فيعيش هنا في حياة طيّبة من انشراح وطمأنينة ورَغَد العيش، فإذا أفضى للآخرة كان له ما لا عينٌ رأت...

أما الكافر، فيجازى على ما عمل من خير في هذه الحياة، أما الآخرة فلا حظّ له فيها إطلاقاً.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [٦٨ ـ ٦٩]:

{٥٢٧} ـ عن أبي رَزِين العُقَيلي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«مثل المؤمن مثل النَّخلة، لا تأكُلُ إلا طَيّباً، ولا تَضَعُ إلا طيباً»**.

رواه النسائي في الكبرى (٣٧٦/٦)، وابن حبان (٣٠) بالموارد، والبخاري في التاريخ الكبير (١/٤، ٢٤٨)، والطبراني في الكبير (٤٥٩، ٤٦٠)، وهو حديث صحيح فله شاهد صحيح عن ابن عمرو رواه أحمد (١٩٩/٢)، والحاكم (٧٥/١، ٧٦) و(٥١٣/٤) وصححه ووافقه الذهبي وعزاه في المجمع (٢٩٥/١٠) لأحمد وقال: رجاله رجال الصحيح غير أبي سبرة، وقد وثّقه ابن حبان وله طريق آخر عند البزار، قال في المجمع (٢٢٧/٧): فيه عبدالرحمٰن بن مغراء وثّقه أبو زرعة وجماعة، وضعّفه ابن المديني وبقية رجاله رجال الصحيح.

المؤمن الكامل من شأنه أن يحتاط في كَسْبِه فلا يأكُل إلا الحلالَ الطيّب، ولا يخرجُ من فمه إلا القولُ الحسنُ، فهو كالنحلة تلك الحشرةُ الضعيفة المباركَة التي لا تَرْعى إلا من الأشجار الطيبة، وتَتَنَزَّه عن الأقذار ومواضع النَّجاسات والعفونات ولا يخرجُ منها إلا العسلُ والشرابُ الطيبُ الحلوُ النافع الشافي.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: إن أخي اسْتُطْلِقَ بَطنُه، فقال: «**اسْقِهِ عسلاً**»، فذهب فسقاه عسلاً ثم جاء فقال: يا رسول الله سقيتُه عسلاً فما زاده إلا استطلاقاً، قال: «**اذهب فاسقِهِ عسلاً**»، فذهب فسقاه عسلاً ثم جاء فقال: يا رسول الله ما زاده إلا استطلاقاً، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**صدق الله، وكذبَ بطنُ أخيك، اذهب فاسقه عسلاً**»، فذهب فسقاه عسلاً فبرىء.

رواه البخاري (٢٤٧/١٢)، ومسلم (٢٠٢/١٤، ٢٠٣) كلاهما في الطب. ويأتي فيه أيضاً.

الحديث يؤكد الآية الكريمة: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾، فالعسل شفاء للأمراض المادية بنصّ القرآن والسنّة النبوية الصحيحة، غير أن الأطباء قالوا: حسب فهمهم وتجربتهم إنه شفاء للأمراض الناشئة عن البرودة؛ لأنه حار والشيء يداوى بضده، قالوا: والله قال: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ منكراً، ولو قال: فيه الشفاء معرّفاً لكان شفاء لكل الأمراض. أما الرجل الذي سقي العسل وزاده استطلاقاً، فكان عنده فضلات فلما سقي تحلّلت فأسرعت في الاندفاع، فازداد إسهالاً ثم زاده، فازداد التحليل فلما اندفعت الفضلات الفاسدة التي كانت في أمعائه استمسك بطنه وصَلُح مزاجه واندفعت الأسقام والآلام ببركة إشارته صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وعلى كلٍّ فالأعمال بالنيّات، فمن شربه معتقداً الشفاء به تصديقاً لعموم كتاب الله شفاه الله بلا ريب، وهو القادر على كل شيء، وبيده الأمر كلّه.

قوله تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ [٧٠]:

{٥٢٨} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يدعو: «**أعوذ بك من البخل والكَسَل وأرْذَلِ العُمُر وعذابِ القَبر وفتنةِ المحيا والممات**».

رواه البخاري في التفسير (٤٥٩/٩)، وفي الدعوات (٤٣٠/١٣، ٤٣١)، وأبو داود (١٥٤٠) وغيرهما، ونحوه عن سعد بن أبي وقاص

عند البخاري والترمذي والنسائي وفي الباب عن جماعة.

أرذل العمر أي: العمر الأَرْذَل وهو أيام الضعف والخَرَف نعوذ بالله تعالى منه، فالإنسان قد يقطع أشواطاً من حياته، ثم قد يموت طفلاً، أو شابّاً، أو كهلاً، أو شيخاً، وقد تطول به الحياة فيعمر حتى يضعف بالمرض ويصبح في عمر رديء، قد ذهب منه كل شيء، فلذا كان النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يستعيذ بالله من هذا العمر. اللّهمّ إنا نعوذ بك من الهرم والخرف والعمر الأرذل اقتداءً بنبيّك صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، ونسألك كما سألك نبيّك عليه الصلاة والسلام «**أن تمتّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا وأن تجعله الوارث لنا**».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [٩٠]:

{٥٢٩} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: بينما رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بفناءِ بيته جالسٌ إذ مَرَّ به عثمان بن مظعون، فكشر إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال له رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**ألا تَجلِسُ**»؟ قال: بلى، قال: فجلس رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم مُسْتَقْبِلَه بينما هو يحدثه إذ شخصَ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ببصره إلى السماء، فنظر ساعة إلى السماء فأخذ يضع بصره حتى وضع بصره عن يمينه في الأرض، فأخذ يُنْغِضُ رأسَه كأنه يستفقه ما يقال له: وابنُ مظعون ينظر، فلمّا قضى حاجته واستفقه ما يقال له شخص بصر رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كما شخص أول مرة، فأتْبَعَه رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بصره حتى تَوَارَى في السماء، فأقبل على عثمان بجلسته الأُولى، فقال له: يا محمد فِيمَا كنتُ أُجالسك وآتيك ما رأيتك تفعل كفِعْلِك الغداةَ، قال: «**وما فعلت**»؟ قال: رأيتك شخصت ببصرك إلى السماء، ثم وضعته

حيث وضعته عن يمينك فتحرفت إليه وتركتني فأخذت تنغض رأسك كأنك تستفقه شيئاً يقال لك، قال: «**وفطِنتَ لذلك**»؟ قال عثمان: نعم، قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أتاني رسولُ ربّي عليه السلام آنفاً وأنتَ جالسٌ**»، قال رسول الله؟ قال: «**نعم**»، قال: **فما قال لك؟** قال: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾» الآية.

رواه أحمد رقم (٢٩٢٢)، والطبراني في الكبير (٨٣٢٢) وسنده حسن وشهر مختلف فيه، والحديث حسّنه ابن كثير في التفسير وجوّده فقال: إسناده جيد متّصل حسن قد بيّن فيه أسماء المتصل.

{٥٣٠} ـ وعن عثمان بن أبي العاص قال: كنت عند رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إذ شخص بصره فقال: «**أتاني جبريل عليه السلام فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾**» الآية.

رواه أحمد (٢١٨/٤) وحسنه الهيثمي في المجمع (٤٩/٧)، وقال ابن كثير: إسناده لا بأس به.

فناء البيت ـ بكسر الفاء ـ ما امتدّ من جوانبه، كَشَرَ إِلَيْهِ أي: فتح فاه ضاحكاً حتى بدت أسنانه. شخص بصره أي: جعل ينظر بعينيه لا يَطْرُفُ، يُنْغِضُ ـ بضم الياء وسكون النون ثم غين معجمة مكسورة آخره ضاد ـ أي: يحرّك رأسه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ أي: يحركونها... والحديث الأول مبين لسبب نزول الآية، وأن ذلك بمكة لأن ابن مظعون مات بالمدينة عقب هجرته إليها، وكون ابن عباس لم يحضر القصة لا يدلّ على انقطاع السند لأن مرسل الصحابي حجّة كما هو معروف عند الجمهور.

والحديث الثاني يدلّ على أن تركيب السور القرآنية ونسق الآيات توقيفي، وأن القرآن الموجود بين المسلمين هكذا أنزل من اللوح المحفوظ، وقد قدمنا هذا أوائل التفسير، وهذه الآية الكريمة هي أجمع آية في القرآن: حلال وحرام وأمر ونهي، كما قال ابن مسعود رواه الطبراني في الكبير (٨٦٦١) بسند حسن.

ففي الآية الكريمة الأمر بمكارم الأخلاق، ومنها العدل بين الناس والإحسان إلى جميع الخلق ومواساة الأقارب بدءاً من الوالدين... والنهي عن المنكر وكل ما تناهى قبحه كالشرك والقتل والزنا واللّواط والسحر والربا والظلم والاعتداء على الغير وكل ما تنكره الشريعة والفطرة السليمة.

قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ إلخ [١٠٦]:

{٥٣١} ـ عن محمد بن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنهم قال: أخذ المشركون عمّار بن ياسر، فلم يتركوه حتى سبّ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه فلما تركوه أتى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**ما وراءك**»؟ قال: شرٌّ يا رسول الله ما تُرِكْتُ حتى نِلتُ منك وذكرت آلهتهم بخير، قال: «**كيف تجد قلبك**»؟ قال: مطمئنٌّ بالإيمان، قال: «**إن عادُوا فَعُدْ**».

رواه ابن جرير (١٨٢/١٤)، وابن أبي حاتم (٢٣٠٤/٧)، والحاكم (٣٥٧/٢) وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي لكنه مرسل، وله طرق أخرى مرسلة تقوّيه أوردها ابن جرير وغيره، والآية نزلت في عمار بن ياسر باتفاق المفسّرين وأهل السير.

وهي تدلّ على أن من نطق بالكفر أو فعل فعلاً يكفر به عن إكراه مع مخالفة قلبه لما نطق به أو فعله لا حرج عليه فيه ولا إثم، وهذا متّفق عليه بين العلماء لا نَعْلَمُ في ذلك خلافاً بينهم، وإن كان الأفضلُ هو الثبات والصمود والصبر ولو أدّى إلى القتل لمن أطاق ذلك، وقوي على التعذيب، نسأل الله السلامة والعافية، آمين.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [١٢٦]:

{٥٣٢} ـ عن أُبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: لما كان يوم

أحد أُصيب من الأنصار أربعةٌ وستون رجلاً، ومن المهاجرين ستّةٌ منهم حمزةُ فمَثَّلُوا بهم، فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يومًا مثل هذا لنُرْبِيَنَّ عليهم، قال: فلما كان يوم فتح مكّة أنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ الآية.

فقال رجل: لا قُريش بعد اليوم، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**كُفُّوا عن القوم إلا أربعة**».

رواه أحمد (١٣٥/٥)، والترمذي (٢٩٢٧)، والنسائي (٣٧٦/٦) كلاهما في التفسير وحسّنه الترمذي وصححه.

قوله: مثلوا بهم أي: قطعوا أطرافهم وجدعوا آذانهم وأنوفهم وبقروا بطونهم.

والآية الكريمة نزلت تُعَلِّم المسلمين كيف يتعاملون مع من أساء إليهم وأن لهم الحقّ في المقابلة بالمثل، ولكن الأَوْلى والأفضل الصبر والعفو بالنسبة للمسلمين، وبهذا تمّت سورة النحل والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات. وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة الإسراء

السورة الكريمة إحدى عشرة ومائة آية، وأهدافها الكلام على أصول الدين والآداب والأخلاق، وأهمّ ما ذكر فيها: حادث الإسراء، والمقام المحمود.

قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [١]:

{٥٣٣} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أُتِي بالبُراق ليلةَ أُسري به مُلْجَماً مُسْرَجاً، فاسْتَصْعَب عليه، فقال له جبريل عليه السلام: بمحمّد تفعل هذا؟ فما ركبك أحدٌ أكرمَ على الله منه، فارْفضّ عَرَقاً، وفي رواية: فوالله ما ركبك أحد... إلخ.

رواه أحمد (١٦٤/٣)، والترمذي في التفسير (٢٩٢٩)، وابن حبان (٤٦) بالإحسان، وابن جرير (٦/١٥، ١٥)، والبيهقي في الدلائل (٣٦٢/٢، ٣٦٣) بسند صحيح على شرط الشيخين.

البُراق ـ بضم الباء ـ يأتي تفسيره في الحديث الثالث، وقوله: ملجماً أي: له لجام، وقوله: مسرجاً أي: عليه سرج، قوله: فاستصعب أي: نفر منه وتظاهر بالصعوبة، وقوله: فارفضّ أي: سال عرقه خجلاً، وفي الحديث أنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ذهب من مكّة إلى بيت المقدس راكباً فوق البُراق طائراً به بصحبة جبريل عليه السلام.

{٥٣٤} ـ وعن بريدة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**لما كان ليلةَ أُسْرِي بي انتهيتُ إلى بيتِ المقدِسِ فخَرَقَ جبريل عليه السلام الصَّخْرَة بأصبعه وشدَّ بها البُراقَ**».

رواه الترمذي (٢٩٣٠)، وابن حبان (٤٧)، والحاكم (٢/٣٦٠) وصححه ووافقه الذهبي.

في الحديث سلوك طريق الأسباب حيث ربط جبريل البراق بالصخرة مع أنه مسخر من الله لنبيّه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في هذه الرحلة ولا يتصوّر منه الفرار.

وهذه الصخرة المذكورة عليها بنيت القبّة المشاهدة اليوم، وقد زرناها والحمد لله مراراً قبل الاحتلال الصهيوني.

{٥٣٥} ـ وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**أُوتيت بالبُراق وهي دابّة أبيض طويلٌ فوق الحمار ودون البَغْلِ، يضع حَافِرَهُ عند منتهى طَرَفِهِ، قال: فركبتُه حتى أتيتُ بيت المقدس فربطتُه بالحَلْقَةِ التي يَرْبِط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصلّيتُ فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لَبَن، فاخترتُ اللبن، فقال جبريل: اخترت الفِطْرة ثم عُرِجَ بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قال: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففُتِح لنا فإذا أنا بآدم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فرحَّب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيىٰ بن زكرياء صلّى الله عليهم وعلى نبيّنا وسلم، فرحبا بي ودعوا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة، فذكر مثل الأول، ففتح لنا فإذا أنا بيوسف صلّى الله عليه وعلى نبيّنا وسلم، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن، فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة وذكر مثله، فإذا أنا بإدريس عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة**

فذكر مثله، فإذا أنا بهارون عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فذكر مثله، فإذا أنا بموسى عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فذكر مثله، فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مُسْنِداً ظَهْرَه إلى البيت المعمور، وإذا هو يَدخلُه كلَّ يوم سبعون ألف ملك لا يَعُودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورَقُها كآذان الفِيَلَةِ وإذا ثَمَرُها كالقِلال، قال: فلما غَشِيَها من أمر الله ما غَشِي تَغَيَّرَتْ فما أحدٌ من خلق الله يستطيع أن يَنعتها من حُسْنِها، فأوحى الله إليّ ما أوحى، ففرضَ عليَّ خمسين صلاة في كلِّ يوم وليلة، فنزلتُ إلى موسى فقال: ما فرض ربّك على أُمّتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أُمّتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بَلَوْتُ بني إسرائيل وخَبَرْتُهم، قال: فرجعت إلى ربّي، فقلت: يا ربّ خفّف عن أُمّتي، فحطّ عني خمساً فرجعت إلى موسى فقلت: حطّ عني خمساً، قال: إن أُمّتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربّك فاسأله التخفيف، قال: فلم أزل أرجع بين ربّي تبارك وتعالى وبين موسى حتى قال: يا محمد إنهنّ خَمْسُ صلوات كلَّ يوم وليلة لكل صلاة عشرٌ، فتلك خمسون صلاةً ومن هَمَّ بحسنة فلم يعملها كُتبت لَه حسنةً، فإن عملها كتبت له عشراً، ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب له شيئاً، فإن عملها كتبت سيئةً واحدةً، قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال: ارجع إلى ربّك فاسأله التخفيف، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقلت: قد رجعت إلى ربّي حتى استحييتُ منه».

رواه أحمد (٣/١٤٨)، ومسلم في الإيمان (٢/٢٠٩، ٢٢٥)، ورواه البخاري في التوحيد وغيره من طريق شريك بن أبي نمر لكن روايته هذه مطعون فيها.

أحاديث الإسراء جاءت من طرق كثيرة وسياقات مختلفة عن جمّ غفير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، والجمهور والمحقّقون من أهل العلم على أن الإسراء كان مرة واحدة يقظة بجسمه وروحه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

{٥٣٦} ـ وعن جابر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى

عليه وآله وسلم قال: **«لما كذّبَتْني قريشٌ قمتُ في الحِجرِ فَجَلَّى الله لي بيتَ المقدس، فطفِقْتُ أُخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه»**.

رواه أحمد (٣/٣٧٧، ٣٧٨)، والبخاري في التفسير (١٠/٦) وفي المناقب، ومسلم في الإيمان (٢/٢٢٧)، والترمذي في التفسير (٢٩٣١) ونحوه عن أبي هريرة عند مسلم.

فجلّى - بفتح اللام المشدّدة وتخفّف - أي: أظهر، فطفقت أي: جعلت.

وفي هذا آية ومعجزة عظيمة له صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حيث كشف الله له عن بيت المقدس وهو ينظر إليه من مكّة، وما أظهر الله عزّ وجلّ التلفزيون اليوم إلا تأييداً للمعجزات النبوية ولكرامات الأولياء، فإن كل ذلك خلق الله وتصريفه لا إلٰه سواه، والمسجد الحرام هنا المراد به مكّة المكرمة والمسجد الأقصى هو بيت المقدس، وسمّي أقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام. ويأتي الكلام على هذا الموضوع في سورة النجم وفي السيرة النبويّة إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [١٥]:

{٥٣٧} - عن الأسود بن شريح رضي الله تعالى عنه أن نبيّ الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«أربعة يوم القيامة يُدلون بحجّة: رجل أصم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول: ربّ لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: ربّ لقد جاء الإسلام والصبيان يحْذِفوني بالبعر، وأما الهرم فيقول: رب جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، وأما الذي مات في الفترة فيقول: ربّ ما أتاني لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليُطِيعُنَّهُ، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، قال: فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً»**.

رواه أحمد (٤/٢٤)، وابن حبان (١٦/٣٥٦، ٣٥٧)، والطبراني في

الكبير (٨٤١) بسند صحيح، ورواه أحمد (٤/٢٤)، وابن جرير (١٥/٥٤) عن أبي هريرة بنحوه، وسنده صحيح أيضاً، وفي آخره: قال أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، وورد عن أنس وأبي سعيد ومعاذ بن جبل وغيرهم أوردها ابن كثير في تفسيره، وما ذكرناه هو أصحها.

في الحديث بيان أن الله سيمتحن هؤلاء يوم القيامة، ومنهم من مات في الفترة.

قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [٢٦]:

{٥٣٨} - عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: أتى رجل من بني تميم إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال: يا رسول الله إني ذو مال كثير، وذو أهل وولد وحاضرة، فأخبرني كيف أنفق وكيف أصنع؟ فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«تخرج الزكاة من مالك إن كان، فإنها طهرة تطهرك، وتصل أقرباءك، وتعرف حق السائل، والجار، والمسكين»**، فقال: يا رسول الله أقلِلْ لي، قال: **«فآت ذا القربى حقّه والمسكين وابن السبيل ولا تبذّر تبذيراً»**، فقال: حسبي يا رسول الله إذا أدّيت الزكاة إلى رسولك، فقد برئت منها إلى الله وإلى رسوله، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«نعم إذا أدّيتها إلى رسولي فقد برئت منها ولك أجرها وإثمها على من بدلها»**.

رواه أحمد (٣/١٣٦)، والطبراني في الأوسط (٨٧٩٧) بسند صحيح، وقال النور (٣/٦٦): رجاله رجال الصحيح.

في الآية مع الحديث أمر من الله ورسوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بإعطاء ذوي القربى والمساكين وأبناء السبيل... حقوقهم مما يستحقونه من الصلة والمساعدة والإحسان من غير تبذير، فإن ذلك من عمل الشياطين.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [٣٢]:

{٥٣٩} ـ وعن المقداد بن الأسود رضي الله تعالى عنه أن فتًى شاباً أتى النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القومُ عليه فزجرُوه وقالوا: مَهْ مَهْ، فقال: «**ادْنُه**»، فدنا منه قريباً فقال: «**اجلس**»، فجلس فقال: «**أفتحبّه لأُمّك**»؟ قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأُمّهاتهم**»، قال: «**أفتحبه لابنتك**»؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**»، قال: «**أفتحبه لأختك**»؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**»، قال: «**أفتحبّه لعمّتك**»؟ فقال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لعمّاتهم**»، قال: «**أفتحبّه لخالتك**»؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبّونه لخالاتهم**»، قال: فوضع يده عليه وقال: «**اللّهمّ اغفر ذنبه وطهّر قلبه وأحصن فرجه**»، قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.

رواه أحمد (٥/٢٥٧)، والطبراني في الكبير (٨/١٩٠، ٢١٥) وسنده صحيح على شرط مسلم، وقال النور في المجمع (١/١٢٩): رجاله رجال الصحيح.

الزنا من كبار الفواحش والذنوب العظام، وهو محرم في جميع الشرائع لا يحلّ بحال إلا من أُكره عليه، وقد ضرب النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لذلك الفتى مثلاً رائعاً بنساء من خواص الأقارب: الأُم، البنت، الأخت، العمّة، الخالة، يتحاشى المؤمن ويغار أن تفعل فاحشة الزنا بإحداهنّ، فكما أنه لا يسمح لأحد أن يقرب هؤلاء الحرم بما يخدش أعراضهنّ، كذلك كل الناس لا يسمحون لأي شخص أن يتعاطى مع محارمه تلك الفاحشة، وكفى بذلك عبرة وذكرى.

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [٥٥]:

{٥٤٠} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**خُفِّفَ على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج فكان يقرؤه قبل أن تفرغ**».

رواه أحمد (٢/٣١٤)، والبخاري في الأنبياء (٧/٢٦٥)، وفي التفسير (١٠/١١، ١٢).

المراد بقوله القرآن يعني: قراءة كتابه الزبور، وقيل: التوراة، وفي ذلك معجزة له عليه السلام ظاهرة لأن قراءة الزبور في مثل هذا الوقت شيء خارق للعادة.

قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [٥٧]:

{٥٤١} ـ عن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: كان نفر من الإنس يعبدون الجنّ فأسلم الجنُّ وثبتَ الإنسُ على عبادتهم، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ﴾ إلخ.

رواه البخاري (١٠/١٢)، ومسلم (١٨/١٦٤) كلاهما في التفسير.

يبتغون: يطلبون، والوسيلة: ما يتقرّب به إلى الله. والحديث بين أن الآية نزلت بسبب قوم من العرب كانوا مشركين يعبدون طائفة من الجنّ، فأسلم الجنّ وبقي الإنس على عبادتهم إياهم ولم يشعروا أن الجنّ أسلموا.

ومعنى الآية الكريمة: أولئك الجنّ هم أنفسهم يطلبون القربة إلى الله ويتوسّلون إليه بالطاعة والعبادة، فكيف يُعبدون من دون الله وهم لا يستطيعون رفع البلاء عن أحد ولا تحويله.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا

ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾ [٥٩]:

{٥٤٢} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: سأل أهل مكّة رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحي عنهم الجبال فيزرعوا، قال الله عزّ وجلّ: «**إن شئت آتيناهم ما سألوا فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من قبلهم، وإن شئت تستأني بهم لعلنا ننتج منهم**»، فقال: «**لا، بل أستأني بهم**»، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ إلخ.

رواه أحمد (٢٥٨/١)، والنسائي في الكبرى (٣٨٠/٦)، والحاكم (٣٦٢/٢)، والبيهقي في الدلائل (٢٧١/٢) بسند صحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال النور (٥٠/٧)، ورجال الروايتين رجال الصحيح.

قوله: نستأني من التأني، أي: ننتظر ونتربّص، وقوله: ننتج منهم أي: نخرج من أصلابهم من يؤمن بي. والحديث يدلّ على أنه لو كان الله أجابهم لما اقترحوا ولم يؤمنوا لأهلكهم الله كما أهلك من كان قبلهم، ولكنه استأنى بهم رجاء أن يخرج من أصلابهم من يوحّد الله عزّ وجلّ ويطيعه كما حصل.

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ﴾ [٦٠]:

{٥٤٣} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ﴾ إلخ، قال: هي رؤيا عين أُريها رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ليلة أُسري به إلى بيت المقدس، والشجرة الملعونة في القرآن هي شجرةُ الزَّقُّوم.

رواه أحمد (١٩١٦)، والبخاري (١٣/١٠)، والترمذي (٢٩٣٢)، والنسائي (٣٨١/٦) كلهم في التفسير.

قوله: رؤيا عين أي: مشاهدة يقظة، وهي ما شاهده في تلك الليلة من الآيات وعجائب الأرض والسماء، وكان ذلك امتحاناً وفتنة لأهل مكّة حيث كذب بذلك قوم وارتد آخرون؛ لأن عقولهم الضيّقة لم تتحمل ذلك، وهكذا شجرة الزقوم جعلت فتنة لهم أيضاً، وهي شجرة خبيثة مُرّة جعلت طعاماً للكفار في جهنّم، وبعدما أنزلت هذه الآية، قال أبو جهل استهزاء بالقرآن: هاتوا لنا تمراً وزبداً وجعل يأكل ويقول: تزقموا فلا نعلم الزقوم غير هذا.

قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [٧٨]:

{٥٤٤} ـ عن أبي برزة الأسلمي رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يُصلّي الظهر إذا زاغَتْ الشمسُ، ثم تلا: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ إلخ.

رواه ابن جرير (٢٣٥/١٥) بسند صحيح وأصله في الصحيحين بغير ذكر الآية.

الحديث يدلّ على أن دلوك الشمس في الآية هو زوال الشمس عند الظهر، وبهذا قال الجمهور، فيدخل في ذلك الظهر والعصر والمغرب والعشاء. وغسق الليل هو سواده وظلامه، وقال جماعة من السلف: إن الدلوك والغسق هما غروب الشمس، والصحيح الأوّل.

قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [٧٨]:

{٥٤٥} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**فضل صلاة الجَمْع على صلاةِ الواحد خمسٌ وعشرون درجة، وتَجْتَمِعُ ملائكةُ الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح**»، يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾.

رواه البخاري في الصلاة وفي التفسير (١٤/١٠)، والترمذي (٢٩٣٣)، والنسائي (٣٨١/٦)، وابن ماجه (٦٧٠) وغيرهم.

قوله: وقرآن الفجر أي: صلاة الفجر، ومعناه: أقم الصلاة من وقت دلوك الشمس إلى اشتداد ظلمة الليل، ثم صلّ صلاة الفجر وهي الصبح، فإن صلاتها مشهودة تشهدها الملائكة الذين يتعاقبون على الإنسان طوال حياته في وقتي العصر والصبح.

قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [٧٩]:

{٥٤٦} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾، قال: **«هي الشفاعة»**.

رواه أحمد (٢/٤٤١، ٤٤٤، ٤٧٨، ٥٢٨)، والترمذي (٢٩٣٥)، وابن جرير (١٥/١٤٥، ١٤٦)، وابن خزيمة في التوحيد (١٩٨)، والطحاوي في المشكل (١/٤٤٩).

وفي رواية: «هو المقام الذي أشفع لأمّتي فيه»، وحسّنه الترمذي.

{٥٤٧} ـ وعن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«يُبْعَثُ الناسُ يومَ القيامة فأكون أنا وأمتي على تلٍّ ويَكْسُوني ربّي حُلّةً خضراء ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول، فذاك المقام المحمود»**.

رواه أحمد (٣/٣٥٦)، وابن حبان (٦٤٤٥) بالإحسان، والحاكم (٢/٣٦٣) بسند صحيح، وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي، وكذا رواه ابن أبي حاتم (٧/٢٣٤٢).

{٥٤٨} ـ وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثى كل أمّة تتبع نبيّها يقولون: يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود.

رواه البخاري (١٠/١٤)، والنسائي (٦/٣٨٨) كلاهما في التفسير، وحكمه الرفع.

قوله: تل ـ بفتح التاء ـ: قطعة من الأرض مرتفعة عما حولها، وقوله: جثى أي: جماعة. وفي هذه الأحاديث بيان للمقام المحمود وأنه شفاعة النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم العظمى التي خصّه الله تعالى بها لإراحة الخلائق من هول الموقف، وقد تواترت بها الأحاديث واتّفق عليها كل الطوائف حتى من ينكر غيرها، وانظر حديث جابر في كتاب الأذان فيما يقال بعد الأذان.

قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٨٠﴾﴾ [٨٠]:

{٥٤٩} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بمكّة ثمّ أمر بالهجرة فنزلت عليه: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ﴾ الآية.

رواه أحمد (١/٢٢٣)، والترمذي (٢٩٣٧)، وابن جرير (١٥/١٤٨) وحسّنه الترمذي وصححه وقابوس بن أبي ظبيان حجة عند الترمذي صحح له غير ما حديث، وقال فيه ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به، وضعّفه غيرهما.

ومدخل صدق هو دخوله المدينة، ومخرج صدق خروجه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من مكّة.

قوله تعالى: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾﴾ [٨١]:

{٥٥٠} ـ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: دخل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم مكّة عام الفتح وحول الكعبة ثلاث مائة وستون نُصُباً، فجعلَ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يَطْعُنُها بمِخْصَرةٍ في يده، وربما قال: بعود ويقول: ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾ **«جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد»**.

رواه البخاري في مواضع منها في التفسير (١٥/١٠)، ومسلم في الجهاد (١٣٢/١٢)، والترمذي (٢٩٣٦). والنسائي في الكبرى (٣٨٢/٦) ونحوه عن أبي هريرة مطوّلاً رواه مسلم (١٣٠/١٢)، ويأتي في السير.

نُصُب ـ بضمّتين ـ: جمع أنصاب وهي ما عُبِدت من دون الله من الأصنام والتماثيل، وقوله: يطعنها ـ بضم العين ـ ويأتي بقية الكلام على هذا في السير والجهاد والمغازي.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [٨٥]:

{٥٥١} ـ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في حَرْثٍ بالمدينة وهو يتوكّأ على عَسِيب فمرَّ به نَفَرٌ من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال بعضهم: لا تسألوه فإنه يُسْمِعُكُمْ ما تكرهون، فقالوا: يا أبا القاسم حدِّثْنا عن الروح، فقام النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ساعة ورفع رأسه إلى السماء، فعرفت أنه يُوحى إليه حتى صعد الوحي، ثم قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾.

رواه البخاري في العلم وفي التفسير (١٥/١٠، ١٨)، وفي الاعتصام وفي التوحيد، ومسلم آخر الكتاب، والترمذي (٢٩٣٩)، والنسائي في الكبير (٣٨٣/٦).

{٥٥٢} ـ وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قالت قريش ليهود: اعْطُونا شيئاً نسألُ عنه هذا الرجل، فقالوا: سَلُوه عن الروح، فسألوه عن الروح فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾، قالوا: أوتينا علماً كثيراً أوتينا التوراة ومن أوتي التوراة فقد أُوتي خيراً كثيراً، فأنزلت: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ الآية.

رواه أحمد (٢٥٥/١)، والترمذي (٢٩٣٨)، والنسائي في الكبرى

(٣٩٢/٦)، والحاكم (٥٣١/٢) وسنده صحيح على شرط مسلم، وحسّنه الترمذي وصححه كما صححه الحاكم والذهبي بموافقته.

العسيب: عود من النخل، وظاهر الحديثين أن الآية نزلت بمكة وبالمدينة، فيكون كل من كفار قريش واليهود سألوه عن الروح، والله أعلم.

والآية نصّ في أن الروح من أمر الله عزّ وجلّ وأنه من الأسرار الغيبية التي لا يعلم حقيقتها إلاّ الله عزّ وجلّ، فالبحث فيها بعد هذا يعدّ بحثاً ضائعاً وفضولاً وتقدماً بين يدي الله عزّ وجلّ. وراجع عجائب القلوب من الإحياء للغزالي، وكتاب الروح لابن القيم، وفتح الباري للحافظ (١٧/١٠).

قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [٩٧]:

{٥٥٣} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رجلاً قال: يا نبيّ الله يُحْشَرُ الكافر على وجهه؟ قال: «**أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدُّنيا قادراً على أن يُمْشِيَه على وجهه يوم القيامة**»، قال قتادة: بلى وعزَّة ربّنا.

رواه البخاري في تفسير سورة الفرقان (١٠٩/١٠)، وفي الرقاق (١٧١/١٤)، ومسلم في صفة جهنم (٢٨٠٩)، والنسائي في الكبرى (٤٢٠/٦)، وابن جرير (١٢/١٨)، وستأتي أحاديث في هذا المعنى في الرقاق وغيره.

في الآية والحديث بيان أن أُمور الآخرة على خلاف عادات الدنيا، وأن ما يكون مستحيلاً عقلاً أو عادة في هذه الدار سيكون عادياً في الآخرة، فالواجب الإيمان بكل ما جاء عن الله وعن رسوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم مما هو فوق مستوى عقولنا.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [١٠٩]:

{٥٥٤} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَا

الأقدمين» الطبعة الثالثة، والشاهد منه هو أنه عليه السلام لو قال إن شاء الله لجاءت كل امرأة بولد فارس، ولذا نهى الله نبيّه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أن لا يقول لشيء يريد فعله غداً إلا أن يقرنه بالمشيئة الإلهيّة.

قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [٢٨]:

{٥٥٧} ـ عن عبدالرحمٰن بن سهل بن حُنَيْف رضي الله تعالى عنهما قال: نزلت هذه الآية على النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو في بعض أبياته: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ الآية، خرج يلتمسُ فوجد قوماً يذكرون الله تعالى منهم ثائر الرأس، وحافِ الجِلْد، وذو الثَّوب الواحد، فلما رآهم جلس معهم، فقال: «**الحمد لله الذي جعل في أُمّتي من أمَرَني أن أصْبِرَ نفسي معهم**».

رواه ابن جرير (٢٣٥/١٥)، والطبراني، قال النور في المجمع (٢١/٧): ورجاله رجال الصحيح ونحوه عن أبي سعيد الخدري عند الطبراني وأبي يعلى وغيرهما مطوّلاً، وفي الباب عن خباب بن الأرتّ رواه ابن أبي شيبة في المصنف رقم (٣٢٥١٨)، وأبو يعلى مطوّلاً قال البوصيري في الإتحاف رقم (٦٤٧٦): وسنده صحيح.

وفيما ذكر فضل فقراء الصحابة وأنهم بالمكان الأعلى عند الله عزّ وجلّ، وقد تقدم نحو هذا في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [٥٤]:

{٥٥٨} ـ عن عليّ رضي الله تعالى عنه أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم طرقه وفاطمة عليهما السلام فقال: «**ألاَ تُصَلُّون**»؟ قلت: يا رسول الله إنما أنفُسُنا بيد الله، فإذا شاء أن يَبْعَثَها بعثها، فانصرف رسول الله

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو مُدْبرٌ يضربُ فَخِذَه ويقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾.

رواه البخاري في التهجد وفي التفسير (٢٢/١٠) وفي الاعتصام وفي التوحيد، ومسلم فيمن نام الليل أجمع من كتاب الصلاة رقم (٧٧٥)، والنسائي في الكبرى (٣٨٦/٦) وفي المجتبى وغيرهم.

طرقه أي: أتاه ليلاً، وفي الحديث الحضّ على قيام الليل. وفيه أنه لا ينبغي للإنسان أن ينسب تقصيره إلى الله تعالى، وإن كانت كل الأُمور بيده وبإذنه ومشيئته، فإن الأدب يأبى ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ

نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [٦٠ ـ ٨٢]:

{٥٥٩} ـ عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى قال: قلت لابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إن نَوْفاً البَكالي يزعم أن موسى صاحب الخضِر ليس هو موسى صاحبَ بني إسرائيل، فقال ابن عباس: كذب عدوُّ الله حدّثني أُبَيُّ بن كعب رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**إن موسى عليه السلام قام خطيباً في بني إسرائيل فسُئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتَبَ الله عليه إذ لم يَرُدَّ العلم إليه، فأوْحى الله إليه: إنَّ لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مِكْتَل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثم، فأخذ الحوت فجعله في مكتل، ثم انطلق وانطلق معه يُوشَعُ بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رُؤُوسَهما فناما فاضطرب الحوت في المِكْتَل فخرج منه فسقط في البحر، فاتّخذ سَبِيلَه في**

البحر سَرَباً، وأمْسَكَ الله عزّ وجلّ عن الحوت جَرْيَةَ الماء، فصار عليه مثل الطّاق، فلما استيقظ نسي صاحبُه أن يُخبرَه بالحوت فانطلقا بقية يومَهما وليلتَهما حتى إذا كان من الغد ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾، **قال: ولم يجد موسى النَّصَب حتى جاوز المكان الذي أمر الله به، فقال له فتاه:** ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾، **قال: فكان للحوت سَرَباً ولموسى ولفتاه عجباً، فقال له موسى:** ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾، **قال: رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مُسجّى ثوباً فسلّم عليه موسى، فقال الخضر: وأنّى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتُك لِتُعَلِّمني مما عُلِّمْتَ رُشْداً، قال:** ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ **يا موسى إني على علم من الله علَّمَنيه لا تعلمُه أنت وأنت على علم من الله علَّمَكَهُ لا أعلمه، فقال موسى:** ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾، **فقال له الخضر:** ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ **فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرّت سفينة فكلّموهم أن يَحْملُوهم فعرفوا الخضر، فحملوهما بغير نَولٍ، فلما ركبا في السفينة لم يَفْجَأ موسى إلا والخضر قد قَلَع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قومٌ حملونا بغير نول عَمَدت إلى سفينتهم فخَرَقْتَها لتُغْرِق أهلَها، لقد جئت شيئاً إمْراً، قال:** ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، **قال:** ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾»، قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**وكانت الأُولى من موسى نسياناً**»، قال: «**وجاء عصفورٌ فوقع على حَرْفِ السفينة فنقَر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر، ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله، فقال له موسى:** ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾، **قال: وهذا أشدّ من الأُولى، قال:** ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ

بَلَغَتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾، **قال: مائل، فقام الخضر فأقامه بيده فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يُطْعِمُونا ولم يُضِيفُونا** ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾، إلى قوله: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾».

فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**ودِدْنا أن مُوسَى كان صَبَر حتى يَقُصَّ الله علينا من خَبَرِهِمَا**»، قال سعيد بن جبير: فكان ابن عباس يقرأ وكان أمامَهم ملِكٌ يأخذ كل سَفِينَة صالحةٍ غَصْباً وكان يقرأ: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ﴾ كافراً وكان ﴿أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾.

رواه أحمد (١١٨/٥، ١٢٠، ١٢٢)، والبخاري في العلم (٢٢٨/١، ٢٢٣)، وفي الأنبياء (٢٤٢/٧)، وفي تفسير سورة الكهف (٢٣/١٠، ٣٩) وفي مواضع نحو العشرة، ومسلم في الفضائل (١٣٦/١٥)، وأبو داود في السنة والترمذي (٢٩٤٦)، والنسائي (٣٨٦/٦، ٣٩١) كلاهما في التفسير وغيرهم مطوّلاً ومختصراً.

هذا حديث عظيم جاء مُفَسِّراً لهذه الآيات الواردة في قصة هذين النبيّين العظيمين، وقد ذكرته مشروحاً مبيناً فوائده في العبر من عجائب الأقدمين وبيّنت هناك أن الصحيح من قولي العلماء: أن الخضر كان نبياً وأنه لا يزال حياً، فليراجع الكتاب المشار إليه فإن فيه فوائد وعبراً.

{٥٦٠} ـ وعن أُبَيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**الغلامُ الذي قَتَلَه الخَضِر طُبِعَ يوم طُبع كافراً**»، وفي رواية: «**ولو عاش لأرْهَقَ أبَوَيْهِ طُغْياناً وكُفْراً**».

رواه أحمد (١٢١/٥)، ومسلم في الفضائل وفي القدر (٢١١/١٦)، وأبو داود في السنة (٤٧٠٥)، والترمذي في التفسير (٢٩٤٧) بتهذيبي.

هذا من تتمة تفسير القصة في قوله: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ إلخ، وأن هذا الغلام ختم على قلبه في بطن أمه وأنه سبق علم الله وقدره بكفره قبل كونه. وقوله: ولو عاش لأرهق إلخ، أي: لحملهما على الكفر والطغيان.

{٥٦١} ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إنما سُمِّيَ الخضر لأنه جلس على فَرْوَةٍ بَيْضاء فاهْتَزَّتْ تحته خَضِراً**».

رواه أحمد (٣١٢/٢)، والبخاري في الأنبياء (٢٤٦/٧)، والترمذي في التفسير (٢٩٤٨).

فروة ـ بفتح الفاء وسكون الراء ـ: هي هنا قطعة يابسة من حشيش، وقوله: فاهتزت أي: تحرّكت.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾:

{٥٦٢} ـ عن زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها قالت: انْتَبَه رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من نوم مُحْمَرّاً وجهُه وهو يقول: «**لا إلـه إلاّ الله**» ثلاث مرات، «**ويلٌ للعرب من شرٍ قد اقترب، فُتِحَ اليوم من رَدْم يأجوجَ ومأجوج مثلُ هذا**»، وعَقَدَ تسعين أو مائة، قلت: يا رسول الله أنَهْلَكُ وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا كَثُرَ الخَبَثُ**»، وفي رواية: وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها.

رواه أحمد (٤٢٨/٦، ٤٢٩)، والبخاري في الأنبياء (١٩٥/٧) وفي علامات النبوّة وفي الفتن، ومسلم (٢/١٨، ٣)، والترمذي (٢٠١٧)، وابن ماجه (٣٩٥٣) ثلاثتهم في الفتن، والنسائي في الكبرى (٣٩٢/٦).

يأجوج ومأجوج: قبيلتان من ذرية يافث بن نوح عليه السلام كانوا مفسدين بالقتل وقطع الطريق والسلب والنهب... فبنى ذو القرنين السد بينهم وبين غيرهم من بني آدم المجاورين لهم، والجمهور على أن هذا السد في غرب شمال آسيا، والقرآن مصرّح بوجودهم وبناء السد دونهم ودون غيرهم، والحديث نصّ في أنهم يعالجونه وسينهدم عند قرب قيام الساعة فيخرجون على الناس ويعيثون في الأرض فساداً حتى يهلكهم الله. وقوله:

نعم إذا كَثر الخبث، هو بفتح الخاء والباء: هو الفسوق والفجور وأولاد الزّنا والهلاك بوجود الخبث يتجلى في واقعنا بأجلى مظهر.

قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعًا﴾ [٩٩]:

{٥٦٣} ـ عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: جاء أعرابي إلى النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: ما الصور؟ قال: «**قَرْنٌ يُنْفَخُ فيه**».

رواه أحمد (٢/٢٦٢، ٢٩٢)، وأبو داود في السنة (٤٧٤٢)، والترمذي في القيامة (٢٢٥١)، وفي تفسير الزمر (٣٠٢٩)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٩٢)، والدارمي (٢٨٠١)، وابن حبان (٢٥٧٠)، والحاكم (٢/٤٣٦ ج٤/٥٦٠)، وحسّنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم والذهبي. الحديث مفسّر للصور الوارد في الآية الكريمة وأنه قرن ينفخ فيه الملك المكلّف به.

قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾ [١٠٥]:

{٥٦٤} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**إنه ليأتي الرجلُ العظيم السَّمين يومَ القيامة لا يَزِنُ عند الله جَناح بَعوضة، وقال اقرؤوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾**».

رواه البخاري في التفسير (١٠/٤١)، ومسلم في صفة القيامة (١٧/١٢٩).

إن الكافر وغيره من الأشقياء لا قيمة لهم يوم القيامة ولا وزن، وأن المنعم منهم السمين اللحيم لا يزن مقدار جناح بعوضة.

قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [١١٠]:

{٥٦٥} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**إنّ الله تبارك وتعالى يقول: أنا أغنى الشُركاءِ عن الشِرْكِ، فمن عَمِلَ عملاً أشرك فيه معي غيري تركتُه وشِرْكَه**»، وفي رواية: «**فأنا منه بَريءٌ، وهو للذي أشْرك**».

رواه أحمد (٢/٣٠١، ٤٣٥)، ومسلم (١٨/١١٥)، وابن ماجه (٤٢٠٢)، وابن أبي حاتم (٢٣٩٥) وغيرهم.

الآية والحديث يدلاّن على وجوب إخلاص العمل لله، وأن لا يشرك معه غيره في أي عمل. وسيأتي لهذا مزيد في الأدب.

* * *

خاتمة

{٥٦٦} ـ عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**مَنْ حَفِظ عَشْر آياتٍ من أوّل سُورة الكهف عُصِمَ من الدجال**».

رواه مسلم (٩/٩٢) وغيره، وفي رواية: «**من حفظ من خواتيم سورة الكهف**»، رواه أبو داود وغيره، والأول أصح.

سورة مريم

هي من السور المكية وامتازت بذكر قصة مريم وابنها عيسى عليهما السلام بسياقات لم تذكر في غيرها من السور.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ [٢٨]:

{٥٦٧} ـ عن المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه قال: كنت بأرض نَجْرَان فسألوني أرأيتُم شيئاً تقرؤونه: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ وبين موسى وعيسى ما قد علمتُم من السنين، قال: فلم أدرِ ما أُجيبُهم به، فلما قدمت على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ذكرتُ ذلك له فقال: «**ألا أخبرتَهُم أنهم كانوا يُسمّون بأنبيائهم والصالحين**».

رواه أحمد (٤/٢٥٢)، ومسلم في الأدب (١٤/١١٦)، والترمذي (٢٩٥٢)، والنسائي (٦/٣٩٣) كلاهما في التفسير، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب.

خاطبوا مريم بيا أخت هارون لأنها كانت لكثرة تعبّدها تُشَبَّه برجل صالح في عصرها، وفي الحديث مشروعية التسمّي بأسماء الأنبياء، وقد نقل بعضهم الإجماع على جواز ذلك بالنسبة إلينا.

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۘ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ﴾ [٣٩]:

{٥٦٨} ـ عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إذا دخل أهلُ النار النارَ، ودخل أهلُ الجنة الجنةَ يجاء بالموت كأنه كبشٌ أملحُ فينادِي مناد: يا أهلَ الجنة تعرفون هذا؟ قال: فيشرَئِبُّون وينظُرون وكلٌ قد رأوه، فيقولون: نعم هذا الموتُ. ثم ينادي مناد: يا أهل النار تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون وكلهم قد رأوه، فيقولون: نعم هذا الموت، فيؤخذ فيُذْبَحُ ثم ينادي: يا أهل الجنة خلودٌ ولا موتَ، ويا أهل النار خلودٌ ولا موت**»، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۘ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ﴾، قال: أهل الدنيا في غفلة.

رواه البخاري في التفسير (١٠/٤٣)، ومسلم في الجنّة (١٧/١٨٤، ١٨٥)، والترمذي (٢٩٥٣، ٢٣٧٥)، والنسائي (٦/٢٩٣) كلاهما في التفسير، ونحوه عن أبي هريرة عند أحمد (٢/٢٦١) والشيخين.

الأملح من الأنعام ما فيه بياضٌ وسوادٌ، يَشْرَئِبُّون أي: يُشْرِفون وينظرون.

والحديث يدلّ على أن أهل الجنّة والنار مخلّدون فيهما، وأن لا موت يلحقهم، وهذا إجماع لم يخالف فيه إلا بعض أهل الشذوذ، كما أنه يدلّ على أن يوم الحسرة هو وقت ذبح الموت.

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ﴾ [٦٤]:

{٥٦٩} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لجبريل عليه السلام: «**ما يَمنعُك أن تَزُورَنا أكْثَر مِما تَزُورُنا**»؟ قال: فنزلت الآية: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ﴾.

رواه أحمد (٢٣٦٥)، والبخاري في التفسير (١٠/٤٣) وفي بدء الخلق وفي التوحيد، والترمذي (٢٩٥٥)، والنسائي (٦/٣٩٤) كلاهما في التفسير.

الآية تدلّ على أن جبريل عليه السلام كان لا يزور نبيّنا صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إلا بإذن الله تعالى وأمره.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [٦٤]:

{٥٧٠} ـ عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**ما أحلَّ الله في كِتابِهِ فهو حلالٌ، وما حَرَّم فهو حرامٌ، وما سكتَ عنه فهو عَفْوٌ فاقبَلُوا من الله عافِيَته فإن الله تعالى لم يكن لِيَنْسَى شيئاً**»، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾.

رواه البزار (٢٢٣)، والحاكم (٢/٣٧٥) ومن طريقه البيهقي (١٠/١٢) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال النور في المجمع (٧/٢٥٥): رجاله ثقات، وللحديث شواهد أوردها البيهقي وغيره، وانظر جامع العلوم والحكم لابن رجب (٢٤٢).

في الحديث ردّ على من يتزمت ويشدّد على العباد بتحريم ما سكت الله تعالى عنه، وجعله من المعفوّات رحمةً بعباده.

قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [٧١]:

{٥٧١} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**لا يموتُ لأحدٍ من المسلمين ثلاثةٌ من الولد فتمسَّه النارُ**»، وفي رواية: «**فيلج النار إلا تحلَّة القَسَم**».

رواه أحمد (٢/٢٣٩)، والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه كلّهم في الجنائز، ويأتي في الرقاق.

في الآية والحديث دليل على أنه لا بدّ من ورود النار من كل أحد وهو المرور على الصراط، وفي الحديث بشارة لمن يموت لهم الأطفال بعدم دخولهم النار إن شاء الله تعالى.

{٥٧٢} ـ وعن مرّة الهمداني أنه سُئِل عن قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، فقال: حدّثني عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال

رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**يرد الناسُ النارَ ثم يَصْدُرُون عنها بأعمالِهم فأولُهم كلَمْح البَرْقِ، ثم كالرِّيح، ثم كحُضْر الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كَشَدِّ الرجل، ثم كَمَشْيِه**».

رواه أحمد (٤١٢٨، ٤١٤١)، والترمذي (٢٩٥٦)، والحاكم (٢/٢٧٥) مرفوعاً وموقوفاً وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وهو عند الترمذي من ثلاثة طرق وكلّها حسنة، ولا يعل الحديث بالوقف فإن الحكم لمن رفع.

قوله: يرد الناس، أي: يمرون على الصراط. وقوله: ثم يصدرون أي: ينصرفون، وقوله: حضر ـ بضم الحاء وسكون الضاد ـ أي: عدو الفرس.

وفي الحديث بيان مراتب الناس في مرورهم على الصراط وأنهم ستّة أصناف، جعلنا الله تعالى من الصنف الأول بمنّه وكرمه آمين، ويأتي لهذا مزيد في الرقاق.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [٧٢]:

{٥٧٣} ـ عن أمّ مُبَشِّر رضي الله تعالى عنها أنها سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول عند حفصة رضي الله تعالى عنها: «**لا يَدْخُلُ النارَ إن شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة أحدٌ من الذين بايعوا تحتَها**»، قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها، قالت حفصة: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، قال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**فقد قال الله تعالى**: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾».

رواه أحمد (٦/٤٢٠)، ومسلم في الفضائل (١٦/٥٧، ٥٨)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٩٥)، وابن جرير (١٦/١١٢) وغيرهم، وفي الباب عن جابر عند البخاري في المغازي (٨/٣٢٥).

قوله تعالى: جثياً أي: جاثين على ركبهم. في الحديث فضل أهل بيعة الرضوان وأن جميعهم من أهل الجنّة، وفي الآية بشارة للمتّقين بإنجائهم من السقوط في النار.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾ [٧٧ ـ ٨٠]:

{٥٧٤} ـ عن خَباب رضي الله تعالى عنه قال: كنت قَيْناً بمكة فعمِلتُ للعَاص بن وائل السَّهْمِي سيفاً، فجِئْتُ أتقَاضَاهُ فقال: لا أعطيك حتى تَكْفُرَ بمحمّد، قلت: لا أكفر بمحمد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حتى يُمِيتك الله ثم يُحييك، قال: إذا أماتَنِي الله ثم بعثَني ولي مال وولد... وفي رواية: وإني لميّت، ثم مَبْعوث؟ قلت: نعم، قال: إن لي هناك مالاً وولداً فأعطيك... وفي أخرى: فَذَرْني حتى أموتَ ثم أُبْعَثَ فسوف أُوتى مالاً وولداً فأقضِيكَ، فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾.

رواه أحمد (١١١/٥)، والبخاري في البيوع وفي الإجارة وفي الخصومات وفي التفسير (٤٥/١٠، ٤٦)، ومسلم في صفة القيامة (١٣٨/١٦)، والترمذي (٢٩٥٨)، والنسائي في الكبرى (٣٩٥/٦) كلاهما في التفسير.

القَيْن ـ بفتح القاف وتشديد الياء المكسورة ـ: الحداد، أتقاضاه أي: أطلب منه قضاء حقّي. وفي الآية تهديدٌ بالغ لذلك الطاغية المغرور المعجب بنفسه وأهله وماله، وبيان ما كان عليه من العتوّ والأنانية.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ [٩٢]:

{٥٧٥} ـ عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**لا أحد أصبرُ على أذى يَسْمَعُه مِن الله إنّه يُشْرِكُ به ويُجعلُ له نِدٌّ وهو يُعَافيهم ويَرْزُقُهم ويَدْفَعُ عنهم**».

رواه أحمد (٣٩٥/٤، ٤٠٥)، والبخاري في الأدب رقم (٦٠٩٩) وفي التوحيد، ومسلم في صفات المنافقين (٢٨٠٤ ج ١٤٦/١٧)، والنسائي في الكبرى (٣٩٥/٦).

إن الله عزّ وجلّ حليم كريم لا يعاجل بالعقوبة من عصاه، ولا يقطع مدده ورفده عن من كفر وأشرك به، بل يرزقه ويعافيه ويدفع عنه البلايا والمضار، بل ينصره على عدوّه ويمهّد له أسباب الحياة ويسهلها عليه، رغم أنه يؤذي الله بأقواله وأفعاله، فلا أحد يتحمل ذلك ويصبر عليه سواه سبحانه وتعالى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [٩٦]:

{٥٧٦} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**إذا أحبَّ الله عبداً نادَى جبريل: إنّي قد أحببتُ فلاناً فأحبّه، قال: فينادي في السماء، ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض، فذلك قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾. **وإذا أبغض الله عبداً نادى جبريل: إني قد أبغضت فلاناً، فينادي في السماء ثم تنزل له البغضاء في الأرض**»، وفي رواية في الأولى: «**ثم يوضع له القبول في الأرض**».

رواه أحمد (٣٤١/٢، ٥١٤)، والبخاري في الأدب (٧١/١٣) وفي بدء الخلق (١١٥/٧، ١١٦)، ومسلم في البرّ والصلة (١٨٣/١٦، ١٨٤)، والترمذي في التفسير (٢٩٥٧) وغيرهم.

في الآية والحديث بشارة للمؤمن الصالح حيث إن الله تعالى يحبّه ويحبه أهل السماء ويحبه المؤمنون... ويصدق ذلك ولو من بعضهم، ومن أبغضه فإنما يبغضه لعارض. أما من أبغضه الله فبعكس ذلك حيث يبغضه كل شيء إلا مَن كان مثله.

وبهذا تمّت سورة مريم. والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وصحبه وآله.

سورة طـــه

هي مكية، وآياتها مائة وخمس وثلاثون، وامتازت بذكر قصة موسى عليه السلام مع فرعون الطاغية... مطولة مفصلة بما لم يذكر في غيرها، وقد أخذت من السورة نحواً من تسعين آية، وهي أكثر من نصف السورة.

قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾:

{٥٧٧} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال نبيّ الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**من نَسِي صلاةً أو نامَ عنها فكفّارتُها أن يُصَلّيها إذا ذكَرَها**»، وفي رواية: «**إذا رقد أحدُكم عن الصلاة أو غَفَلَ عنها فلْيصلّها إذا ذكرها، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾**».

رواه البخاري (٢/٢١١)، ومسلم (٥/١٩٣) كلاهما في قضاء الفوائت، واللفظ للأخير. وفي الباب عن جماعة في الصحيح وغيره.

وقوله: لذكرى: فيه قراءتان؛ بفتح الراء مع ألف مقصورة، ومعناه: متى ذكرت أن عليك صلاة فاقضها سواء كانت في وقتها أو خارجه، وقرىء بكسر الراء أي لتذكرني فيها، فإن كل من صلّى ذكر الله عزّ وجلّ، واستدلّ بالآية على أن شرع من قبلنا شرعٌ لنا لأن الآية جاءت في خطاب كليم الله موسى عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤﴾ [٧٤]:

{٥٧٨} ـ عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أما أهلُ النار الذين هم أهلُها فإنهم لا يموتُون فيها ولا يَحيَون، ولكن أناسٌ تصيبُهم النارُ بذنوبهم فتُميتُهم إماتَةً حتى إذا صارُوا فَحْماً أُذِن في الشفاعة جِيءَ بهم ضَبَائِر ضَبَائِر فبُثُّوا على أنهار الجنّة، فيقال: يا أهل الجنّة أفيضوا عليهم، فينبُتُون نبات الحِبَّة تكون في حَمِيل السَّيل**»، فقال رجل من القوم: كأنَّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان بالبادية.

رواه أحمد (٣/٥/١١)، ومسلم في الإيمان (٣/٣٧، ٣٨)، والنسائي في الكبرى وابن ماجه (٤٣٠٩).

حميل السيل ـ بالحاء المهملة ـ أي: محمول السيل، وهو الغثاء الذي يحمله سيل الماء، وقوله: ضبائر أي: جماعات متفرّقة.

والآية الكريمة والحديث يدلاّن على أن الكفار مخلدون في النار لا يموتون فيستريحون ولا يحيون حياة تنعم كأهل الجنّة. أما عصاة الموحدين فتصيبهم إماتة حتى يصيروا فحماً، ثم يخرجون منها بفضل الله ورحمته، أعاذنا الله من عذابه، آمين.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [١١٧]:

{٥٧٩} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**حاجّ آدم موسى فقال له: يا آدم أنت الذي أخرجتَ الناس مِن الجنّة وأشْقَيْتَهم؟ قال آدم: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالَتِه وبكلامِه؟ أتَلُومُني على أمرٍ كتبه الله عليّ أو قَدَّره عليَّ قبل أن يَخلُقني؟**» قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**فحجّ آدمُ موسى**».

رواه البخاري في التفسير (١٠/٥٠)، ومسلم في القدر وغيرهما، وقد تقدم بسياق آخر.

قوله: أشقيتهم أي: تسبّبت في شقائهم بنزولك لهذه الدنيا، فعانوا من متاعبها ومشاقها ما هو معروف، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

وقوله: وحجّ آدم موسى أي: غلبه بالحجّة. والآية الكريمة جاءت ضمن قصة أبينا آدم عليه السلام، فخاطبه الله عزّ وجلّ وزوجته محذّراً لهما من الشيطان أن لا يطيعاه، فيكون ذلك سبباً لإخراجهما من الجنّة فيشقيا.

قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [١٣٠]:

{٥٨٠} ـ عن جرير بن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: كنّا مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «**إنّكُمْ سَتَرَوْنَ ربّكُم كما تَرَوْن هذا لا تُضارُّون في رؤيته، فإن استطعتُم أن لا تُغلَبُوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا**»، ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾.

رواه البخاري في المواقيت وفي التفسير في سورة قّ (ج ١٠/٢٢٠) وفي التوحيد، ومسلم في فضائل صلاتي الصبح والعصر (٥/١٣٤)، وأبو داود في السنة (٤٧٢٩)، والترمذي في رؤية الله من صفة الجنّة، والنسائي في الكبرى (٦/٤٠٧)، وابن ماجه (١٧٧).

الجمهور على أن الآية الكريمة جاءت في الصلوات الخمس، فقوله: وسبح بحمد ربك أي: صلّ وأنت حامد لربّك قبل طلوع الشمس ـ صلاة الصبح ـ وقبل غروبها ـ صلاة العصر ـ ﴿وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ أي: وصلّ لربك في ساعات الليل وفي أول النهار وآخره، فآناء الليل: صلاة العشاء، وأطراف النهار: صلاة المغرب والظهر؛ لأن الظهر آخر طرف النهار الأول، والمغرب آخر طرف النهار الأخير.

وفي الحديث إثبات رؤية الله يوم القيامة، وقد تواترت بذلك الأحاديث كما فيه الحضّ على المحافظة على صلاتي الصبح والعصر، وقد جاء في الصحيح «**من صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّة**»، والبردان: الصبح والعصر.

قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [١٣٢]:

{٥٨١} ـ عن عبدالله بن سلام رضي الله تعالى عنه قال: كان النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا نزل بأهله الضيقُ أمرَهم بالصلاة، ثم قرأ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾.

رواه الطبراني في الأوسط (٨٩٠)، قال الهيثمي في المجمع (٦٧/٧): ورجاله ثقات.

{٥٨٢} ـ وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا حَزَبَهُ أمرٌ صلّى.

رواه أحمد (٣٨٨/٥)، وأبو داود (١٣١٩) بسند حسن.

حزَبه ـ بفتح الزاي والباء ـ أي: أصابه، وورد حَزَنَه بالنون.

وفي الحديثين مشروعية الفزع إلى الصلاة عند نزول البلايا والشدائد وضيق المعيشة، ولذلك شرعت صلاة الاستسقاء، وصلاة الكسوف، وصلاة الاستخارة، وصلاة الحاجة وصلاة التوبة... لأن الصلاة صلة وثيقة بالله عزّ وجلّ، ولها من البركة وشمول الرحمة ما ليس لغيرها من سائر القُرَب.

وبهذا تمّت سورة طه. والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه.

سورة الأنبياء

وهي مكية وآياتها مائة واثنتا عشرة آية.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [١]:

{٥٨٣} ـ عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: ﴿فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ قال: «**في الدنيا**».

رواه النسائي في الكبرى (٤٠٧/٦) بسند صحيح، وأخرجه ابن جرير (١/١٧، ٢) من حديث أبي هريرة وسنده صحيح أيضاً.

ومعنى الآية الكريمة أنه قد دنا وقرب وقت حساب الناس على أعمالهم، وهم مع ذلك غافلون عن ذلك اليوم مستغرقون في الشهوات، لا يعملون للآخرة ولا يتأهبون لها.

قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَٰزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ﴾ [٤٧]:

{٥٨٤} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رجلاً قعد بين يدي رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله إن لي مملوكين يَكْذِبُونني، ويَخُونُونَنِي، ويَعْصُونَنِي، وأَشْتِمُهم وأضْرِبُهم، فكيف أنا منهم؟ قال: «**يُحسب ما خانوك وعَصَوْك وكذَبُوكَ وعِقابُك إيَّاهم، فإن كان عقابُك إياهُم بقدرِ ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابُك إياهم فوق ذنوبهم أقتُصَّ لهم منك الفضل**»، قال: فتنحَّى الرجل فجعل يَبْكي ويَهْتِف، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أما تقرأ كتاب الله:**

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾» الآية، فقال الرجل: والله يا رسول الله ما أجد لي ولهم شيئاً خيراً من مفارقتهم أُشهِدُك أنّهم أحرارٌ كلُّهم.

رواه أحمد (٦/٢٨٠)، والترمذي في التفسير (٢٩٦٠) وسنده صحيح.

قوله: ونضع الموازين إلخ، أي: ونقيم الموازين العادلة التي توزن بها الأعمال يوم القيامة فلا يجحد إحسان محسن، أو يضيع، كما تحضر السيئآت فلا تكتم أو تخفى، مهما كان الإحسان أو الإساءة، ولو مثقال حبة خردل.

{٥٨٥} ـ وعن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**إن الله سَيُخَلِّص رجلاً من أُمّتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فَيَنْشُرُ عليه تسعةً وتسعين سِجِلاًّ، كلّ سجلٍ مثلُ مدّ البصر، ثم يقول: أتُنْكِرُ مِن هذا شيئاً أظلمَكَ كَتَبَتِي الحافِظون؟ يقول: لا يا ربّ، فيقول: أفلَكَ عذرٌ؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظُلم عليك اليومَ، فتُخرجُ بطاقةٌ فيها أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمّداً عبده ورسوله، فيقول: احضُر وَزْنَك فيقول: يا ربّ ما هذه البطاقةُ مع هذه السِّجِلاّتِ؟ فقال: فإنك لا تُظْلَمُ، قال: فتوضع السجلات في كفّة والبطاقة في كفّة، فطَاشَتْ السجلات، وثَقُلَتْ البطاقة ولا يَثْقُل مع اسم الله شيء**».

رواه أحمد (٢/٢١٣، ٢٢١)، والترمذي في الإيمان (٢٤٥٥) بتهذيبي، وابن ماجه في الزهد (٤٣٠٠)، وابن حبان (٢٥٢٤) بالموارد، والحاكم (١/٥٢٩/٦)، وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

سيخلص ـ بفتح السين وضم الياء وكسر اللام المشدّدة ـ أي: يميز ويختار، سجلاّ ـ بكسر السين والجيم ـ الكتاب الكبير، فطاشت أي: خفت. وفي الحديث فضل كلمة التوحيد كيف وهي مفتاح الجنّة، وعليها مدار الأحكام الشرعية كلّها، وفي الحديث دليل على أن في القيامة ميزاناً، وأن له كفتين كفة للحسنات وأخرى للسيّئات، وبهذا قال جمهور العلماء لظواهر القرآن والسنّة.

قوله تعالى: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [٦٣]:

{٥٨٦} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**لم يَكْذِبْ إبراهيمُ عليه السلام في شيءٍ قطّ إلا في ثلاثِ كَذَباتٍ: قوله: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾** ولم يكن سقيماً، وقوله لسارة: ﴿أختي﴾، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾».

رواه الترمذي في التفسير (٢٩٦٢) هكذا مختصراً وحسنه وصححه، ورواه البخاري في الأنبياء (٧/٢٠١، ٢٠٤)، وفي النكاح وفي البيوع وفي مواضع، ومسلم في الفضائل (١٥/١٢٣) مطولاً، وقد أوردته في العبر مفصلاً مطولاً ومشروحاً والحمدلله.

الكذب: هو الإخبار بخلاف الواقع، وإطلاق الكذب هنا من باب المعاريض، وهو القول الذي يحتمل معنيين: معنى يعتقده السامع كذباً ومعنى هو عند المتكلم حق وصدق، وفي الحديث: «**إن في المعارض لمندوحة عن الكذب**»، رواه البخاري في الأدب المفرد.

وإذا رجعنا إلى واقع الحديث وجدنا كل ما قاله الخليل عليه السلام حقاً.

قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [٧٩]:

{٥٨٧} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**كانت امرأتان معهما ابناهُما جاء الذِّئب، فذهب بابنِ إحداهُما، فقالت صاحبتُها: إنّما ذهبَ بابْنِك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتَحَاكَما إلى داود عليه السلام فقضى به للكُبْرَى، فخرجَتا على سليمان بن داود عليهما السلام فأخبرَتَاه، فقال: إيتوني بالسكين أشُقُّهُ بينكم، فقالت الصُّغرى: لا تَفْعَلْ يَرْحَمك الله هو ابنُها، فقضَى به للصُّغرى**».

رواه أحمد (٢/٣٤٠)، والبخاري في الأنبياء (٧/٢٧٥) وفي الفرائض، ومسلم (١٢/١٨)، والنسائي في الكبرى (٣/٤٧٢، ٤٧٣) كلاهما في الأقضية.

ما جاء في هذا الحديث هو داخل في الآية الكريمة، لأن الله تعالى فهَّم الحكم والقضاء سليمان، في هذه الحادثة... وفيه أدب من آداب القاضي لاستخراج الحق.

قوله تعالى: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [٨٧]:

{٥٨٨} ـ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**دعوةُ ذِي النون إذْ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدْع بها رجلٌ مسلم في شيء قطّ إلا استجاب الله له**».

رواه أحمد رقم (١٤٦٢)، والترمذي في الدعوات (٣٢٧٦)، والنسائي في الكبرى (٦/١٦٨)، والحاكم (١/٥٠٥) بسند صحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

في الحديث أن الدعاء بهذه الآية الكريمة مما تُرجى معه الاستجابة إذا كانت شروط الاستجابة متوفرة، والآية قد اشتملت على توحيد الله تعالى وتنزيهه ثم الاعتراف له تعالى بالذنب وظلم النفس، وفي ذلك استمطار لرحمة الله ومغفرته...

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [٩٦]:

{٥٨٩} ـ عن النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه قال: ذكر رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم الدجالَ ذات غداة، وفيه: «**فبينما هم كذلك إذ أوحى الله عزّ وجلّ إلى عيسى ابن مريم عليه السلام: أني قد**

أخرجتُ عباداً من عبادي لا يَدَانِ لك بقتالهم فَحَرِّزْ عبادي إلى الطور فيبعث الله عزّ وجلّ يأجوج ومأجوج، كما قال تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾».

رواه أحمد (٤/١٨١، ١٨٢)، ومسلم (١٨/٦٣، ٧٠)، والترمذي (٢٠٦٨)، وابن ماجه (٤٠٧٥)، ثلاثتهم في الفتن، ويأتي مطوّلاً في المصدر المذكور مع أحاديث أخرى إن شاء الله تعالى.

الحدب ـ بفتحتين ـ: ما ارتفع من الأرض، وقوله: ينسلون أي: يسرعون. وقوله: فَحَرِّزْ عبادي أي: اجعل الطور لهم حرزاً.

قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [١٠٣]:

{٥٩٠} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قام رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بالموعظة فقال: «**يا أيها الناس إنكم مَحشورون إلى الله حُفاةً عُراةً غُرْلاً ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾**» الآية، قال: «**أول من يكسى يوم القيامة إبراهيمُ، وأنه سيُؤْتَى برجال من أُمّتي فيُؤخذُ بهم ذات الشمال، فأقول: يا ربّ أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾** إلى **﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾**، فيقال: هؤلاء لم يزالوا مُرتدين على أعقابهم منذ فارقتَهم».

رواه البخاري في التفسير (١٠/٥٣) وفي الرقاق، ومسلم في الجنّة والنار (١٧/١٩٣، ١٩٤)، والترمذي في صفة القيامة (٢٢٤٣)، وفي التفسير (٢٩٦٣)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٠٨).

الآية والحديث يدلاّن على أن العباد سيحشرون من قبورهم على الحالة التي ولدوا عليها، وأنه تعالى وَعَدَ وعداً لا يَتَخَلَّفُ... وما جاء في الحديث في طرد بعض من صاحب النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عن الحوض والأخذ بهم ذات الشمال المراد بهم الأعراب الذين ارتدوا آخر

حياة النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وأيام الصدّيق رضي الله تعالى عنه، ولا يوجد من الصحابة المخلصين كالمهاجرين والأنصار من ارتدّ منهم أحد أبداً، خلاف ما يفتريه الشيعة الروافض في قولهم بأن الصحابة كلّهم ارتدوا إلا نفراً منهم.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [١٠٧]:

{٥٩١} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين، قال: **«إني لم أُبعَثْ لَعَّاناً، وإنما بُعِثْتُ رحمةً»**.

رواه مسلم في الأدب (١٥٠/١٦).

{٥٩٢} ـ وعنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«إنَّما أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ»**.

رواه الحاكم (٣٥/١)، وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي، ورواه ابن سعد في الطبقات (١٩٢/١)، والدارمي رقم (١٥) عن أبي صالح ذكوان السمان مرسلاً وسنده صحيح، وأورده نور الدين في المجمع (٢٥٧/٨) برواية البزار، والطبراني، وقال: رجال البزار رجال الصحيح.

كانت حياته صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم رحمة، وموته رحمة، ورحمته عمّت المؤمن والكافر، فمن آمن به كتبت له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن به عوفي في الدنيا مما أصاب الأُمم من الاستئصال فهو رحمة أهداها الله إلينا، فمن قبلها سعد في الدارين، ومن ردّها خسر وشقي شقاء لا يسعد بعده أبداً.

وبهذا تمّت سورة الأنبياء، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمد وآله وصحبه.

سورة الحج

هي من السور المدنية جاءت بعد ثنتي عشرة سورة مكيات متواليات، وهي ستّ وسبعون آية.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾ [١ ـ ٢]:

{٥٩٣} ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«يقول الله عزّ وجلّ يوم القيامة: يا آدم، فيقول: لبّيك ربنا وسَعْدَيك، فينادَى بصوتٍ: إن الله يأمرُكَ أن تُخرِجَ من ذرّيتك بَعْثاً إلى النار، قال: يا رب وما بعثُ النار؟ قال: مِنْ كل ألفٍ أراهُ، قال: تِسعمِائة وتسعةً وتسعين، فحينئذٍ تضع الحامل حَمْلها ويَشِيبُ الولد،** ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ فاشتدّ ذلك عليهم قالوا: يا رسول الله أيّنا ذلك الرجل؟ فقال: **أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفاً ومنكم رجل**، قال: ثم قال: **والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنّة»**، فحمدنا الله وكبّرنا ثم قال: **«والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنّة»**، فحمدنا الله وكبّرنا ثم قال: «والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنّة، إن مَثَلَكُمْ في الأُمم كمثل

الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالرقمة في ذراع الحمار»، وفي رواية: **«أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض»**...

رواه أحمد (٣/٣٠٢)، والبخاري في أحاديث الأنبياء وفي التفسير (١٠/٥٧)، وفي الرقاق ومسلم آخر الإيمان (٣/٩٧، ٩٨).

{٥٩٤} ـ وعن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لما نزلت عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿شَدِيدٌ﴾، قال: نزلت عليه وهو في سفر، قال: **«أتدري أي يوم ذلك»**؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **«ذلك يوم يقول الله تعالى لآدم عليه السلام: ابعث بعث النار، قال: يا رب وما بعث النار؟ قال: تسعمائة وتسعة وتسعون في النار، وواحد في الجنّة»**، فأنشأ المسلمون يبكون، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«قاربُوا وسَدِّدُوا فإنها لم تكن نبوّةٌ قط إلا كان بين يديها جاهليةٌ»**، قال: **«فيؤخذ العدد من الجاهلية فإن تمت وإلا كملت من المنافقين، وما مثلكم والأُمم إلا كمثل الرقمة في ذراع الدابّة، أو كالشامة في جنب البعير»**، ثم قال: **«إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنّة»** فكبّروا، ثم قال: **«إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنّة»** فكبّروا، ثم قال: **«إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنّة»** فكبّروا قال: ولا أدري أقال: الثلثين أم لا. وفي رواية: **«فوالذي نفس محمد بيده إنكم لمع خليقتين ما كانتا مع شيء قطّ إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج، ومن هلك من بني آدم وبني إبليس»**، قال: فأسري عنهم.

رواه أحمد (٤/٤٣٥)، والترمذي (٢٩٦٤)، والنسائي (٦/٤١٠) في الكبرى، والحاكم (١/٢٨) ج (٢/٢٢٣، ٣٨٥) ج (٤/٥٦٧)، وحسّنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم والذهبي.

وفي الباب عن أنس رواه ابن حبان (١٧٥٢) بالموارد، والحاكم (١/٢٩) ج (٤/٥٦٦، ٥٦٧) وصححه، وعن ابن عباس رواه الحاكم أيضاً (٤/٥٦٨) وصححه ووافقه الذهبي.

الشامة: هي الخال في الجسد تخالف لونه، وقوله: الرقمة أي: التي تكون في ذراع الدابة، وهما رقمتان في ذراعيها.

وفي حديثي الباب وما معهما هول عظيم مما سيكون يوم القيامة حيث لا يدخل الجنّة إلا واحد من الألف، لكن فيهما بشارة لهذه الأُمّة حيث إنهم سيحتلون النصف من سكان الجنّة، وأنّ ذلك الواحد من الألف سيكون منهم إن شاء الله تعالى.

والخاسرون الهالكون سيكونون من يأجوج ومأجوج وغيرهم من الكافرين والمنافقين وبني إبليس، جعلنا الله تعالى بمنّه وكرمه من أشرف سكان الجنّة وأكرمهم لديه، آمين.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ إلخ [٥]:

{٥٩٥} ـ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: حدثنا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو الصادق المصدوق: **«إنّ أحدَكم يُجمعُ خَلْقه في بطن أمه أربعين يوماً نُطفة، ثم يكون عَلَقة مثلَ ذلك، ثم يكون مُضغة مثل ذلك، ثم يُرسلُ الله المَلك فينفُخُ فيه الروحَ ويُؤمر بأربع كلمات: بكَتْب رزقِهِ، وأجلِهِ، وعملِهِ، وشقيّ أم سعيد، فوالله الذي لا إلـه غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنّة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنّة فيدخلها»**.

رواه أحمد (١/٣٨٢، ٤٣٠)، والبخاري في بدء الخلق وفي القدر (١٤/٢٧٧، ٢٧٨)، ومسلم (١٦/١٩٠، ١٩٢)، وأبوداود (٤٧٠٨)، والترمذي (١٩٦٩)، وابن ماجه (١٩) كلّهم في القدر.

العلقة: دم جامد مثل علقة الماء، والمضغة ـ بضم الميم ـ: القطعة اليسيرة من اللحم بقدر ما يمضغ. وفي الآية والحديث بيان للأطوار التي

يمرّ عليها الإنسان في نشأته في رحم أُمّه، وأنه يكتب عليه كتابة ثانية أو ثالثة في بطن أمّه: رزقه، وأجله، وعمله، وحالته من سعادة أو شقاوة، وهذه الكتابة كالتأكيد للكتاب الأول وإعلام الملائكة... وباقي أبحاث الحديث تأتي إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ الآية [١١]:

{٥٩٦} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ الآية، قال: كان الرجل يقدَمُ المدينة، فإن ولدت امرأته غلاماً، ونتجت خيله، قال: هذا دينٌ صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء.

رواه البخاري في التفسير (٥٨/١٠)، وفي رواية: كان ناس من الأعراب يأتون النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فيسلمون، فإذا رجعوا إلى بلادهم فإن وجدوا عام غيث وعام خصب، وعام ولاد حسن، قالوا: إن ديننا هذا لصالح فتمسّكوا به، وإن وجدوا عام جدب وعام ولاد سوء وعام قحط، قالوا: ما في ديننا هذا خير، فأنزل الله تعالى على نبيّه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ الآية.

رواه ابن جرير (٢٢/١٧)، وابن أبي حاتم (٢٤٧٦/٨، ٢٤٧٧) في تفسيريهما.

على حرف أي: على شكٍّ، وقوله: فتنة أي: الضيق في العيش... وقوله: انقلب على وجهه أي: ارتدّ ورجع إلى ما كان عليه من الكفر.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ﴾ [١٩]:

{٥٩٧} ـ عن عليّ رضي الله تعالى عنه قال: أنا أوّل من يَجْثُو بين يدي الرحمٰن للخصومة يوم القيامة، قال قيس بن عباد: وفيهم نزلت ﴿هَٰذَانِ

خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ﴾ قال: هم الذين بارزوا يوم بدر: عليّ، وحمزة، وعبيدة، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة.

رواه البخاري في المغازي (٢٩٨/٨)، وفي التفسير (٥٩/١٠)، والنسائي في الكبرى (٤٠١/٦)، ومثله عن أبي ذرّ رضي الله تعالى عنه رواه البخاري في المصدرين، ومسلم آخر الكتاب (١٦٦/١٨)، والنسائي في الكبرى (٤٠١/٦)، وابن ماجه في الجهاد (٢٨٣٥).

المراد بالخصمين: الفريقان فريق أهل الإيمان وهم: عليّ وحمزة وعبيدة، وفريق أهل الكفر وهم شيبة وأخوه وابن أخيه، وخصامهم هو معاداتهم ومحاربتهم، وقول الإمام عليّ: أنا أول من يجثو للخصومة، أي: يقعد على ركبتيه مخاصماً. قال العلماء: والمراد بهذه الأولية تقييدها بالمجاهدين من هذه الأُمّة؛ لأن المبارزة المذكورة هي أول مبارزة وقعت في الإسلام.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾﴾ [١٩ ـ ٢٠]:

{٥٩٨} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**إن الحميم لَيُصَبّ على رؤوسهم فينفذ الجمْجَمَة حتى يَخْلُص إلى جوفه، فيسلُت ما في جوفه حتى يبلغ قدميه، وهو الصَّهر ثم يعاد كما كان**».

رواه الترمذي في صفة جهنّم (٢٣٩٩)، وابن جرير (١٣٣/١٧)، وابن أبي حاتم (٢٤٨١/٨)، وحسنه الترمذي وصححه.

الحميم: هو الماء البالغ النهاية في الحرارة، وقوله: فينفذ أي: يدخل ويخلص ـ بضم اللام ـ أي: يصل، فيسلت أي: يمسح ويقطع، والصهر ـ بفتح الصّاد المشدّدة ثم هاء مفتوحة ـ: هو الإذابة. ومعنى الآية والحديث أن الكفار سيصب من فوق رؤوسهم الماء الحار، فيدخل في جماجم

نصف يوم؟ قال: «**أوَ ما تقرأ القرآن؟**» قلت: بلى، قال: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾.

في الحديث مع الآية أن يوم الآخرة فيه ألف سنة، وهذا إنما هو تقريب لعقولنا فقط؛ لأن الآخرة ليس فيها أيام كأيامنا، لأن اليوم والليل ينشآن بسبب سير الشمس ولا شمس في الآخرة فالواجب الإيمان بما قال الله على ما أراد سبحانه، لأن ذلك من عالم الغيب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ [٧٣]:

{٦٠٥} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**قال الله عزّ وجلّ: ومن أظلمُ مِمّن ذهب يخلُق كخَلْقي فلْيَخْلُقوا مِثْلَ خَلْقِي ذَرَّةً، أو ذُبابةً، أو حَبَّة**»، وفي رواية: «**فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شَعِيرة**».

رواه أحمد (٣٩١/٢، ٤٥١، ٥٢٧)، والبخاري في اللباس وفي التوحيد (٣٢٠/١٧)، ومسلم في اللباس (٩٣/١٤، ٩٤) وغيرهم.

ومن أظلم أي: لا أحد أظلم ممن إلخ، فالإنسان وغير الإنسان من أي خلقٍ كان، لا يستطيع خلق أصغر شيء مما في هذا الكون لا ذرة ولا حبّة ولا أي شيء، فالكل خلق الله، ومن خلق شيئاً، فإنما خلقه بقدرة الله وإذنه... وقد ضلّ هنا أقوام وأمم. وإذا كان الإنسان لا قدرة له على خلق شيء بذاته، فكيف بالجمادات التي يعبدها الضالون مِن بني آدم.

قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ [٧٨]:

{٦٠٦} ـ وعن الحارث الأشعري رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**مَنْ دعا بدَعْوى الجاهلية فإنه من جُثَى جهنم**»، قال: يا رسول الله وإن صام وصلّى؟ قال: «**وإنْ صام وصلى،**

فادْعُوا بِدَعْوى الله التي سَمَّاكم اللهُ بها المسلمين المؤمنين عبادَ الله».

رواه أحمد (١٣٠/٤، ٢٠٢)، والترمذي في الأمثال (٢٦٧٤)، والنسائي في الكبرى (٤١٢/٦)، وابن خزيمة (١٨٩٥)، وابن حبان (١٢٢٢، ١٥٥٠) بالموارد، وأبو يعلى (١٥٧١)، والحاكم (١١٧/١، ١١٨، ٤٢١، ٤٢٢) مطوّلاً ومختصراً، وحسّنه الترمذي وصححه كما صححه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبي.

قوله: من جثى جهنم أي: من جماعات أهل جهنّم.

والحديث مبيّن للآية الكريمة وأن الضمير المذكور في قوله تعالى: ﴿سَمَّىٰكُمُ﴾ إلخ يعود على الله عزّ وجلّ، فهو الذي سمّانا مسلمين في الكتب القديمة، وفي هذا القرآن، وهذا القول هو الصحيح الراجح، وبه فسّره ابن عباس وغيره من السلف رضي الله تعالى عنهم وعليه مشى ابن جرير رحمه الله تعالى. وبه تمت سورة الحج، والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمدا وعلى آله وصحبه.

سورة المؤمنون

هي من السور المكية جاءت بين سورتين مدنيتين: الحج قبلها، والنور بعدها.

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ إلى: ﴿عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [١ ـ ٩]:

{٦٠٧} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قيل لها: يا أمّ المؤمنين كيف كان خُلُق رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم؟ قالت: كان خُلُقُهُ القرآن، فقرأت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ حتى انتهت إلى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾.

قالت: هكذا كان خلق رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

رواه البخاري في الأدب المفرد (٣٠٨)، والنسائي في الكبرى (٤١٢/٦)، والحاكم (٣٩٢/٢) وصححه ووافقه الذهبي، وشطره الأول في صحيح مسلم، كما يأتي في سورة القلم وغيرها.

والحديث يدلّ على أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان متخلّقاً بأخلاق القرآن أمراً ونهياً، فكانت أخلاق القرآن متمثّلة فيه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [١٠ ـ ١١]:

{٦٠٨} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**فإذا سألتُم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسَطُ الجَنّة، وأغلى الجنة وفوقَه عرشُ الرحمٰن، ومنه تَفَجَّرُ أنهارُ الجنّة**».

رواه البخاري في الجهاد (٣٥٢/٧)، وفي التوحيد (١٨٦/١٧)، ويأتي في الجهاد وغيره.

الحديث يدلّ على أن الفردوس هي أفضل منازل الجنان وأشرفها، وقد أخبر تعالى في هذه الآيات أنه جعلها إرثاً لهؤلاء المؤمنين الذين وصفهم بالصفات المذكورة وهي: الإيمان، والخشوع في الصلاة، والإعراض عن اللَّغو، وأداء الزكاة، وحفظ الفرج، ومراعاة الأمانات والعهد، والمحافظة على الصلوات الخمس، فمن أحرز هذه الصفات وتخلّق بها كانت الفردوس إرثاً له.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢﴾ [١٢]:

{٦٠٩} ـ عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**إن الله خلق آدم من قَبْضَةٍ قَبَضَها من جَمِيع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر، والأبيضُ، والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب وبين ذلك**».

رواه أبو داود (٤٦٩٣)، والترمذي (٢٧٦٣) وغيرهما، وحسّنه الترمذي وصححه، وقد تقدم أول البقرة.

والسلالة: هي الخلاصة والصفوة اسلتّت من الطين، وسُمّي سلالة لأنه سل من كل تربة الأرض.

قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [٢٠]:

{٦١٠} ـ عن عُمَر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**كُلُوا الزَّيتَ وادَّهِنُوا به فإنه مِن شجرةٍ مُبارَكَة**».

رواه الترمذي في الأطعمة (١٦٩٦)، وفي الشمائل (١٥٩)، وابن ماجه (٣٣١٩)، والحاكم (١٩٥/٤) وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي، وللحديث شواهد أحسنها حديث أبي أُسيد رواه أحمد، والترمذي في الشمائل (١٥٩)، وفي الجامع (١٦٩٧)، والحاكم (٣٩٧/٢) وصححه ووافقه الذهبي.

والحديث مبيّن للشجرة المذكورة وأنها شجرة الزيتون، وكانت مباركة لما فيها من المنافع وأعمّها وأعظمها منفعة الزيتون وزيته، فإنهما من أعظم نعم الله تعالى علينا. وفي الزيت بالإضافة إلى أنه إدامٌ عظيمٌ، منافعُ طبّية وصحية، ولذلك أرشدنا الرسول صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى أكله والادّهان به. وقوله تعالى: ﴿تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ أي: الزيت، وصبغ للآكلين، أي: وإدام للآكلين، وسمّي الزيت صبغاً لأنه يلون الخبز إذا غُمس فيه.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [٥١]:

{٦١١} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إن الله طَيِّبٌ لا يَقبل إلاّ طيّباً، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾**، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾»، ثم ذكر «**الرجل يُطيل السفر أشعثَ أغبرَ يمدُّ يديه إلى السماء: يا ربُّ، يا ربُّ، ومَطْعَمُه حرامٌ، ومَشْرَبُه حرام، ومَلْبَسه حرام، وغُذِيَ بالحرام، فأنّى يُستجاب لذلك**».

رواه أحمد (٣٢٨/٢)، ومسلم في الزكاة (٧/٥، ١٠٠)، والترمذي في التفسير (٢٧٩٨)، والدارمي في الرقاق وغيرهم.

هذا الحديث يعدّ من قواعد الإسلام، وفيه أن الله عزّ وجلّ لا يقبل من الأعمال والأقوال إلا الطيّب الخالص لله تعالى، وأن الرسل وأتباعهم كلّهم في الأحكام سواء، وفيه أن من كان كسبه خبيثاً لا يُستجاب له دعاؤه، بل ولا يقبل منه أي عمل، ولو بلغ ما بلغ في التقشّف وإطالة السفر في تعاطي القُرُبات والتظاهر بالتواضع والتذلّل، فإن الأصل ـ وهو طيب اللقمة ـ ضائع، أعاذنا الله تعالى من مواقع سخطه وغضبه، آمين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [٥٧ ـ ٦١]:

{٦١٢} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها زوج النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قالت: سألت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ إلخ، قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر، ويسرقون؟ قال: «**لا يا بِنتَ الصِّدّيق وَلٰكِنَّهُمْ الذين يَصُومُونَ ويُصَلُّون وَيَتَصَدَّقُونَ، وهم يخافُون أن لا تُقْبَل منهُم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون**»، وفي رواية: أهو الذي يَزْني، ويسرق، ويشربُ الخمر؟

رواه أحمد (١٥٩/٦، ٢٠٥)، والترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجه (٤١٩٨)، وابن جرير (٣٤/١٨)، والحاكم (٢٩٣/٢، ٢٩٤) وصححه ووافقه الذهبي، والانقطاع وصله ابن جرير.

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: إن المؤمن جمع إحساناً وشفقة، وأن المنافق جمع إساءةً وأمْناً، قال بعض الأكابر: إن تركيب هذه الصفات في نهاية الحسن، فالصفة الأولى دلّت على حصول الخوف

الشديد، والثانية دلّت على التصديق بوحدانيّة الله تعالى، والثالثة دلّت على ترك الرياء في الطاعات، والرابعة دلّت على أن المُسْتَجْمع لتلك الصفات الثلاث يأتي بالطاعات مع الوجل والخوف من التقصير، وذلك هو نهاية مقام الصدّيقين، رزقنا الله تعالى التحقّق بها والوصول إليها، آمين.

فالقوم متّصفون بصفات الكمال قائمون بما كلّفهم الله تعالى بإخلاص، وهم مع ذلك خائفون وجلون أن لا تقبل منهم أعمالُهم الصالحةُ.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [٧٦]:

{٦١٣} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: جاء أبو سفيان إلى النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: يا محمد أنْشُدُكَ الله والرحمَ فقد أكلنا الهِلْعِزَ ـ يعني: الوبر والدَّم ـ فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ إلخ.

رواه النسائي في الكبرى (٤١٣/٦)، وابن حبان (١٧٥٣) بالموارد بسند حسن، وله طرق يصحح بها، وأصله في الصحيحين كما يأتي في سورة الدخان إن شاء الله تعالى.

والهلعز ـ بكسر الهاء وسكون اللام ثم عين مكسورة آخره زاي ـ: وهو خلط الدم بوبر الإبل، ثم يشوى فيؤكل.

ومعنى الآية الكريمة: ولقد ابتليناهم بأنواع من المصائب والشدائد من قحط وجوع... ومع ذلك فلم يتّعظوا ولا خضعوا لله ولا تواضعوا لجلاله، وما دعوا ربهم وتضرّعوا إليه لكشف ما نزل بهم من بلاء، بل تمادوا واستمرّوا على عتوّهم وطغيانهم.

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [١٠١]:

{٦١٤} ـ عن جابر رضي الله تعالى عنه أنه سمع عمر رضي الله تعالى عنه يقول للناس حين تزوج ابنَةَ عليّ رضي الله تعالى عنهما: ألاَ تُهَنُّوني

سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: **«يَنْقَطِعُ يومَ القِيامةِ كُلَّ سَبَبٍ ونَسَبٍ إلا سببي ونسبي»**.

رواه الطبراني في الكبير (٢٦٣٣، ٢٦٣٤)، والحاكم (١٤٢/٣)، والبيهقي (١١٤/٧)، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (١٩٩/١)، قال النور في المجمع (٢٧١/٤، ٢٧٢ ج ١٧٣/٩)، رجال الطبراني رجال الصحيح غير الحسن بن سهل وهو ثقة. وللحديث مع ذلك شواهد عن ابن عباس وابن الزبير وابن عمر والمسور بن مخرمة وغيره، فالحديث صحيح لا شكّ فيه.

ظاهر الآية الكريمة يدلّ على أن كل الأنساب تنقطع يوم القيامة، غير أن الحديث خصّ الآية بأن نسب النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لا ينقطع، وأنه موصول في الدنيا والآخرة، وهذا ما دعا سيدنا عمر إلى التزوّج بأُمّ كلثوم بنت الإمام عليّ رضي الله تعالى عنهم جميعاً.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [١٠٥]:

{٦١٥} ـ عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾، قال: **«تَشْوِيه النار فتَقلُص شَفتُهُ العُلْيا حتى تَبْلُغَ وَسطَ رأسِهِ، وتَسْتَرْخِي شفتُه السُّفْلَى حتى تبلُغَ سُرَّته»**.

رواه أحمد (٨٨/٣)، والترمذي (٢٩٧٠)، والحاكم (٣٩٥/٢) وحسّنه الترمذي وصححه، وكذا الحاكم ووافقه الذهبي، وذلك لشاهد له عن ابن مسعود أورده النور (٧٣/٧) برواية كبير الطبراني (٩١٢١) وقال: رجاله ثقات. ولا يضرّ انقطاعه. تَقْلُصُ أي: ترتفع وتنزوي.

قوله: كالحون أي: عابسون قد بدت أسنانهم، وتقلّصتْ شفاهُهُم أي: انزوت وارتفعت، وهذا بعض من مشاهد عذاب الكفار وصفاتهم في جهنم، أعاذنا الله تعالى منها، آمين.

وبهذا تمّت سورة المؤمنون والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه أبد الآبدين.

سورة النـــور

هي سورة عظيمة من السور المدنية التي اهتمّت بالحديث عن أحكام الأسرة وشؤون النساء وذوات البيوت، وذكرت لهن من الأحكام ما لم يذكر في غيرها، وهي أربع وستون آية.

قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [٢]:

{٦١٦} ـ عن أبي هريرة وزيد بن خالد رضي الله تعالى عنهما قالا: إن رجلاً من الأعراب أتى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله أنشُدك إلاّ قضيت لي بكتاب الله، فقال الخصْم الآخر، وهو أفقَهُ منه: نعم، واقضِ بيننا بكتاب الله وائذن لي، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**قل**»، فقال: إنّ ابني كان عَسِيفاً على هذا، فزَنَى بامرأتِهِ وإنّي أُخبِرْتُ أن على ابْنِي الرجمَ فافتديتُ منه بمائة شاة وبوليدةٍ، فسألت أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلدَ مائةٍ وتغريبَ عام، وأن على امرأة هذا الرجم، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**والذي نفسي بيده لأقضيَنَّ بينكما بكتاب الله، الوليدةُ والغنمُ رَدٌّ عليه وعلى ابنك جلدُ مائة وتغريبُ عام، اغْدُ يا أُنَيس إلى امرأةِ هذا فإن اعترفت فارْجُمْهَا فغدا عليها، فاعترفت فأمَرَ بها فرُجِمَتْ**».

رواه أحمد (١١٦/٤)، والبخاري (٦٨٢٧/٦٨٢٨، ٦٨٣١)، ومسلم (١٦٩٧، ١٦٩٨)، وأبو داود (٤٤٤٥)، والترمذي (١٤٣٣)، والنسائي في

الكبرى (٤١٤) وفي المجتبى، وابن ماجه (٢٥٤٩) كلّهم في الحدود، ورواه البخاري في الوكالة وفي الشهادات، وفي الشروط وفي الأحكام وفي أخبار الآحاد.

العسيف: هو الأجير، والوليدة: الأَمَة.

وفي الآية نصّ صريح في جلد الزاني والزانية مائة جلدة، وقيدتها السنة بالبكر وزادت تغريب عام، فمن أنكر هذا الحكم فليس من المسلمين في شيء، ومن اعترف به واسْتَبْدَلَهُ بغيره من قوانين البشر كان كافراً ظالماً فاسقاً، كما نطق به القرآن الكريم.

وفي الحديث العمل بخبر الواحد، وأن الاعتراف والإقرار معمول به، وأن المرأة المحصنة إذا زنت ترجم ولا خلاف في ذلك إلا ما أنكره الخوارج.

قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ [٣].

{٦١٧} ـ عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: كان رجل يقال له: مِرثَدُ بن أبي مِرثَد وكان رجلاً يحمل الأَسْرَى من مكّة حتى يأتيَ بهم المدينة، قال: وكانت امرأةٌ بَغِيٌّ بمكة، يقال لها عَنَاقٌ وكانت صديقَةً له، وأنه كان وعد رجلاً من أُسارى مكة يحتمله قال: فجئتُ حتى انتهيت إلى ظلّ حائطٍ فلما انتهت إليّ عرفتْ، فقالت: مرثد، فقلت: مرثد، فقالت: مرحباً وأهلاً، هلمّ فبِتْ عندنا الليلةَ، قلت: يا عناقُ حرّم الله الزّنا، قالت: يا أهل الخيام هذا الرجل يحتمل أسرَاءَكُم، قال: فتبعني ثمانيةٌ، وسلكت الخندمة فانتهيت إلى غارٍ أو كهف فدخلت فجاءوا حتى قاموا على رأسي فبالوا، فطلّ بولهم على رأسي، وعمَاهُم الله عني، قال: ثم رجعوا ورجعتُ إلى صاحبي، فحملتُه وكان رجلاً ثقيلاً حتى انتهيتُ إلى الإذْخِر، ففكَكْتُ عنه أكْبُلَه، فجعلت أحمِلُه ويُعينُني حتى قدمتُ المدينة، فأتيت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقلت: يا رسول الله أنكِحُ عناقاً

ـ مرتين ـ فأمسك رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ولم يرد عليَّ شيئاً حتى نزلت: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ الآية، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**يا مرثد الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة، فلا تنكحها**».

رواه أبو داود (٢٠٥١)، والترمذي في التفسير (٢٩٧١) بتهذيبي، والنسائي في المجتبى (٣٢٢٨)، وابن أبي حاتم (٢٥٢٦/٨)، والحاكم (١٦٦/٢)، والبيهقي (٥٣/٧)، وحسنه الترمذي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وله طريق آخر مختصراً، وسمّيت المرأة أم مهزول رواه أحمد (١٥٩/٢، ٢٢٥)، والنسائي في الكبرى (٤١٥/٦)، وابن أبي حاتم (٢٥٢٥/٨)، والحاكم (١٥٩/٢، ٢٢٥) وصححه ووافقه الذهبي.

قوله: أكبله ـ بضم الباء وفتح اللام ـ: جمع كبل وهو القيد.

وفي الآية والحديث دليل على تحريم نكاح الزانية، وأن كل جنس يرغب في جنسه، فالزاني لا يرغب إلا في زانية مثله أو مشركة، وكذا العكس، وتأتي بقية في كتاب النكاح.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٧﴾ **إلخ**:

{٦١٨} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن هلالَ بن أُمَيَّة قذَفَ امرأته عند النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بشَريك بن سَحْماء، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**البَيِّنَةُ وإلا حَدٌّ في ظهرك**»، قال: فقال هلال: والذي بعثك بالحق إنّي لصادق ولينزلنّ في أمري ما يُبَرِّئُ ظهري من الحدّ، فنزل: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، فقرأ إلى أن بلغ: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٩﴾، قال: فانصرف النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فأرسل إليهما فجاءا، فقام هلالُ بن أمية فشهد والنبيّ

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**إن الله يعلمُ أن أحدَهُما كاذبٌ، فهل منكما تائبٌ**»؟ ثم قامت فشهدتْ، فلما كانت عند الخامسة: ﴿أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، قالوا لها: إنها موجبة، فقال ابن عباس: فَتَلَكَّأَت ونَكَسَتْ حتى ظننا أن ستترجع، فقالت: لا أَفْضَحُ قومي سائرَ اليوم، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أبصِرُوها فإن جاءتْ به أكْحَلَ العَيْنَين سابغ الأَلْيَتَيْنِ خدلَّج الساقين فهو لِشَريك بن سَحْمَاء**»، فجاءت به كذلك، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**لولاَ ما مَضَى مِنْ كِتَابِ الله لكانَ لَنَا ولَها شَأْنٌ**».

رواه البخاري في التفسير (٦٥/١٠، ٦٦) وفي اللعان، وأبو داود (٢٢٥٤، ٢٢٥٦)، والترمذي في التفسير (٢٩٧٣)، وابن ماجه (٢٠٦٧) وغيرهم، وقصة عويمر العجلاني تأتي في النكاح إن شاء الله تعالى.

قوله: سابغ الاليتين أي: عظيم الفخذين، وقوله: خدلَّج ـ بفتحات مع تشديد اللام ـ أي: عظيم الساقين، وقوله: فتلكّأت ـ بفتحات مع تشديد الكاف ـ أي: وقفت وتباطأتْ أن تُلاعِنَ.

وفي الآية مع الحديث بيان حكم اللعان وهو أن يقذف الرجل زوجته بالزنا ولا يجد من يشهد له، فيرفع أمره إلى الحاكم الإسلامي، فيأمره بأن يقول: أشهد بالله إني لصادق، يقول ذلك أربع مرات ويختم في الخامسة بقوله: أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، فإن صدقته رجمت بالحجارة، وإن كذبته حلفت هي الأخرى أربع مرات قائلة: أشهد بالله أني لصادقة وتقول في الخامسة: أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين، ثم يفرق بينهما فلا يجتمعان أبداً، ويلحق الولد بأُمّه ترثه ويرثها... ويأتي مزيد لهذا في اللعان من النكاح إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١١﴾ [١١]:

{٦١٩} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها زوج النبيّ صلّى الله تعالى

عليه وآله وسلم قالت: كان النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه فأيتهنّ خرج سهمُها خرج بها رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوةٍ غزاها فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بعدما نزل الحجابُ، فأنا أُحْمَل في هَوْدَجي وأنزلُ فيه، فسِرْنا حتى إذا فرغ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من غزوته تلك وقَفَل ودَنَوْنا من المدينة فأقبلت، آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى إذا جاوزت الجيش، فلما قضيتُ شأني أقبلتُ إلى رحلي فإذا عقدٌ لي من جَزْع أظفارٍ قد انقطع، فالتمستُ عقدي وحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يُرَحِّلون لي فاحْتَمَلُوا هودجي فرحَّلوه على بعيري الذي كنت ركبت، وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خِفافاً لم يُثْقِلْهُنَّ اللحم، إنما يأكلن العَلَقة من الطعام، فلم يستنكر القومُ خفةَ الهودج حين رفعوه، وكنت جارية حديثةَ السنِّ فبعثوا الجَمَل وساروا، فوجدت عِقدي بعدما استمرّ الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داعٍ ولا مُجيب، فأمَمْتُ منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إليَّ، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيناي فنمت، وكان صفوان بن المُعَطَّل السُّلَمِي ثم الذَّكْوَاني من وراء الجيش، فأدْلَجَ فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخَمَّرْتُ وجهي بجلبابي والله ما كلّمني كلمة، ولا سمعت منه كلمة، غير استرجاعه حين أناخ راحلته، فوطىء على يديها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا مُوغِرينَ في نحر الظهيرة، فهلك من هلك، وكان الذي تولّى الإفك عبدالله بن أبي ابن سلول، فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهراً والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشْتَكِي، إنما يدخل عليَّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فيسلّم ثم يقول: «**كيف تِيكُمْ**»؟ ثم ينصرف فذاك الذي يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت

بعدما نَقَهْتُ، فخرجت مع أمِّ مِسْطَح قِبَل المناصع وهو مُتَبَرَّزُنا، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن تتخذ الكُنُف قريباً من بيوتنا، وأمرُنا أمر العرب الأُول في التبرّز قِبَل الغائط، فكنّا نتأذّى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأمّ مسطح وهي ابنة أبي رهم بن عبدمناف وأمّها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة، فأقبلت أنا وأمّ مسطح قِبَل بيتي وقد فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مِرْطِها فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بِئْسَ ما قلت، أتسبّين رجلاً شهد بدراً؟ قالت: أي هَنتاهُ أوَ لم تسمعي ما قال؟ قلت: وما قال؟ قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً على مرضي، قالت: فلما رجعت إلى بيتي ودخل عليّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ تعني سلّم ـ ثم قال: «**كيف تيكم**»؟ فقلت: أتأذن لي أن آتي أبويَّ، قالت: وأنا حينئذٍ أريد أن أستيقن الخبر من قِبَلِهما؟ قالت: فأذن لي رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فجئت أبوي فقلت لأُمّي: يا أُمّتاه ما يتحدّث الناس؟ قالت: يا بنيّة هوّني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها، قالت: فقلت: سبحان الله أوَ لقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي، فدعا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عـلـيّ بن أبي طالب، وأُسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهم حين استلبث الوحي يستأمرهما في فراق أهله، قالت: فأما أُسامة بن زيد فأشار على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الودّ، فقال: يا رسول الله أهلك وما نعلم إلا خيراً، وأما عليّ بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وأن تسأل الجارية تَصْدُقك، قال: فدعا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بريرة، فقال: «**أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك**»؟ قالت بريرة: لا والذي بعثك بالحقّ إن رأيت عليها أمراً أغمضه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله، فقام رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فاستعذر

يومئذ من عبدالله بن أبي بن سلول، قالت: فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو على المنبر: «**يا معشر المسلمين مَن يَعْذِرُني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي**»، فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا رسول الله أنا أعْذرُك منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيّد الخزرج وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملتْه الحَمِيَّةُ فقال لسعد: كذبتَ لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله، فقام أُسَيْدُ بن حُضَيْر وهو ابن عمّ سعد، فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فتثاور الحيّان الأوس والخزرج حتى همّوا أن يقتتلوا ورسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم على المنبر، فلم يزل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت، قالت: فمكثت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، قالت: فأصبح أبواي عندي، وقد بكيت ليلتين ويوماً لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع يظنّان أن البكاء فالق كبدي، قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي، فاستأذنت عليّ امرأةٌ من الأنصار، فأذنت لها فجلست تبكي معي، قالت: فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فسلّم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه، في شأننا، قالت: فتشهد رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حين جلس ثم قال: «**أما بعد يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرّئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه**». قالت: فلما قضى مقالته قلص دمعي حتى ما أحسّ منه قطرة، فقلت لأبي: أجب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقلت لأُمّي: أجيبي رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله

وسلم، قالت: قلت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقرّ في أنفسكم وصدّقتم به، فلئن قلت لكم: إني بريئة، والله يعلم أني منه بريئة لا تصدّقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتُصَدّقُنّني والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾، قالت: ثم تحولتُ فاضطجعتُ على فراشي، قالت: وأنا حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله مبرّئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يُتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فِيَّ بأمر يُتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في النوم رؤيا يبرّئني الله بها، قالت: فوالله ما راح رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء، حتى إنه ليتحدر مثل الجُمان من العرق وهو في يوم شاتٍ من ثِقَل القول الذي ينزل عليه، قالت: لما سُرِّيَ عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم سُرِّي عنه وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلّم بها: «**يا عائشة، أمّا الله عزّ وجلّ فقد برّأك**»، فقالت أمي: قومي إليه، قالت: فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلاّ الله عزّ وجلّ، وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾ العشر الآيات كلّها، فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه، وكان ينفق على مسطح بن أثالة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾، قال أبو بكر: بلى والله إني أحب أن يغفر لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً، قالت عائشة: وكان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يسأل زينب ابنة جحش عن أمري، فقال: «**يا زينب ماذا علمتِ أو رأيتِ؟**» فقالت: يا رسول الله، أَحْمِي سمعي وبصري ما علمت إلا خيراً، قالت: وهي التي كانت تساميني من أزواج

رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فعصمها الله بالورع وصفقت أختها حمنة تحارب لها، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك.

رواه أحمد (١٩٤/٦، ١٩٨)، والبخاري في التفسير (٦٨/١٠، ٩٥) وفي الشهادات وفي الجهاد رقم (٢٨٧٩)، وفي المغازي (٤١٤١)، وفي التوحيد (٧٥٠٠) وفي مواضع، ومسلم في التوبة (١٠٢/١٧، ١١٤)، والنسائي في المجتبى وفي الكبرى (٣٦٧/٦، ٤١٥، ٤١٨) وغيرهم.

حادث الإفك من أعظم الأحداث وأخطرها التي حصلت أيام النبوّة والذي أثاره قائد المنافقين اللعين عبدالله بن أُبيّ بن سلول في جانب السيدة الطاهرة العفيفة النزيهة مولاتنا عائشة حبيبة رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وزوجه في الدنيا والآخرة رضي الله تعالى عنها، فقذفها بصفوان بن المعطل رضي الله تعالى عنه، وأذاع ذلك بين الناس، ووقعت بسبب ذلك فتنة بين صفوف الصحابة حتى كادوا يقتتلون لولا حكمة الرسول الأعظم وسياسته الرشيدة صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وتأخر نزول الوحي، ثم جاءت البشارة العظيمة بتبرئة السيدة مما رُمِيَتْ به من عند الله عزّ وجلّ، فأنزل في طهارتها عشر آيات كما في هذه الرواية، وآخرها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، وفي رواية آخرها: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ إلخ، وعددها ثلاث عشرة آية. وجاء في رواية ثالثة آخرها: ﴿أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ وعددها من أول القصة إلى هنا خمس عشرة آية.

ولا اختلاف في ذلك، فكلٌّ حدَّث بما بلغه وظاهر سياق القرآن في القصة أن آخرها قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

لأن الإشارة جاءت للطيبين والطيبات... وهم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وزوجه عائشة، وأبوها الصديق وزوجته وصفوان بن المعطل رضي الله تعالى عنهم، وهم الذين أصابهم الطعن في أعراضهم، فأخبر الله تعالى عنهم بأنهم مبرّؤون مما قيل فيهم.

{٦٢٠} ـ وعن ابن أبي مُلَيْكَة قال: استأذن ابن عباس على عائشة رضي الله تعالى عنها قبل موتها وهي مَغْلُوبَةٌ قالت: أخشى أن يُثْنِيَ عليَّ، فقيل: ابنُ عم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ومن وجوهِ المسلمين، قالت: ائذَنُوا له، فقال: كيف تَجِدينَكِ؟ قالت: بخير إن اتقيت، قال: فأنتِ بخير إن شاء الله تعالى زوجةُ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، ولم ينكح بكراً غيرك، ونزل عذرُكِ من السماء، ودخل ابن الزبير خلافه فقالت: دخل ابن عباس فأثنى عليّ، وودت أني كنت نسياً منسياً. وفي رواية: وأنزل الله براءتك من فوق سبع سمٰوات، جاء به الروح الأمين، فليس في الأرض مسجد إلا وهو يتلى فيه آناء الليل وأطراف النهار.

رواه أحمد والبخاري في التفسير (١٠٠/١٠)، وفي فضائل عائشة من المناقب.

{٦٢١} ـ وعن مسروق قال: دخل حسان بن ثابت على عائشة رضي الله تعالى عنها، فشَبَّبَ وقال:

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنّ بِرَيْبَةٍ وتُصْبِحُ غَرْثَى مِن لُحومِ الغَوَافِلِ

قالت عائشة: لست كذلك، قلتُ: تدَعِينَ مثلَ هذا يدخل عليكِ وقد أنزل الله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، فقالت: وأي عذاب أشدّ من العَمَى؟ قالت: وكان يردُّ عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم. وفي رواية: إنه كان يُنافح أو يُهَاجِي عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

رواه البخاري في المغازي وفي التفسير (١٠١/١٠، ١٠٢، ١٠٣).

قوله في الحديث الأوّل: وهي مغلوبة، يعني: كانت في سياق الموت. وقول مسروق: فتشبب هو بباءين مع فتحهما وتشديد الأُولى، يقال: شبب الشاعر بفلانة إذا عرَّضَ بحبها وذكر حسنها وهو التغزّل، والمراد ترقيق الشعر بذكر النساء، وقد يطلق على إنشاد الشعر وإنشائه

(٢٣١١)، والنسائي في الكبرى (٤١٩/٦)، والحاكم (٣٩٧/٢) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

البغاء هو الزنا وكان أهل الجاهلية يكرهون إماءهم على الزّنا طلباً لما يَكْتَسِبْنَه من الأُجور، فنهى الله تعالى عن ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾:

{٦٢٥} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: يَرحمُ الله نساء المهاجرات الأُول لمّا أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شَقَقْنَ مُروطهنّ فاخْتَمَرْنَ به، وفي رواية: أخذن أُزُرهُنّ فشقَقْنَها مِن قِبَل الحواشي فاختمرن بها.

رواه البخاري في تفسير سورة النور (١٠٦/١٠)، وأبو داود (٤١٠٢).

قال الحافظ في الفتح على قولها: فاختمرن أي: غطّين وجوههنّ، وصفة ذلك أن تضع الخمار على رأسها وترميه من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر وهو التقنّع.

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [٥٥]:

{٦٢٦} ـ عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً**»، ثم تكلّم النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بكلمة خفيتْ عني، فسألت أبي: ماذا قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم؟ فقال: «**كلهم من قريش**»، وفي رواية: «**يكون من بعدي اثنا عشر أميراً**»، وفي رواية ثالثة: «**لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة**»، فكبر الناس وضجوا وفي رواية رابعة: «**إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة**»، وفي رواية خامسة: «**لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش**».

رواه أحمد (٥٢/٥، ٩٠، ٩٢، ١٠٨)، والبخاري في الأحكام (٣٣٨/١٦، ٣٣٩)، ومسلم في الإمارة (٢٠١/١٢، ٢٠٢، ٢٠٣)، وأبو داود في المهدي (٤٢٧٩، ٤٢٨٠)، والترمذي في الفتن (٢٠٥٣)، وابن حبان (٤٣/١٥، ٤٤، ٤٥)، وأبو يعلى (٢٨٢/٦) وغيرهم من طرق وألفاظ واللفظ الأوّل للبخاري ومسلم وابن حبان، والثاني لأبي داود، والباقي لمسلم.

هذه الروايات تدلّ بمجموعها على أمرين اثنين، الأول: أن دين الإسلام لا يزال قائماً حتى يأتي أمر الله وهو اضمحلال الإسلام بموت المؤمنين ورفع القرآن وسيبقى كذلك متمثلاً في طائفة منصورة لا يضرّهم مَن خالفهم ولا مَن خذلهم...

الثاني: لا بد وأن يكون في هذه الأُمّة اثنا عشر خليفة يلون أمر الناس ويقومون بشؤونهم العامّة كلّهم من قريش، وبهم وفي أيامهم يكون أمر الدين عزيزاً منيعاً، هذا ظاهر الحديث برواياته، وقد تكلّم الناس في هؤلاء الخلفاء بعد إجماع أهل السنّة والحق على أنهم خلفاء وأمراء في الحكم والسلطة خلافاً لما يزعمه الشيعة الإمامية من أن المراد بهم أئمتهم المعصومون، فإن هذا يخالف ظاهر نص الحديث ويخالف الواقع، فإن أولئك الأئمة لم يكونوا ذوي سلطة وحكم غير الإمام عليّ والسبط الحسن عليهما السلام، ثم اختلف أهل السنّة هل تقدم جميعهم أم هم مفرّقون في الأُمّة، وهذا الأخير هو الصحيح، وكان منهم الخلفاء الأربعة والحسن السبط وعمر بن عبدالعزيز رضي الله تعالى عنهم، وباقيهم مفرّقون في الأُمّة آخرهم المهدي رضي الله تعالى عنه.

{٦٢٧} ـ وعن سَفِينة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**الخلافة في أُمّتي ثلاثون سنةً، ثم تكونُ مُلْكاً عَضُوداً**»، ثم قال سفينة: أمْسِك خلافة أبي بكر، وخلافةَ عمر، وخلافةَ عثمان، ثم قال: أمْسِك خلافة عَلِي، فوجدناها ثلاثين سنة. قال سعيد:

فقلت له: إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم، قال: كذبوا بنور الزرقاء هم ملوك من شرّ الملوك.

رواه أحمد (٥/٢٢٠)، وأبو داود (٤٦٤٦، ٤٦٤٧)، والترمذي (٢٠٥٥) في الفتن وسنده حسن.

في الحديث أن الخلافة التي كانت على نهج النبوّة متوالية هي خلافة الأربعة رضي الله تعالى عنهم، وفي عصر هؤلاء انتشر الإسلام، وفتحت الأقاليم والأمصار، وكسرت شوكة العملاقين كسرى وقيصر، وفي ذلك العصر مكّن الله للمسلمين دينهم الذي ارتضاه لهم وصدقهم وعده كما في الآية الكريمة.

وبهذا انتهت سورة النور. والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه.

سورة الفرقان

ومنها إلى سورة الأحزاب كلهنّ مكيات وهن ثمان سور متواليات وهي سبع وسبعون آية.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [٣٣]:

{٦٢٨} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أنزل القرآن جملة إلى السماء في ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة، قال: ولا يأتونك بمثل إلا جئتك بالحق وأحسن تفسيراً، وقرأ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾.

رواه النسائي في الكبرى (٦/٤٢١)، والحاكم (٢/٢٢٢) بسند صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

لا خلاف أن نزول القرآن جملة واحدة كان في ليلة القدر إلى السماء الدنيا، ثم نزل منجماً إلى الأرض في ثلاث وعشرين سنة، ثلاث عشرة بمكة، وعشر سنة بالمدينة، وقول ابن عباس هنا في عشرين سنة مؤوّل ويأتي مزيد في سورة القدر. وتقدم مثله في المقدمة لهذا التفسير.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ إلخ أي: ولا يأتيك هؤلاء المعاندون بحجة أو شبهة للقدح فيك أو في القرآن إلا أتيناك بالحق الواضح، والنور الساطع، لتدفع به باطلهم، وأحسن تفسيراً أي: أحسن بياناً وتفصيلاً.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [٣٤]:

{٦٢٩} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: يا رسول الله كيف يُحشرُ الناس على وجُوههم؟ قال: «**إن الذي أمْشَاهم على أقْدامِهِم قادر أن يُمْشِيَهُمْ على وجوههم**».

رواه البخاري في التفسير (١٠/١٠٩)، وفي الرقاق (١٤/١٧١)، ومسلم في صفة جهنّم رقم (٢٨٠٦)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٢٠)، وانظر ما سبق في الإسراء: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ إلخ.

في الآية وفي الحديث أن الله قادر على كل شيء أراده وأنه لا يعجزه شيء مما تستبعده عقولنا الضعيفة ويستحيل في عاداتنا المتعارفة، وأن أمور الآخرة على خلاف حياتنا هذه.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ [٦٧ ـ ٦٨]:

{٦٣٠} ـ عن عبدالله رضي الله عنه قال: سُئِل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: أي الذنب أكبر؟ قال: «**أن تجعل لله نِدّاً وهو خلقك**»، قلت: ثم أيّ؟ قال: «**أن تقتل ولدَك مخافة أن يَطْعَمَ معك**»، قلت: ثم أيّ؟ قال: «**أن تُزاني حليلَةَ جارِك**»، قال عبدالله: فأنزل الله تصديق ذلك: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ﴾ الآية.

رواه البخاري (١٠/١٠٩، ١١١، ١١٢) في التفسير، ومسلم في الإيمان (٢/٨٠) وغيرهما.

{٦٣١} ـ وعن سلمة بن قيس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في حجّة الوداع: «**ألا إنما هي أربع، فما أنا بأشحّ عليهن منذ سمعتهنّ من رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: ألا تشركوا بالله شيئاً، ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق، ولا تزنوا ولا تسرقوا**».

رواه أحمد (٤/٣٣٩، ٣٤٠)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٢١، ٤٢٢)، والحاكم (٤/٤٥١) بسند صحيح.

النِّدّ ـ بالكسر ـ: هو الشريك والمثيل، والحليلة: الزوجة.

والحديثان مع الآية تدلّ على أن هذه المعاصي هي أكبر الذنوب عند الله تعالى، ولا شكّ في ذلك، وأكبرها وأفحشها الشرك والكفر بالله، ثم الباقي على الترتيب المذكور، غير أنه يجب أن يلاحظ بأن ترك الصلاة ولو صلاة واحدة عن تعمّد حتى يخرج وقتها يلي الشرك بالله تعالى عياذاً به من ذلك.

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [٧٧]:

{٦٣٢} ـ عن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: خمسٌ قد مَضَيْنَ: الدخانُ، والقَمَرُ، والرُّوم، والبَطْشَة، واللِّزام، ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾.

رواه البخاري في التفسير (١٠/١١٣)، ومسلم آخر الكتاب رقم (٢٧٩٨)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٢٢)، وسيأتي في الدخان وهناك شرحه إن شاء الله تعالى.

وبه تمّت سورة الفرقان. والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة الشعراء

وهي سبع وعشرون ومائتا آية.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [٨٧]:

{٦٣٣} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**يلقَى إبراهيم آزرَ يوم القيامة وعلى وجهِ آزر قَترَةٌ وغَبَرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك: لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا ربّ إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يُبعثون، فأي خِزيٍ أخزَى من أبي الأبعدِ، فيقول الله تعالى: إني حرَّمت الجنّة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم ما تَحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بِذيخٍ مُتلطِّخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار**».

رواه البخاري في الأنبياء رقم (٣٣٥٠) وفي التفسير (١١٦/١٠، ١١٧)، والنسائي في الكبرى (٤٢٢/٦).

قوله: ذيخ ـ بكسر الذال المعجمة ثم ياء بعدها خاء معجمة ـ: هو ذكر الضبع.

واختلف العلماء هل آزر كان أبا إبراهيم أم عمّه؟ لما ورد في لغة العرب من إطلاق الأب على العمّ، وفي الآية إخبار من الله عزّ وجلّ بأنه لا يخزي خليله يوم القيامة، والحديث جاء مقيداً لإطلاق الآية.

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [٢١٤]:

{٦٣٤} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ صعد النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم على الصفا، فجعل ينادي: «**يا بني فهر، يا بني عدي**» لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال: «**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدّقي**»؟ قالوا: ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: «**إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»، فقال أبو لهب: تبّاً لك سائر اليوم ألِهَذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾.

رواه البخاري في تفسير المسد رقم (٤٩٧١)، ومسلم في الإيمان (٢٠٨) ويأتي في المسد.

{٦٣٥} ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قام رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حين أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾، قال: «**يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبدالمطّلب لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفية عمّة رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً**»، وفي رواية: «**غير أن لكم رَحِماً سأبُلُّها بِبلالِها**».

رواه البخاري في الوصايا (٢٧٥٣) وفي المناقب (٣٥٢٧)، وفي التفسير (١٢٠/١٠)، ومسلم في الإيمان رقم (٢٠٣، ٢٠٦)، والترمذي في التفسير (٢٩٧٨)، والنسائي في الكبرى (٤٢٣/٦) وغيرهم.

وفي الباب عن عائشة في مسلم، والترمذي والنسائي، وعن قبيصة بن مخارق عند مسلم والنسائي، وعن أبي موسى عند الترمذي.

قوله: سأبُلُّها ببلالها ـ بكسر الباء من البلال ـ: وهو الماء، ومعناه: أن لكم رحماً معي سأصلها يعني: شفاعةً خاصة... وهو يخصّص قوله: «لا أغني عنكم من الله شيئاً» لأنه محمول على أنه لا يغني عنهم شيئاً بذاته، بل بإذن الله وقدرته وإرادته مع الإيمان.

غير أن قوله في الحديث: يا فاطمة إلخ هو شاذ بل منكر، لأن فاطمة عليها السلام وقت هذا النداء كانت بنت نحو سنة، فكيف يناديها فالله أعلم كيف وقع هذا.

قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [٢٢١، ٢٢٢]:

{٦٣٦} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أنّه قال: «**إن الملائكة تَحدَّثُ في العَنان** ـ والعنان: الغمامُ ـ **بالأمرِ في الأرض، فتسمَعُ الشياطين الكلمةَ فتقُرُّها في أُذُنِ الكاهن كما تقرُّ القارورة فيزيدون معها مائة كذبة**».

رواه البخاري في بدء الخلق (١١٦/٧) وفي الطب، وستأتي أحاديث أخرى في سورة سبأ.

قوله: فتقرّها ـ بضم التاء وفتحها ـ أي: فتلقيها في أذنه بصوت يسمعه كما يسمع الصوت في القارورة عند إلقاء شيء فيها، والقر: ترديد الكلام في أذن المخاطب. والآية والحديث يدلاّن على أن الشياطين لا تأتي إلا الأفّاكين الكذابين من الكهنة. أما رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فبخلاف ذلك، فإنه الصادق الأمين، وقد كانوا يعلمون صدقه وما جربوا عليه كذباً.

قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ [٢٢٤]:

{٦٣٧} ـ عن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال للنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: إن الله عز وجلّ قد أنزل في الشعراء ما

أنزل، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إن المؤمن يُجاهِد بسَيْفِهِ ولِسانِهِ، والذي نَفْسِي بيده لَكَأَنَّ ما تَرْمُونَهُمْ به نَضْحَ النَّبْلِ**».

رواه أحمد (٤٥٦/٣) ج (٣٨٧/٦) من طريقين، وكلاهما سنده صحيح على شرط البخاري ومسلم.

{٦٣٨} ـ وعن البراء رضي الله تعالى عنه قال: قال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لحِسّان: «**أُهْجُهُم أو هَاجِمهم وجبريل معك**».

رواه البخاري في بدء الخلق (١١٧/٧) وغيره، ومسلم في الفضائل (٤٦/١٦) وغيرهما.

جاء في الشعر أحاديث كثيرة ذمّاً ومدحاً، وسيأتي الكلام على ذلك في الأدب إن شاء الله تعالى. والحديث الأول يدلّ على أن هجاء الكفار بالشعر يعتبر جهاداً.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ يعني: أن الشعراء الذين كانوا يهجون النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يتبعهم السفهاء الضالون ويروون هجاءهم وينشرُونه. وقوله: ﴿فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾ أي: في كل واد من أودية الشعر يذهبُون على وجوههم حائرين، يقولون ما لا يفعلون، ولما ذمّ الشعراء الأفّاكين الثّرثارين اسْتَثْنى الصالحين المؤمنين الذين ينتصرون بهجائهم من أولئك الكافرين الظالمين.

وبهذا تمت سورة الشعراء. والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة النمل

هي من السور الثلاث اللاتي نزلت بالتوالي، ووضعت في المصحف كذلك، وهي الشعراء، والنمل، والقصص، وآياتها ثلاث وتسعون.

قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [٦٣]:

{٦٣٩} ـ عن رجل من بلهجيم قال: قلت: يا رسول الله إلامَ تَدْعُو؟ قال: **«أدْعُو إلى الله وحدَه الذي إذا مَسَّكَ ضُرٌّ فدعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنْك»**.

رواه أحمد (٦٤/٥، ٣٧٧) ج (٦٥/٤) من طريقين أحدهما سنده صحيح.

وفي الآية مع الحديث بيان فضل الله عزّ وجلّ ولطفه بعباده حيث يستجيب دعوة من التجأ إليه حالةَ الاضطرار ويُغِيثُه بما يستحقّ أن يُغاثَ به.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [٨٢]:

{٦٤٠} ـ وعن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: حفِظْتُ من رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حديثاً لم أنسَه بعدُ، سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: **«إن أوّل الآيات خروجاً طلوعُ الشمس مِن مغربِها، وخروجُ الدابّة على الناس ضُحى، وأيّتُهما كانت قَبْلَ صاحِبَتِها فالأخرَى على أثرِها قريباً»**.

رواه أحمد (٢٠١/٢)، ومسلم في الفتن رقم (٢٩٤١).

الحديث يدلّ على أن خروج دابة الأرض من أشراط الساعة الكبرى الأُولى، وأنه إذا وقع ووجب العذاب أو غضب الله على الناس أخرج لهم هذه الدابة تكلمهم كما نطقت بذلك الآية الكريمة، وأن خروجها مقرون بطلوع الشمس من مغربها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ [٩١]:

{٦٤١} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يوم فتح مكة: **«إن هذا البلد حرَّمَه الله يوم خلقَ السمٰوات والأرضَ، فهو حرام بحرمةِ الله إلى يوم القيامة، لا يُعْضَدُ شَوْكُهُ، ولا يُنفَّر صيدُه، ولا يَلْتقطُ لُقَطتَه، إلا مَنْ عرَّفَها، ولا يُخْتَلى خَلاهَا»**.

رواه البخاري ومسلم كلاهما في الحجّ، وقد تقدم فيه.

البلدة: هي مكة المكرمة حرم الله كسائر منطقة الحرم، وهذا من أعظم فضائل هذه البلدة المقدّسة، لكن أكثر الناس لا يراعون حرمتها لا من ساكنيها ولا من زوّارها والطارئين عليها. وبهذا تمّت سورة النمل، والحمد لله على إفضاله وإحسانه، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وزوجه وصحبه وحزبه.

سورة القصص

هي ثمان وثمانون آية، وقد امتازت بذكر قصة قارون الطاغية.

قوله تعالى: ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [٢٨]:

{٦٤٢} ـ وعن سعيد بن جبير أنه سأل ابن عباس رضي الله تعالى عنهم: أيّ الأجلين قَضَى مُوسى عليه السلام؟ قال: قضى أكثرَهما وأطيبهما.

رواه البخاري في الشهادات (٢٦٨٤)، وابن جرير (٦٨/٢٠)، وروي مرفوعاً من طرق.

المراد بالأجلين: الثمان أو العشر سنين التي اشرطها على موسى الشيخ في رعاية غنمه مقابل تزوّجه بابنته، فأتمّ موسى عشر سنين.

قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [٥٤]:

{٦٤٣} ـ عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**ثلاثةٌ يُؤْتَوْنَ أجرهم مرتين: عبدٌ أدّى حقَّ الله وحقَّ مواليه، فذلك يؤتى أجْرَه مرتين، ورجلٌ كانت عِنده جاريةٌ وضِيئَةٌ فأدَّبها فأحْسَن أدَبَها، ثم أعتقها ثم تزوّجها يَبْتَغِي بذلك وجهَ الله،**

فذلك يُؤتى أجرَه مرتين، ورجلٌ آمن بالكتاب الأول، ثم جاء الكتاب الآخر فآمن به، فذلك يُؤتى أجره مرتين».

رواه البخاري في العلم (٩٧/١) وفي العتق رقم (٢٥٤٤) وفي الجهاد (٣٠١١) وفي أحاديث الأنبياء (٣٤٤٦) وفي النكاح (٥٠٨٣)، ومسلم في الإيمان رقم (١٥٤)، والنسائي في الكبرى (٣١٢/٣) وفي المجتبى، والترمذي (٩٩٧)، وابن ماجه (١٩٥٦) وغيرهم.

في الحديث فضل هؤلاء الأصناف وأنهم يعطون الأجر مرّتين، ومنهم المذكورون في الآية الكريمة من الكتابيين الذين آمنوا بكتابهم ثم بكتابنا. ولا شكّ أن الأُمّة المحمدية ممن لهم السَّبْق في ذلك لإيمانهم بجميع الرسل والكتب بدون تفرقة بين ذلك.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [٥٦]:

{٦٤٤} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لعمّه: «**قل: لا إلـه إلاّ الله أشهدُ لك بها يومَ القيامة**»، قال: لولا أن تُعَيِّرَني بها قريشٌ إنما يَحْمِلُه عليه الجَزَعُ لأقْرَرْتُ بها عَيْنك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآية.

رواه مسلم في الإيمان (٢١٦/١٥)، والترمذي في التفسير (٢٩٨١).

في الحديث بيان معنى الآية الكريمة التي نزلت بسبب عدم إيمان أبي طالب، وفي ذلك دليل على أنه لم ينطق بشهادة الإسلام، وكم كنا نود أن يشهر إسلامه لكن الله هو العليم الحكيم يفعل ما يشاء لا معقّب لحكمه، وقد تقدم شيء من هذا في سورة التوبة، ويأتي تمام الكلام على هذا في السيرة النبويّة إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [٨٥]:

{٦٤٥} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ قال: إلى مكّة.

رواه البخاري في التفسير (١٠/١٢٧)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٢٥)، وابن جرير (٢٠/١٢٥).

هذا أصح ما جاء في تفسير الرد إلى المعاد، وانظر باقي الأقوال عند ابن جرير. وقوله: إن الذي فرض عليك القرآن أي: أنزل عليك القرآن.

وبهذا تمّت سورة القصص. والحمد لله رب العالمين وصلّى الله وسلم وبارك على حبيبنا محمد وآله الطيّبين وزوجاته الطاهرات وصحابته الأبرار وحزبه الأخيار.

سورة العنكبوت

أياتها تسع وستون، وفيها آية كريمة تبشر المحبّين المشتاقين لله عزّ وجلّ ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [٨]:

{٦٤٦} ـ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: أُنْزِلَتْ فيَّ أربعُ آيات، فذكر قصته في ذلك. وقالت أمّ سعد: أليس قد أمر الله بالبرّ، والله لا أطعمُ طعاماً ولا أشربُ شراباً حتى أموت أو تكفر، قال: فكانوا إذا أرادوا أن يُطْعِمُوها شَجَرُوا فاهَا، فنزلت: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ الآية.

رواه أحمد رقم (١٥٦٧، ١٦١٤)، ومسلم (١٥/١٨٥)، والترمذي (٢٩٨٢) كلاهما في الفضائل، وأبو داود وغيرهم.

شجروا أي: فتحوا فمها. وفي الآية الكريمة وجوب الإحسان إلى الوالدين والبرور بهما وإن كانا كافرين غير أنهما لا يطاعان في غير طاعة الله تعالى. وفي الحديث فضل سعد وقوّة إيمانه وثباته رغم ما كان يعانيه من البلاء وقت هذه القصة مع والدته.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [٤٥]:

{٦٤٧} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى النبيّ

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: إن فلاناً يُصَلّي بالليل فإذا أصْبَح سَرَق، فقال: «سَيَنْهَاهُ مَا تَقُولُ».

رواه أحمد (٤٤٧/٢)، وابن حبان رقم (٢٥٦٠)، والبزار(٧٢٠) وسنده صحيح. وقال الهيثمي في المجمع (٢٥٨/٢): ورجاله رجال الصحيح، وله شاهد عند البزار (٧٢١، ٧٢٢) عن جابر برجال ثقات. الآية مع الحديث يدلاّن على أن الصلاة من شأنها أن تنهى صاحبها عن المعاصي وتهذّب أخلاقه، وهو نصّ القرآن والسنّة النبويّة. وإذا وجد من يصلّي ولا ينتهي عن الفواحش، فإنما ذلك لعدم توفر شروط صحة صلاته، وأنها غير معتبرة ولا مقبولة.

قوله تعالى: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ **الآية [٤٦]:**

{٦٤٨} ـ فيه حديث أبي هريرة: «**لا تُصَدّقُوا أهل الكتاب ولا تُكَذّبُوا ولكن قُولُوا:** ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ الآية»، رواه البخاري وغيره، وقد تقدم في سورة البقرة.

وبهذا تمّت سورة العنكبوت ولله الحمد على توفيقه وإنعامه، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وزوجه وحزبه.

سورة الروم

وهي مكّية وآياتها ستون، وفيها ذكر تلك المعجزة الخالدة بالإخبار بتغلب الروم على فارس ووقوع ذلك كما أخبرت.

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [١ ـ ٥]:

{٦٤٩} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان المشركون يُحِبُّون أن يَظْهَر أهلُ فارس على الروم لأنهم وإياهم أهلُ الأوثان، وكان المسلمون يحبون أن يَظْهَر الرُّوم على فارس لأنهم أهل الكتاب، فذكروه لأبي بكر، فذكره أبو بكر لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال: «**أمَا إنهم سيغلبون**»، فذكره أبو بكر لهم، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا، فجعل أجلاً خمس سنين فلم يظهروا فذكروا ذلك للنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: «**ألا جعلته إلى دون**»، قال: أراه العشر، قال: قال سعيد: والبضع ما دون العشر، قال: ثم ظهرت الروم بعد ذلك، فذلك قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ إلى قوله: ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ﴾، قال سفيان: سمعت أنهم ظهروا عليهم يوم بدر.

رواه أحمد (٢٧٦/١، ٣٠٣)، والترمذي (٢٩٨٥)، والنسائي (٤٢٦/٦) في الكبرى كلاهما في التفسير، والحاكم (٤١٠/٢)، وصححه الترمذي، والحاكم وقال: هذا على شرط البخاري ووافقه الذهبي.

كان الروم وفارس يتقاتلون دائماً فانتصرت فارس على الروم، ودخلت الشام وغيرها حتى ألجأت قيصر إلى استنبول وحاصروها مدة، فأخبر الله عزّ وجلّ بأن الروم ستغلب فارساً وتهزمها، فبعد بضع سنين نشبت بينهما حرب من جديد، فانتصرت الروم، وانهزمت أمامها فارس وكان ذلك في وقعة بدر عند انتصار المسلمين على كفار قريش، ففرح المسلمون بالنصرين.

وفي الآية معجزة غيبية عظيمة دالّة دلالة قطعية على حقّية القرآن، وأنه كلام الله الذي أحاط بكل شيء علماً، وأن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم نبيّ صادق ليس في ذلك شكّ ولا ريب.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [٢٧]:

{٦٥٠} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**يقول الله تعالى: كذَّبَني ابنُ آدم ولم يكن له ذلك، وشَتَمَني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياه فقوله: لن يُعيدَني كما بَدأني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحدُ الصمد الذي لم يَلِد ولم يُولَد ولم يَكن له كُفُواً أحد**».

رواه أحمد (٣١٧/٢، ٣٩٣، ٣٩٤)، والبخاري في التفسير رقم (٤٩٧٥، ٤٩٧٤) وفي بدء الخلق (١٠٠/٧)، والنسائي في الكبرى (٣٩٥/٤)، وابن حبان (٥٠٠/١) بالإحسان.

الشتم: هو الوصف بالنقائص، والحديث من الأحاديث القدسية، وفيه بيان حلم الله حيث إنه تعالى خلق بني آدم ورزقهم... وهم يكذّبونه ويشتمونه ومع ذلك فلا يعاجلهم بالعذاب ولا يقطع عنهم رفده.

وفي الآية مع الحديث بيان عظمة الله وقدرته على كل شيء، وأنه سيعيد خلقه من جديد بعد موتهم وتلاشيهم كما بدأهم أول مرة وكل ذلك عنده سهل هيّن.

قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [٣٠]:

{٦٥١} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانِه أو يُنَصّرانِه أو يُمَجّسانِه، كما تُنتَجُ البهيمة بهمة جمعاء لا تُحسون فيها من جَدْعاء، ثم يقول:** ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾» إلخ.

رواه البخاري في التفسير (١٣١/١٠)، ومسلم في القدر (١٠٧/١٦، ٢٠٩).

فطرة الله: اختلف العلماء في المراد بالفطرة هنا في الآية والحديث، فقيل: هي ما أخذ الله تعالى عليهم في أصلاب آبائهم، وأن الولادة تقع طبق ذلك حتى يقع التغيير من الأبوين، وقيل معناه: كل مولود يولد على معرفة الله والإقرار به، ويؤيّده حديث: «**إني خلقت عبادي حُنَفاء كلَّهم، وأنهم أتتْهم الشياطينُ فأضَلَّتْهُم عن دينهم**» الحديث يأتي في موضعه، وهو في صحيح مسلم. قال النووي: والأصح أن معناه: أن كل مولود يولد متهيئاً للإسلام، فمن كان أبواه أو أحدهما مسلماً استمرّ على الإسلام إلخ.

وقوله في الحديث: بهمة جمعاء أي: مجمعة للأعضاء سالمة لا توجد فيها جدعاء أي: مقطوعة الأذن، ومعناه: كما أن البهيمة تولد كاملة لا نقص فيها، وإنما يحدث الجدع والنقص فيها فيما بعد، كذلك الأولاد يولدون سالمين من الكفر ومبادئه حتى يكفرهم مربّوهم من الآباء وغيرهم بواسطة الشياطين.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ [٥٢]:

فيه حديثا أبي طلحة وابن عمرو رضي الله تعالى عنهما في قصة القليب قليب بدر، وقوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**يا فلان بن فلان**»... وجعل ينادي الكفار الملقون في البئر ثم قال لهم: «**هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً**»، فقال له عمر رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله ما تكلّم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**»، وتقدم تخريجهما في سورة الأعراف في آية (٤٤)، ففي الحديث دليل على أن الأموات يسمعون كلام الأحياء، وهذا مما لا ينبغي أن يختلف فيه، وهذا قول عامّة العلماء، وفي الحديث الصحيح: «**إن العبد إذا وُضِعَ في قبره وتولّى عنه أصحابه إنه ليسمعُ قرعَ نِعالهم**»، رواه مسلم (٢٠٣/١٧).

قال ابن كثير: والسلف مجمعون على هذا، وقد تواترت الآثار عنهم أن الميت يعرف بزيارة الحي ويستبشر، ثم ذكر آثاراً كثيرة عن السلف في ذلك، ثم قال: والخطاب والنداء لموجود يسمع ويخاطب ويعقل ويرد، وإن لم يسمع المُسَلَّم الرَّدَّ، إلخ. وراجعه فإن له بقية مهمة. أمّا ما جاء عن مولاتنا عائشة في استدلالها بهذه الآية، فهو فهم لما فهمته رضي الله تعالى عنها؛ لأن المراد بهؤلاء في الآية موتى القلوب من الكفار..

وبهذا تمّ الكلام على تفسير سورة الروم. والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات. وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة لقمان

آياتها أربع وثلاثون، وامتازت بذكر وصايا لقمان الحكيم لولده، تلك الوصايا الرائقة.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [٥]:

{٦٥٢} ـ عن أبي أُمامة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**لا تَبِيعُوا القَيْناتِ ولا تَشْتَرُوهُنَّ ولا تُعَلِّمُوهُنَّ، ولا خَيْرَ في تِجَارَة فِيهِنَّ، وثَمَنُهُنَّ حرامٌ، وفي مثل هذا أنزلت هذه الآية:** ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾» الآية.

رواه أحمد (٢٥٢/٥، ٢٥٣، ٢٦٤، ٢٦٨)، والحميدي (٩١٠)، والطيالسي (١١٣٤)، والترمذي في التفسير (٢٩٨٨)، وابن ماجه (٢١٦٨)، والطبراني في الكبير (٢١٢/٨)، والبيهقي (١٤/٦)، وهو حديث حسن لطرقه، ومن شواهده ما أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٩/٦)، وابن جرير (٦١/٢١)، والحاكم (٤١١/٢)، والبيهقي (٢٢٣/١٠) عن ابن مسعود أنه سُئِل عن هذه الآية، فقال: هو الغناء والذي لا إله إلاّ هو. يردّدها ثلاث مرات. وسنده صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. ومنها ما أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٢٦٥)، وابن جرير (٦١/٢١)، والبيهقي (٢٢١/١٠) عن ابن عباس في الآية قال: نزلت في الغناء وأشباهه، وسنده صحيح أيضاً ولا يضرّ هنا عطاء بن السائب.

القينات جمع قينة ـ بفتح القاف وسكون الياء ـ: هي المغنية، والحديث يدلّ على أن الآية الكريمة نزلت في الغناء، وأنه لا يجوز بيع الجواري المغنيات ولا شراؤهنّ إن وجدن، وفي ضمن ذلك تحريم تأجير المغنيات مطلقاً كما يفعله الناس اليوم؛ كما يدلّ على تحريم سماع أغاني النساء لما في ذلك من إثارة الشهوة الجنسية وفساد القلب وفتنته، والغناء رُقيةُ الزّنا كما يقال، وقد زاغ وافترى من أباح سماع أغاني النساء على الإطلاق، فإن من أباح ذلك فقد أباح زنى السمع، عافانا الله من ذلك، آمين.

قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [١٣]:

{٦٥٣} ـ عن عبيدالله رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ شقّ ذلك على أصحاب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وقالوا: أيّنا لم يلبِسْ إيمانه بظلم، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إنه ليس بذاك ألا تسمع إلى قول لقمان: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾**».

رواه الشيخان: وقد تقدم في سورة الأنعام، فهناك تخريجه وبيان معناه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾ الآية [٣٤]:

{٦٥٤} ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**مفاتيح الغيب خمسٌ لا يعلمهنّ إلاّ الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾**» الآية.

رواه أحمد (٢/٢٤، ٥٢، ٥٨، ١٢٢)، والبخاري في مواضع، وقد تقدم في سورة الأنعام والإحالة إلى هنا، ونحوه عن أبي هريرة في حديث جبريل رواه الشيخان وتقدم في الإيمان، وفي الباب عن جماعة.

مفاتيح: جمع مفتاح وهو آلة الفتح، وهذا على الاستعارة، فالأُمور الغيبية كأنها مخازن خزنت فيها المغيّبات، فاستعير المفاتيح لها.

والآية وما في الباب يدلّ على أن خزائن المغيّبات الخفية لا يعلمها إلاّ الله تعالى، فهو المنفرد بعلمها جملةً وتفصيلاً، غير أنه يجب أن يعلم أن العلم المنفي هنا، وفي الأنعام وفي قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾، إنما هو العلم بالذات، أما بواسطة تعليم الله عزّ وجلّ، فغير مراد قطعاً لقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ الآية، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾، وإذا ثبت أن الرسل قد يطلعهم الله على بعض غيبه وكذا بعض ملائكته، كما ثبت في الأحاديث الكثيرة، كذلك قد يطلع بعض عباده الصالحين على ذلك بالإلهام والمكاشفة إكراماً لهم، كما تواتر ذلك عن الكثير من الصالحين. وقد ثبت الآن في الطب الحديث الاطّلاع على ما في رحم المرأة من الجنين ذكراً أم أنثى، كما ثبت بواسطة علم الأرصاد الجوية معرفة نزول المطر ومجيء الريح في مستقبل الأيام. وبهذا نعلم قطعاً أن نفي علم الخمس ونحوها إنما هو لمن يدّعيها بنفسه، أمّا ما كان بإعلام الله عزّ وجلّ على أيّ وجهٍ كان فلا مانع من ذلك، فاعرف هذا ليذهب عنك كثير من الإشكالات.

وما قلناه ليس ببدع منّا، بل قاله العلماء قبلنا، ومنهم الإمام أبو الفداء بن كثير، فقد قال رحمه الله تعالى في تفسير سورة لقمان عند هذه الآية ما نصّه: هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها فلا يعلمها أحد إلاّ بعد إعلامه تعالى بها... ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومن يشاء الله من خلقه... وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه إلاّ الله تعالى سواه، ولكن إذا أمر بكونه ذكراً أو أنثى أو شقياً أو سعيداً علم الملائكة الموكلون ومن شاء الله من خلقه... وللحافظ في الفتح هنا كلام جيد.

وبهذا تمّت سورة لقمان. والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة السجدة

هذه السورة الكريمة هي خاتمة الثمان المكّيات المتواليات، وآياتها ثلاثون.

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [١ ـ ٢]:

{٦٥٥} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقرأ في الفجر يوم الجمعة ألم تنزيل السجدة، وهل أتى على الإنسان.

رواه البخاري (٢٨/٣)، ومسلم (١٦٨/٦) كلاهما في الجمعة، ورواه البخاري في مواضع، وجاء مثله عن ابن عباس رواه مسلم (١٦٨/٦) وغيره.

{٦٥٦} ـ وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كان النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لا ينامُ حتى يقرأ: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ [السجدة: ١ ـ ٢] و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾.

رواه أحمد (٣٤٠/٣)، والترمذي في فضائل القرآن (٢٧٠٠)، وفي الدعوات (٣١٨٤) بتهذيبي، والحاكم (٤١٢/٢) بسند صحيح.

في الحديثين مزية اختصاص لهذه السورة، ففيهما سنية تعاهدها بأن تقرأ مع سورة الملك كل ليلة، وأن يصلّى بها صبح الجمعة مع سورة الإنسان.

قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [١٦ ـ ١٧]:

{٦٥٧} ـ فيه حديث معاذ الطويل، وفيه: وصلاة الرجل من جوف الليل، ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ حتى ﴿يَعْمَلُونَ﴾.

رواه أحمد والترمذي وغيرهما، ويأتي مطوّلاً في موضعه.

وقوله: تتجافى أي: تتباعد عن مواضع النوم قياماً لصلاة الليل والتهجّد، خوفاً من عذاب الله ورجاء في رحمته.

{٦٥٨} ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه يبلُغ به النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**قال الله تعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأتْ ولا أُذُنٌ سمعتْ ولا خَطَر على قلب بشر، وتصديقُ ذلك في كتاب الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾**»، وفي رواية: «**اقرؤوا إن شئتم**».

رواه البخاري في التفسير (١٣٤/١٠) وغيره، ومسلم في الجنّة رقم (٢٨٢٤)، والترمذي في التفسير (٢٩٩٠، ٣٠٧٥)، وفي الباب عن المغيرة يأتي في صفة الجنّة إن شاء الله تعالى.

وفي الحديث كالآية بشارة للمتهجدين بالليل، وأن الله عزّ وجلّ أعدّ لهم في الجنّة ما لا يخطر على بال ولا سمعت به أذن، ولا رأته عين من أنواع النعيم مما هو فوق مستوى عقولنا.

قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [٢١]:

{٦٥٩} ـ عن أُبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى:

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ الآية، قال: مصائب الدنيا والروم والبطشة أو الدخان.

رواه مسلم في صفة القيامة رقم (٢٧٩٩).

في الآية والحديث أن للكافرين عذاباً أدنى، هو بلايا الحياة وما يشابهها وعذاباً أكبر هو المعدّ لهم في جهنّم، أعاذنا الله تعالى منه، أمين.

وبه تمّ الكلام على سورة ﴿الٓمٓ﴾ السجدة، والحمد لله رب العالمين وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه.

سورة الأحزاب

السورة الكريمة مدنية، وقد جاءت مفردة خلال العديد من السور المكّية، فقد تقدم قبلها ثمان سور مكّيات على التوالي، كما جاء بعدها ثلاث عشرة سورة على التتابع كلها مكّيات بدءاً من سورة سبأ إلى نهاية سورة الأحقاف.

وآيات هذه السورة ثلاث وسبعون:

قوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ [٤]:

{٦٦٠} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قيل له: أرأيت قول الله عزّ وجلّ: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾، ما عنى بذلك؟ قال: قام نبيّ الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يوماً يصلّي فخطر خَطْرةً، فقال المنافقون الذين يُصَلُّون معه: ألا تَرَوْن أن له قَلْبين قلباً معكُم وقلباً معهُم، فأنزل الله: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ﴾ الآية.

رواه أحمد رقم (٢٤١٠)، والترمذي (٢٩٩٢)، وابن جرير (١١٨/٢١)، وابن أبي حاتم (٣١١٢/٩)، والحاكم (٤١٥/٢)، وحسّنه الترمذي، وصححه الحاكم وتبعه الشيخ أحمد شاكر في شرح المسند، وفيه قابوس بن أبي ظبيان مختلف فيه، وباقي رجاله رجال الصحيح.

نفت الآية الكريمة أن يكون للإنسان قلبان في جوفه، كما رمى المنافقون بذلك نبيّ الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [٥]:

{٦٦١} ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: ما كنّا ندعو زيد بن حارثة إلا زيدَ بن محمد حتى نزل القرآن: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

رواه البخاري (١٣٦/١٠)، ومسلم في الفضائل رقم (٣٢٠٧)، والترمذي في التفسير (٣٠٠١) بتهذيبي.

في الآية كالحديث إبطال ما كان عند الجاهلية من إلحاق الأولاد بغير آبائهم كما هو حال الناس اليوم، بل زاد أهل العصر إدراجهم معهم في الوثائق الرسمية، فيصبحون كالأولاد الشرعيّين ينسبون إليهم ويتوارثون فيما بينهم، وهذا منكر أيّ منكر لا يجوز الإقدام عليه ولا إقراره.

قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [٦]:

{٦٦٢} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**ما من مؤمن إلا وأنا أوْلَى الناس به في الدُّنيا والآخرة، واقرؤوا إن شئتم: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾، فأيّما مؤمن تركَ مالاً فَلْيَرِثْه عَصَبَتُه مَن كانوا، فإن تركَ دَيناً أو ضَياعاً فَلْيأتني فأنا مَوْلاهُ**».

رواه البخاري في التفسير (١٣٥/١٠) وفي الفرائض (١٠/١٥) وفي الكفالة وفي الاستقراض، ومسلم في الفرائض رقم (١٦١٩).

قوله: «النبيّ أولى بالمؤمنين» إلخ، معناه: أنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أحقّ بهم من أنفسهم في كل شيء من أمور دينهم ودنياهم، وأنه أرأف بهم، وأعطف عليهم، ولذلك كان حكمه أنفذ، وطاعته أوجب. والحديث يدلّ على أنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يتكفّل بديون المديونين، والقيام بالضائعين الذين لا مال لهم ولا ممونّ، والمراد بالعصبة في الحديث: الورَثَة مطلقاً.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩﴾ [٩]:

{٦٦٣} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يقول: «**لا إلـه إلاّ الله وحدَه أعزَّ جُنْدَه، ونصَر عبدَه، وغَلَبَ الأحزابَ وَحْدَه فلا شيء بعدَه**».

رواه البخاري في المغازي (٤١١٤)، ومسلم في الذكر (٢٧٢٤).

{٦٦٤} ـ وعن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه قال: دعا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم على الأحزاب: «**اللّهمّ مُنزلَ الكِتابَ، سَرِيعَ الحساب، اهزم الأحزَابَ وَزَلْزِلْهم**».

رواه البخاري في المغازي (٤١٠/٨) وغيره، ومسلم رقم (١٧٤٢)، والترمذي (١٥٣٩) كلاهما في الجهاد، وأبو داود (٢٦٣١)، والنسائي في الكبرى (١٨٨/٥) و(١٥٤/٦)، وابن ماجه (٢٧٩٦).

الأحزاب: هم الكفار الذين تحزّبوا واجتمعوا ضدّ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وأصحابه وهاجموه في المدينة وحاصروه، ويأتي الكلام على غزوة الأحزاب في الغزوات إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ﴾ [٢٣]:

{٦٦٥} ـ عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه قال: قال عَمّي أنس بن النضر سُمّيتُ به، لم يشهد بدراً مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فكَبُر عليه، فقال: أول مشهد قد شهده رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم غِبْتُ عنه أنا، والله لئن أراني الله مَشْهَداً مَعَ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ليَرَيَنَّ الله ما أصنع، قال: فهابَ أن يقول غيرَها، فشهد مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يوم أُحد من العام

القابل، فاستقبله سعدُ بن معاذ فقال: يا أبا عَمْرو أينَ؟ قال: وَاهًا لِريحُ الجنّة أجدُها دون أُحد، فقاتل حتى قُتل، فوُجد في جسده بضعٌ وثمانون من بين ضربَة وطَعْنَةٍ ورَمْيَةٍ، قالت عمّتي الرُّبَيِّع بنت النضر: فما عرفت أخي إلا ببَنَانِهِ، ونزلت هذه الآية: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ الآية.

رواه البخاري في التفسير (١٠/٣٦)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٣)، والترمذي (٢٩٩٣)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٣٠)، وابن جرير (٢١/١٤٦، ١٤٧) وغيرهم، ويأتي بقيته في مواضع متفرّقة.

وفي الحديث فضل أنس بن النضر رضي الله تعالى عنه، وأنه ممن صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [٢٨ ـ ٢٩]:

{٦٦٦} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لما أُمِرَ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بتَخْيير أزواجِهِ بدَأَ بي، فقال: **«يا عائشة، إني ذَاكِرٌ لكِ أمراً فلا عليك أن لا تَعْجَلي حتى تستأمري أبَوَيكِ»**، قالت: وقد علم أن أبوايَ لم يكونا ليأمُرَاني بفراقِهِ، قالت: ثم قال: **«إن الله قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾»**، قلت: في أي هذا أستأمر أبَوَيَّ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، وفعل أزواج النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم مثلَ ما فعلتُ.

رواه البخاري في التفسير (١٠/١٣٨، ١٣٩، ١٤٠)، ومسلم في النكاح (١٠/٧٨)، والترمذي (٢٩٩٦) بتهذيبي، ويأتي حديث جابر في ذلك أيضاً في كتاب النكاح إن شاء الله تعالى.

وفي الحديث فضل أُمّهات المؤمنين وخاصة عائشة حيث اخترن الله ورسوله والدار الآخرة على الدنيا ومتاعها. وفي الآية بيان شرف النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وكرمه على الله حيث انتصر له، وأمره أن يأمر نساءه بالتخيير بين الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ [٣٢]:

{٦٦٧} ـ عن عُمَر بن أبي سلَمَة رضي الله تعالى عنهما ربيبِ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: لما نزلت هذه الآية على النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ إلخ، في بيت أُمّ سلمة رضي الله تعالى عنها، فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام، فجلَّلَهُم بكساءٍ، وعليّ عليه السلام خلفَ ظَهْره فجلَّله بكِسَاء، ثم قال: **«اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً»**، قالت أُمّ سلمة: وأنا معهم يا نبيّ الله؟ قال: **«أنتِ على مكانك وأنتِ على خير»**.

رواه الترمذي في التفسير (٢٩٩٧) وفي المناقب، والحديث صحيح لشواهده عن أُمّ سلمة رواه الحاكم (٢/٤١٦) وسنده صحيح، وعن واثلة رواه الحاكم (٢/٤١٦) وصححهما معاً ووافقه الذهبي.

«جلَّلهم» أي: غطاهم بالكساء، قوله: «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي»، لا شكّ في هذا وأنهم أخصّ آله وأنهم داخلون في الآية الكريمة وأن الطهارة من الرجس... تشملهم، وانظر «الأنوار الباهرة» لكاتبه، ففيه ذكر فضائل أهل البيت...

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ الآية [٣٥]:

{٦٦٨} ـ عن أُمّ عِمارَة الأنصارية رضي الله تعالى عنها أنها أَتَتْ النبيّ

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقالت: ما أرى كُلَّ شَيْءٍ إلا للرِّجال، وما أرَى النِّساءَ يُذْكَرْنَ بشيءٍ، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ الآية.

رواه الترمذي (٣٠٠٢)، وابن جرير (٨/٢٢)، والطبراني في الكبير (٣١/٢٥، ٣٢) ورجاله ثقات، وشريك لا يضرّ، فإن للحديث شواهد أقواها حديث أمّ سلمة بنحوه رواه أحمد (٣٠١/٦)، والنسائي في الكبرى (٤٣١/٦)، وابن جرير (٨/٢٢)، والطبراني في الكبير (٢٦٣/٢٣)، وورد أيضاً عن ابن عباس وغيره، فالحديث صحيح.

في الحديث دليل على فضل الرجال على النساء، وأنهم الأصل في كل شيء، والنساء إنما هنّ لهم بالتبعية، ولذلك خصّ الرجال بأُمور كثيرة اجتماعية أعفى منها النساء، وقد شعر بذلك النساء الصحابيّات رضي الله تعالى عنهنّ.

والآية الكريمة تدلّ على الأجر العظيم لمن اتّصف بهذه الصفات المذكورة فيها، وهي عشر.

{٦٦٩} ـ وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما قالا: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«من اسْتَيقَظَ مِنَ اللّيل وأيقَظَ امْرَأَته فصَلَّيا ركعتين جميعاً كُتبا لَيلَتَهُما مِن الذَّاكِرين الله كثيراً والذَّاكرات»**.

رواه أبو داود (١٣٠٩، ١٤٥١)، والنسائي وابن ماجه (٣٣٥)، وأبو يعلى (١١١٢)، وابن حبان (٦٤٥) بالموارد، والحاكم (٤١٦/٢)، والبيهقي (٥٠١/٢) وسنده صحيح، وصححه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبي.

في الحديث فضل عظيم للمتهجدين، وفيه استحباب حمل الأهل على قيام الليل والتعبّد.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [٣٦]:

{٦٧٠} ـ عن قتادة قال: خطب النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم زينب وهي بنت عمّته وهو يريدها لزيد، فظنّت أنه يُريدُها لِنَفْسِهِ، فلما علمتْ أنه يريدها لزيد أبَتْ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾ الآية.

رواه الطبراني في الكبير (٤٥/٢٤)، وابن جرير (١١/٢٢)، قال النور في المجمع (٩٢/٧): رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح.

الآية كالحديث يدلاّن على أنه لا خِيرَة لأحد مع حكم الله ورسوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وقضائهما، فمن رفض ذلك ولم يستسلم فقد ضلّ وزاغ عن طريق الله.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [٣٧]:

{٦٧١} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لو كان النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ الآية.

رواه أحمد (١٤١/٦)، والترمذي (٣٠٠٠)، والنسائي (٤٣٢/٦) كلاهما في التفسير، وسنده صحيح، وأصله في التوحيد (١٨٣/١٨) من صحيح البخاري.

ما قالته مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها ظاهر، لأن الإنسان

مجبول على الدفع عن نفسه كل ما يشينه، وكان صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بخلاف ذلك؛ فالآية وإن كانت نزلت تخبر بما كان يخفيه في نفسه... فقد بلّغ ذلك ولم يكتمه.

{٦٧٢} ـ وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن هذه الآية: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ﴾ الآية، نزلت في شأن زينب بنت جَحْش وزَيْد بنِ حارثة رضي الله تعالى عنهما.

رواه البخاري في التفسير (١٤٢/١٠) وفي التوحيد، والترمذي (٣٠٠٥)، والنسائي (٤٣٢/٦) في التفسير، وفي رواية للترمذي: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ في شأن زينب بنت جحش جاء زيد يشكو فَهَمَّ بطلاقها، فاستأذن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾».

رواه أحمد والحاكم (٤١٧/٢) وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وانظر ابن جرير (٢٢، ١٣).

قصة زواج زيد بزينب رضي الله تعالى عنهما وهمُّه بطلاقها، وقول النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: أمسك عليك زوجك إلخ، وقع فيها خَبْطٌ وأخطاء فاحشةٌ من بعض من لا يحترم مقام النبوّة، رغم أن الأمر فيها واضح لا خفاء فيه، فهو صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أمره في الظاهر بإمساك زوجته وأخْفَى في نفسه ما سيُبْديه الله مما كان قد أوحاه الله من أنها ستكون زوجته إذا طلّقها زيدٌ، وليس في ذلك ما يَخْدِش عصمته صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم. أمّا ما زعمه بعض قليلي الدين من أنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم رآها فأعجبته وأخفى في نفسه التزوّج بها إلى آخر ذلك الهراء، هو كلام باطل ساقط لا يليق بمقام النبوّة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى

النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ الآية [٣٧]:

{٦٧٣} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا﴾ إلخ، قال: فكانت تَفْتَخِر على نساء النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم تقول: زَوَّجَكُنَّ أهْلُوكُنَّ وزوّجني الله من فوق سبع سمٰوات.

رواه البخاري في التوحيد (١٨٣/١٨، ١٨٤)، والترمذي في التفسير (٣٠٠٣) وحسّنه وصححه.

زينب هذه كانت من أُمّهات المؤمنات الصالحات الوَرِعَات، وهذه مَزية لها ليست لغيرها، حيث إن الله زوّجها له صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بغير وليّ...

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [٤٥]:

{٦٧٤} ـ عن عطاء بن يسار رحمه الله تعالى قال: لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه فقلت: أخْبِرْني عن صفة رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في التوراة، قال: أجَلْ والله إنّه لمَوْصُوفٌ في التوراة ببعْض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحِرْزاً للأُمّيّين أنتَ عَبْدي ورسولي سمَّيتُك المُتوكّل ليس بفَظٍّ ولا غَليظ ولا صَخّاب في الأسواق، ولا يَدْفعُ السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويَصْفَحُ ويغفرُ، ولن يقبِضَهُ الله حتى يُقِيمَ به المِلّةَ العَوْجاء بأن يقولوا: لا إله إلاّ الله، فيفتحُ به أعْيُنا عُمياً، وآذاناً صُمّاً، وقلوباً غُلْفاً.

رواه أحمد (١٧٤/٢)، والبخاري في البيوع (٢٤٦/٥)، وفي تفسير سورة الفتح (٢٠٧/١٠، ٢٠٨)، وفي الأدب المفرد (٢٤٦).

قوله: «حرزاً للأميين» أي: حِصْناً للعَرَب، وقوله: «صَخَّاب» ويقال بالسين: هو الرافع صوته، وقوله: «الملة العوجاء» يعني: دينَ إبراهيم عليه السلام الذي غيَّرهُ العربُ وعَوَّجُوه، فبعث هذا الرسول العظيم ليقيمه ويُرْجِعَه إلى أصله الخالِص.

والحديث يدلّ على موافقة التوراة للقرآن في بعض صفات النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ككونه رسولاً وشاهداً ومبشّراً ونذيراً، فيا خسارة من عرفه وكفر به من اليهود والنصارى وغيرهم، وباقي أبحاث الحديث تأتي في السيرة النبويّة إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ [٥١]:

{٦٧٥} ـ قال عروة رحمه الله تعالى: كانت خولة بنت حكيم من اللاّتي وهَبْن أنفُسَهُن للنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: ما تَسْتَحيي المرأة أن تَهَب نفسَها للرجل، فلمّا نزلت: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾، قلت: يا رسول الله ما أرى ربَّك إلا يُسارعُ في هواك.

رواه البخاري في التفسير (١٠/١٤٤، ١٤٥) وفي النكاح، ومسلم في الرضاع رقم (١٤٦٤)، وأبو داود (٢١٣٩)، والنسائي رقم (٣١٩٩) كلاهما في النكاح، ويأتي هناك بألفاظ أُخر.

في هذه الآية الكريمة خصيصة لنبيّنا صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، حيث أباح الله له أن يعامل زوجاته كيف يشاء يمسك منهنّ من يشاء، ويطلّق من يشاء، ويجامع من يشاء، ويترك من يشاء، واختار ابن جرير أن الآية عامة في الواهبات من النساء اللائي عنده أنه مخيّر فيهنّ إن شاء قسم، وإن شاء لم يقسم. قال ابن كثير: وهذا الذي اختاره حسن جيد قوي... إلخ.

قوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ [٥٢]:

{٦٧٦} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: نُهِي رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عن أصناف النساء إلاّ ما كان من المؤمنات المهاجرات، قال: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ الآية، وأحلّ الله فتياتكم المؤمنات، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبيّ وحرم كل ذات دين غير الإسلام، ثم قال: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ إلى قوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

رواه الترمذي في التفسير (٣٠٠٦) بسند صحيح.

{٦٧٧} ـ وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما مات رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حتى أحلّ الله له النساء.

رواه أحمد (٦/١٨٠، ٢٠١)، والترمذي (٣٠٠٧) بتهذيبي، والنسائي في المجتبى (٣٢٠٥)، وابن حبان (٢١٢٦) بالموارد، والحاكم (٢/٤٣٧) بسند صحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

خلاصة ما ذكره المفسّرون وشراح الحديث في هذا الموضوع، أن هذه الآية: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ﴾ إلخ نزلت مجازاة لأزواج النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حيث أحْسَنَّ في اختيار الله ورسوله والدار الآخرة بدل الدنيا ومتاعها، فحرم عليه تعالى أن يتزوج بغيرهنّ أو يتبدّل بهنّ أزواجاً سواهنّ إلا ما كان من الإماء، ثم رفع عنه هذا الحرج وأباح له التزوّج كما صرحت به السيدة المبرأة عائشة رضي الله تعالى عنها، ولكنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يقع منه بعد ذلك زواج.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا

طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ [٥٣]:

{٦٧٨} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: أنا أعلم الناس بهذه: الآية الحجاب لما أُهْدِيَتْ زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كانت معه في البيت صنع طعاماً ودعا القوم، فقعدوا يتحدّثون فجعل النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يخرجُ ثم يرجع وهُمْ قُعُودٌ يتحدَّثُون، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ﴾ إلى قوله: ﴿مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾، فضرب الحجاب وقام القوم.

رواه البخاري في التفسير (١٤٨/١٠) وفي التوحيد، ومسلم في النكاح (١٤٢٨)، والنسائي في الكبرى (٤٣٤/٦، ٤٣٥، ٤٣٦) بألفاظ مطوّلاً ومختصراً.

{٦٧٩} ـ وعنه قال: قال عمر رضي الله تعالى عنه: قلت: يا رسول الله يدخلُ عليك البَرُّ والفاجرُ، فلو حجبتَ أُمّهاتِ المؤمنين، فأنزل الله عزّ وجلّ آيةَ الحجاب.

رواه البخاري في التفسير (٢٣٥/٩) ج (١٤٦/١٠، ٢٨٦)، والنسائي في الكبرى (٤٣٥/٦)، وراجع ما سبق في سورة البقرة: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾.

{٦٨٠} ـ وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كنت آكُلُ مع النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حِيساً في قَعْبٍ، فمرّ عمرُ رضي الله تعالى عنه فدعاه، فأكل فأصاب أصبعُه أصبُعِي، فقال: حس أو أوه! لو أُطاعُ فِيكُنَّ ما رأتكنَّ عينٌ، فنزل الحِجاب.

رواه النسائي في الكبرى (٤٣٥/٦)، والطبراني في الأوسط قال النور في المجمع (٩٣/٧): ورجاله رجال الصحيح غير موسى بن أبي كثير وهو ثقة.

قوله: قعب ـ بفتح القاف وسكون العين ـ: قدح ضخم، وقوله: حس: هي كلمة تقال عند العرب إذا أصيب الإنسان أو أصاب غيره بما تكرهه نفسه، وقوله: أوه: كلمة تقال عند التوجّع والشكاية.

في هذه الأحاديث بيان سبب نزول آية الحجاب، والاختلاف إما يحمل على التعدّد أو نزولها بأحد السببين، ثم صادف الثاني النزول. والآية الكريمة جاءت تؤدّب الصحابة في تعاملهم مع النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عند دخولهم بيوته، وفيها آداب سامية تتعلّق بالثقلاء الذين يطيلون الجلوس بعد الأكل في الولائم وعند الزيارات ولا يراعون جانب أهل الدار، كما فعل بعض الصحابة مع النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، ولذلك كان بعض السلف يقول: إن هذه الآية تسمى آية الثقلاء. وقال بعض المفسّرين: حسبك من الثقلاء أن الشرع لم يحتملهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [٥٦]:

{٦٨١} ـ عن كعب بن عُجرة رضي الله تعالى عنه قال: قيل: يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ قال: «**قولوا: اللّهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم إنك حميدٌ مَجِيدٌ، اللّهمّ بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد**».

رواه البخاري في التفسير (١٥٢/١٠)، ومسلم في الصلاة (١٢٦/٤، ١٢٧) وباقي الجماعة، وتقدم في الأذكار والدعوات مع أحاديث أخرى والحمد لله.

الصلاة من الله رحمة، ومن الملائكة استغفار، ومن العباد دعاء

وصلاة الله تعالى على نبيّه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: ثناؤه عليه عند ملائكته المقرّبين بما يليق بقدره ومنزلته عنده. ثم الصلاة عليه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من الواجبات الإسلامية على المؤمنين في كل صلواتهم، ومن الرغائب العظيمة في كل الأحيان، وخاصة ليلة الجمعة ويومها، ولها فضائل جمّة لا يستهان بها، فالسعيد من وُفّق للإكثار منها عليه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [٥٩]:

{٦٨٢} ـ عن أمّ سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: لما نزلت هذه الآية: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ خرج نساء الأنصار كأنّ على رؤوسهنّ الغِرْبان من الأكْسِيَة، وفي رواية: من أكسية سُودٍ يلبَسْنها.

رواه ابن أبي حاتم (٣١٥٤/١٠) من طريق عبدالرزاق، وأبو داود في اللباس (٤٠٩٨) بسند صحيح، وانظر الدرّ المنثور (٦٥٩/٦).

{٦٨٣} ـ وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: خرجت سودة رضي الله تعالى عنها بعدما ضُرِب الحجاب لحاجتِها، وكانت امرأةً جَسِيمَة لا تَخْفَى على مَن يَعْرِفُها، فرآها عُمر رضي الله تعالى عنه فقال: يا سودة إنك والله ما تَخْفين علينا، فانظري كيف تَخْرجين، فانكفَأَتْ راجعةً ورسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في بيتي، وإنه ليَتَعَشَّى وفي يده عِرْقٌ فدخلتْ، وقالت: يا رسول الله إني خرجتُ لبعض حاجتي فقال لي عمر: كذا وكذا، فأوحي إليه ثم رفع عنه، وإن العِرْقَ في يده فقال: «**إنَّهُ قد أُذِنَ لكُنَّ أن تَخْرُجن لحاجتِكُنَّ**».

رواه البخاري في التفسير (١٥٠/١٠)، ومسلم في السلام (١٥٠/١٤، ١٥٢) وغيرهما.

الجلابيب: جمع جلباب، وهي الملاءة التي تلبسها المرأة فوق الثياب وتلتحف بها عند خروجها من منزلها، ولا يكون ذلك إلاّ مع الأجانب غير

ذوي محرم، والجلباب يشبه ما يستعمله نساء الحجاز والعراق وإيران المسلمات.

وحجاب المرأة المسلمة واجب إسلامي فمن أنكره فقد أنكر القرآن وكذب الله عزّ وجلّ فيما قال وأمر به، فالقرآن الكريم يأمر النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بإبلاغ نسائه وبناته ونساء المؤمنين بأن يَسْتُرْنَ محَاسِنَهُنَّ وزِينَتَهُنَّ بالجلابيب، غير أن أُمّهات المؤمنين اختصن بحجب جميع أجسادهنّ وأشخاصِهن فهو فرض عليهنّ بلا خلاف في الوجه والكفّين، فلا يجوز لهنّ كشف ذلك لشهادة ولا غيرها، ولا يجوز لهنّ إظهار شخوصهن وإن كنّ مستترات، أمّا غيرهنّ من سائر النساء فلا يجب عليهن إلا تغطية محاسنهنّ وزينتهنّ بما يعدّ ساتراً شرعاً، بأن يكون الثوب واسعاً غير شفّاف ولا رقيق، سابغاً غير قصير، ولا زينة في نفسه، ولا مطيباً معطّراً. وفي حديث عائشة في قصة سودة دلالة على الإذن للنساء في الخروج لحوائجهنّ. وبهذا تمّت سورة الأحزاب، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات وصلّى الله وسلم وبارك على سيّدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة سبأ

آيات السورة أربع وخمسون، واختصّت بذكر تلك القصة الغريبة قصة أهل سبإ التي سمّيت السورة بهم.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾ الآية [١٥]:

{٦٨٤} ـ وعن فَرْوَة بن مُسَيْك المرادي رضي الله تعالى عنه قال: وأنزل في سبإ ما أنزل، فقال رجل: يا رسول الله وما سبأ أرضٌ أو امرأة؟ قال: **«ليس بأرضٍ ولا امرأة، ولكنه رجلٌ ولد عشرةً من العرب فتَيَامَنَ منهم ستّةٌ، وتَشَاءَمَ منهم أربعةٌ، فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة. وأما الذين تيامنوا فالأزد والأشعريون وحمير وكندة ومذحج وأنمار»**، فقال رجل: يا رسول الله، ما أنمار؟ قال: **«الذين منهم خذعم وبجلة»**.

رواه أبو داود في الحروف (٣٩٧٨)، والترمذي في التفسير (٣٠١١)، والحاكم (٤٢٤/٢) وصححه ووافقه الذهبي، والحديث حسنه قوم وصححه آخرون لشواهده.

قال المؤرّخون: كانت سبأٌ ملوكَ اليمن، وكان تُبَّعٌ وبَلْقِيسُ صاحبةُ سليمان عليه السلام من جُمْلَتِهم، وكانوا في نِعمةٍ وغِبْطَة في بلادهم وعيشِهم واتّساع أرزاقهم وزروعهم وثمارهم، وبعث الله تبارك وتعالى إليهم الرسلَ فآمنوا بهم وأطاعوهم ما شاء الله، ثم أعرضوا عمّا أُمِرُوا به فعُوقبوا بإرسال السَّيْل العَرِم فتفرّقوا في البلاد.

وقوله: ولكنه رجل ولد عشرة من العرب، يقال: إن سبأ كان يسمّى عبد شمس وهو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان وتناسل منه عشرة رجال هم أصول القبائل العربية، فلما نزل بهم سيل العرم تفرّقوا في البلاد، فسكن الشام لخم، وجذام، وغسان، وعاملة، فكانوا رؤوس القبائل العربية هنالك، وسكن اليمن الباقي وهم الأَزد، والأشعريّون، وحِمْيَر، وكِنْدَة، ومَذْحِج، وأنْمار.

ولخم ـ بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة ـ وجُذام ـ بضم الجيم ـ وغسان ـ بفتح الغين المعجمة والسين المشددة ـ وعاملة ـ بكسر الميم ـ وحمير كمنبر، وكنده ـ بكسر الكاف وسكون النون ـ ومذحج ـ بفتح الميم وسكون الذال وكسر الحاء ـ والأزد ـ بفتح الهمزة وسكون الزاي ـ واختلف النسّابون هل كان قحطان من العرب العاربة الذين كانوا قبل سيدنا إبراهيم عليه السلام أم هو من سلالة إبراهيم والعرب المستعربة؟ الصحيح أنه من ولد إبراهيم ويؤيّده حديث البخاري أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم مرّ بنفر من أسلم ينتضلون فقال: **«ارْمُوا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً»**... وأسلم قبيلة من الأنصار، والأنصار بأوْسِهَا وخَزْرَجِها من غسّان من عرب اليمن السبئيين الذين نزلوا يثرب ـ المدينة ـ بعد سيل العرم، والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [٢٣]:

{٦٨٥} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: إن نبيّ الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«إذا قضى الله تعالى الأمر في السماء ضرَبَتْ الملائكةُ بأجْنِحَتِها خُضْعاناً لقوله كأنه سِلْسِلة على صَفْوَان، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قال: الحقّ وهو العليّ الكبير»**.

رواه البخاري (١٥٧/١٠)، والترمذي (٣٠١٢) كلاهما في التفسير.

قوله: **«إذا قضى الله الأمر»** في رواية للنواس بن سمعان عند الطبراني:

«**إذا تكلّم الله تعالى بالوحي**»، وقوله: خضعاناً أي: خاضعين، وقوله: سلسلة إلخ أي: كصوت السلسلة على حجر أملس، وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي: رُفع عن قلوبهم الفزعُ.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [٢٨]:

{٦٨٦} ـ وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أُعطيت خمساً لم يعطهنّ أحد من الأنبياء: نُصِرت بالرعب... وكان النبيّ يبعث إلى قومه خاصّة، وبعثت إلى الناس عامّة**».

رواه البخاري في التيمّم (١/٤٥٣، ٤٥٥)، ومسلم في المساجد (٥/٤، ٤) مطوّلاً، وتقدم في التيمّم كاملاً، وانظر ما سبق في سورة الأعراف آية (١٥٨).

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [٣٩]:

{٦٨٧} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**ما من يوم يُصْبِح العبادُ فيه إلا ملكان يَنْزِلان فيقولُ أحدهما: اللّهمّ أعطِ مُنفِقاً خَلَفاً، ويقول الآخر: اللّهمّ أعطِ مُمْسِكاً تَلَفاً**».

رواه البخاري (٤/٤٧)، ومسلم (٧/٩٥) كلاهما في الزكاة.

هذه النفقة تشمل النفقة على النفس وعلى الزوجة والأولاد والوالدين والضيوف وغير ذلك، فكلها يخلفها الله بأضعاف أضعافها، وهذا مما لا ينبغي أن يشك فيه. أما تلف الممسك، فالظاهر أنه يكون في الإمساك عن الواجبات، والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [٥٠]:

{٦٨٨} ـ عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: كنّا مع رسول الله

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في سفر، فأشرف الناس على وادٍ فجهروا بالتكبير والتهليل: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلاّ الله، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**يا أيُها الناسُ ارْبَعُوا على أنفسكم إن الذي تَدعون ليس بأصمّ إنه سميعٌ قريب إنه معكم**» أعادها ثلاث مرات.

رواه البخاري في الجهاد (٢٩٩٢) وفي المغازي وفي الدعوات (٦٢٨٤) وفي القدر، ومسلم في الذكر (٢٧٠٤)، وأبو داود في الصلاة والترمذي في الدعوات.

اربعوا ـ بكسر الهمزة وفتح الباء ـ أي: ارفقوا، وفي الآية والحديث بيان أن الله متّصف بالسمع والقرب، وهما صفتان لله عزّ وجلّ يليقان بألوهيّته وجلاله، فليس كمثله شيء، فتفسيرهما إمرارهما كما جاءتا، فهو تعالى حاضر شاهد قريب سميع بصير، وكل هذه الصفات هي خلاف صفاتنا، فاعرف ذلك.

وبهذا تمّت سورة سبأ. والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة فاطر

وهي خمس وأربعون آية، وامتازت بذكر العلماء الذين يخشون الله عزّ وجلّ...

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية [٣٢]:

{٦٨٩} ـ عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**قال الله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾** الآية، **فأما الذين سَبقُوا بالخيرات فأولئك الذين يَدْخُلون الجنّة بغير حساب، وأما الذين اقْتَصَدوا فأولئك يُحاسَبُون حساباً يسيراً، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يُحْبَسُون في طول المحشر، ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته فهم الذين يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾** إلى **﴿لُغُوبٌ﴾**».

رواه أحمد (١٩٤/٥، ١٩٧. ١٩٨)، وابن جرير (١٣٧/٢٢)، وابن أبي حاتم وهو عند أحمد من طريقين: أحدهما سنده صحيح على شرط مسلم، وللحديث شواهد عن أبي سعيد رواه أحمد (٧٨/٣)، والترمذي (٣٠١٤)، وابن جرير (١٣٧/٢٢)، وابن أبي حاتم (٣٨١/١٠) وفيه: «هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم في الجنّة». وعن ابن عباس رواه ابن أبي حاتم (٣١٨١/١٠) بلفظ: مظالمهم.. مغفور له، ومقتصدهم يحاسب حساباً يسيراً، وسابقهم في الجنّة بغير حساب. وعن عوف بن مالك رواه ابن أبي

حاتم (٣١٨١/١٠، ٣١٨٣)، وفي الباب آثار كثيرة في هذا المعنى انظرها عند ابن جرير وغيره.

وفي الآية الكريمة مع ما في الباب من الأحاديث فضل عظيم لهذه الأُمّة المحمدية، وفسروا الظالم لنفسه بالمفرط في بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات، والمقتصد بالمؤدي للواجبات التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات. أما السابق فهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات... جعلنا الله تعالى من هذا القسم بمنّه وكرمه، آمين.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [٣٧]:

{٦٩٠} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أعذر الله عزّ وجلّ إلى امرىءٍ أخَّرَ عُمُرَه حتى بَلغ سِتين سنة**»، وفي رواية: «**العمر الذي أعذر الله تعالى فيه إلى ابن آدم سِتُّون**»، يعني **﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾** الآية.

وفي رواية: «**لقد أعْذرَ الله إلى عبدٍ أحْياهُ حتى بلغَ سِتّين أو سبعين سنة لقد أعذر الله إليه**».

رواه أحمد (٢٧٥/٢، ٣٢٠، ٤١٧)، والبخاري في الرقاق (١٤/١٤)، والرواية الثانية رواها البزار. أما الأخيرة فهي عند أحمد (٢٧٥/٢)، والحاكم (٤٢٧/٢، ٤٢٨).

أعذر أي: بالغ في العذر حتى لم يبق له عذر، فإن إطالة العمر إلى الستين هو وقت يتاح للعبد فيه الرجوع إلى الله تعالى والانكفاف عن مواقع سخطه وغضبه، فبعد هذا العقد لم يبق له عذر يعتذر به، فما بقي بعده إلا

ترقب الموت ولقاء الله والاستعداد لذلك، ألهمنا الله رشدنا، وجعل خير أيامنا وأسعدها يوم لقائه، آمين.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ﴾، معناه: أوَ لست قد فسحت لكم في الأجل وأطلت أعماركم حتى وصلت بكم إلى سنّ يتذكر فيها من يريد أن يتذكر، فماذا صنعتم في هذه المدة التي عشتموها؟! هذا يقال للكفار وأشباههم يوم القيامة...

وبه تمّت سورة فاطر. والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه.

سورة يـــس

السورة ثلاث وثمانون آية، ولها خصائص مجرّبة، ومن فضائلها الحديث الآتي:

{٦٩١} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**من قرأ يٰس في ليلةٍ أصبحَ مَغْفُوراً له، ومن قرأ حم التي يُذكرُ فيها الدُّخان أصبح مغفوراً له**».

رواه الطيالسي (١٩٧٠) مع المنحة، والدارمي (٣٤٢٠)، وأبو يعلى (٦١٩٦)، والطبراني في الصغير (٤١٧)، والسياق لأبي يعلى غير أنه قال: في ليلة جمعة، قال ابن كثير في التفسير: إسناده جيد، قلت: بل سنده صحيح رجاله رجال الصحيح عند الدارمي مع اختلاف في سماع الحسن من أبي هريرة، وللشطر الأول شاهد عن جندب بن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**من قرأ يٰس في ليلة ابتغاء وجه الله عزّ وجلّ غُفِر له**».

رواه ابن حبان (٢٥٧٤) بسند صحيح، وعنعنة الحسن هنا لا تضر، والله أعلم، أما غير هذا فلا يصح شيء منه.

ومن خصائصها كما قال ابن كثير أنها لا تقرأ عند أمر عسير إلا يسّره الله تعالى قال: وكأنَّ قراءتها عند الميت لتنزل الرحمة والبركة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [١٢]:

{٦٩٢} ـ عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: كانت بنو سلمة في ناحية المدينة، فأرادوا النُّقْلة إلى قُرْب المسجد، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إن آثاركم تكتب**» فلم ينتقلوا.

رواه الترمذي (٣٠١٥) في التفسير وحسّنه، والحاكم (٤٢٨/٢، ٤٢٩) وصححه ووافقه الذهبي، ويشهد له حديث ابن عباس بنحوه رواه ابن جرير (١٥٤/٢٢)، قال الحافظ في الفتح: (٢٨١/٢): أخرجه ابن ماجه وإسناده قوي.

وظاهر الحديثين أن الآية نزلت بسبب بني سلمة غير أن الآية مكّية، وقصة بني سلمة كانت بالمدينة، وقد يُجاب باحتمال نزولها مرتين، وقصة بني سلمة جاءت في الصحيحين دون ذكر الآية، وقد تقدم بعض ذلك في الصلاة.

قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ﴾ [٣٨]:

{٦٩٣} ـ عن أبي ذرّ رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في المسجد عند غروب الشمس فقال: «**يا أبا ذرّ أتدري أين تذهب هذه الشمسُ**»؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**تذهب تسجدُ تحت العرش فتَسْتَأْذِنُ فيُؤذن لها، ويُوشك أن تسجدَ فلا يُقبلُ منها، وتَسْتَأْذِنُ فلا يُؤذَنُ لها فيقال لها: ارْجِعِي مِن حَيثُ جِئْتِ، فتَطْلُع مِنْ مغربها**»، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾.

رواه أحمد (١٧٧/٥، ١٥٢)، والبخاري في التفسير (١٦١/١٠) وفي بدء الخلق وفي التوحيد، ومسلم في الإيمان (١٩٥/٢، ١٩٦)، وأبو داود

في الحروف (٤٠٠٢)، والترمذي في الفتن (٢٠١٦)، وفي التفسير (٣٠١٦)، والنسائي في الكبرى (٤٣٩/٦).

الكلام على الآية والحديث في مبحثين: أولاً: في سجود الشمس، ثانياً: في مستقرّها. أما سجودها تحت العرش بين يدي الربّ فتضاربت فيه الأقوال، والظاهر أنها دائمة السجود وليس لها وقت خاص لا تسجد إلا فيه، فإنها إذا غربت على قوم طلعت على قوم آخرين، فسجودها مستمر، وهي مع سائر هذا العالم تحت العرش، وهذا وأمثاله يجب الإيمان به على ما أراده الله ورسوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

أما مستقرّها فلها استقرار مكاني وهو تحت العرش على ما سلف، واستقرار زماني وهو منتهى سيرها وهو يوم القيامة حيث يبطل سيرها وتسكن حركتها. وفي الآية والحديث دليل قاطع على أن الشمس تجري في فلكها كباقي الكواكب السيارة، كما قال في آية أخرى: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

فالفكرة التي كانت تقول بثباتها فكرة خاطئة، معتقدها كافر.

قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [٦٥]:

{٦٩٤} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كنا عند النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فضحك حتى بدتْ نواجذه، ثم قال صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أتدرون مِمّ أضحكُ؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**من مُجادلة العبدِ ربَّه يوم القيامة، يقول: ربِّ ألم تُجِرني من الظلم؟ فيقول: بلى، فيقول: لا أُجيزُ عليَّ إلا شاهداً من نَفْسِي، فيقول: كفَى بنفسك اليومَ عليك حَسِيباً، وبالكرام الكاتبين شُهُوداً، فيُخْتَم على فِيه ويقال لأركانه انطِقي فتنطِقُ بِعَمَلِهِ، ثم يُخَلّى بينَه وبَيْن الكلام، فيقول: بُعْداً لكنَّ وسُحقاً فعنكنَ كنتُ أناضِل**».

رواه مسلم في الزهد (٢٩٦٩)، والنسائي في الكبرى (٥٠٨/٦)، وتقدم في سورة النور، ويأتي أيضاً في الانفطار وغيرها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [٦٩]:

{٦٩٥} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قيل لها: هل كان النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يتمثّل بشيء من الشعر؟ قالت: كان يتمثّل بشعر ابن رواحة ويقول:

ويـــأتِـــيـــكَ بـــالأَخْـــبَـــارِ مَـــنْ لـــم تُـــزَوِّدِ

رواه البخاري في الأدب المفرد (٨٦٧)، والترمذي في الاستئذان (٢٦٥٧)، وفي الشمائل (٢٤١) وحسّنه وصححه.

{٦٩٦} ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«لأَنْ يَمْتَلِىءَ جوفُ أحدِكم قَيحاً حتى يَرِيهِ خيرٌ له من أن يمتلىء شِعْراً»**.

رواه البخاري في الأدب (١٦٧/١٣)، ومسلم في الشعر (١٤/١٥، ١٥)، والترمذي في الاستئذان (٢٦٦١)، وابن ماجه (٣٧٥٩) وغيرهم.

قوله: تزوّد ـ بضم التاء وكسر الواو المشدّدة ـ من التزويد، أي: قد يأتيك بالأخبار من لم تعطه زاداً، بل يأتيك بها بالمَجان. وقوله: يريه ـ بضم الياء الأُولى وتفتح ـ أي: حتى يفسده أو يهلكه، وقيل: حتى يصيب رئتيه.

والآية دالّةٌ على أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يكن يعلم قرض الشعر، وأنه منزّه عن ذلك؛ لأن أغلبه كذبٌ، وخيالاتٌ، ولذلك يقولون: أحْلاَه أكْذَبه، كما أن أكثره في وصف الخمر والنساء، وخدودهنّ، وعيونهنّ، ونهودهنّ، وقدودهنّ... وكل ذلك لا يليق بمطلق المؤمنين الملتزمين فكيف بمقام النبوّة، وإنما كان يتمثّل ببعض الأشعار المشهورة المشتملة على الحكم، ولذا قال صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«إن من الشعر لَحِكَماً»**، وحديث أبي هريرة يدلّ على ذمّ الشعر وحفظه، وذلك محمول على ما ذكرنا من الشعر البذيء؟

سورة الصافات

آياتها ثنتان وثمانون، ومن أبرز خصائصها قصة الذبيح وفديته بالذبح العظيم.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [٧٧]:

{٦٩٧} ـ عن سمرة عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«سامٌ أبو العرب، وحامٌ أبو الحَبَشِ، ويافِثُ أبو الرُّوم»**.

رواه أحمد (٩/٥، ١٠، ١١)، والترمذي في التفسير (٣٠٢٠)، والطبراني في الكبير (٦٨٧١)، والحاكم (٥٤٦/٢)، وصححه ووافقه الذهبي.

الآية الكريمة مع الحديث الشريف دالاّن على أن ما يوجد من البشر هم من ذرية نبيّ الله نوح عليه الصلاة والسلام الذين تناسلوا من أولاده الثلاثة المذكورين، وكان له ولد رابع كنعان غرق كافراً مع من غرق في الطوفان.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [١٦٥، ١٦٦]:

{٦٩٨} ـ عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال: خرج إلينا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: **«ألا تَصُفُّون كما تَصُفُّ**

الملائكةُ عند ربهم»، قالوا: يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال: **«يُتمُّونَ الصَّفَّ المُقَدَّم، ويتراصُّون في الصف»**.

رواه مسلم في الصلاة (٤٣٠)، وأبو داود (٦٦١)، والنسائي في الكبرى (٤٤١/٦) وفي المجتبى، وابن ماجه (٩٩٢).

في الآية والحديث دليل على أن الملائكة يصلون مصطفين، وأنهم يسوّون صفوفهم ويتمّونها، وأنه ينبغي لنا أن نتشبّه بهم ونقتدي بأفعالهم في صلاتنا.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾﴾ إلخ، قال المفسّرون: في قولهم هذا ردّ على المشركين القائلين بأن الملائكة بنات الله أو شركاء له، فها هم يعترفون على أنفسهم بالعبودية لله تعالى والطاعة له وتنزيهه جلّ علاه عمّا لا يليق به.

﴿قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾﴾ [١٧٧]:

{٦٩٩} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أتى خيبر فصلّى عندها الغداةَ، فركِبَ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وركِب أبو طلحة وأنا رَدِيفُ أبي طلحة، فأجْرى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في زُقاقِ بخَيْبر، فانكشفَ فخِذُه حتى إني لأنظر إلى بياضِ فخذِهِ، فأتى خيبرَ فقال: **«إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»**.

رواه البخاري في الصلاة (٣٧١) وغيرها، ومسلم في غزوة خيبر من الجهاد والسير (١٦٣/١٢، ١٦٤).

زقاق ـ بضم الزاي ـ: طريق ضيّق. وأشار النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بقوله هذا إلى أنه سينتصر على اليهود، وأن العذاب سيحِقُّ بهم لا محالة. والساحة: هي فِناءُ أمامَ البيوت.

{٧٠٠} ـ وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يأمُرنا بالتخفيف ويؤمّنا بالصّافّات.

رواه أحمد (٢٦/٢، ٤٠)، والنسائي في الكبرى وفي المجتبى (٨٢٦)، وابن خزيمة (١٦٠٦)، وابن حبان (٤٧٠) بالموارد وسنده صحيح.

الحديث يدلّ على أن التخفيف المأمور به في السنة هو تخفيف نسبي، فالسور فيها طوال وأطول ووسط وقصار، فمن قرأ مثلاً بالبقرة فقد أطال، لكن من قرأ بقّ أو بالصافات فقد خفّف بالنسبة للبقرة، وهكذا من قرأ بوسط القصار كسبح الأعلى والشمس وضحاها، فالنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كانت أحوالُه في صلاته تختلفُ تشريعاً لأُمّته التي يختلف أفرادُها قوةً وضَعْفاً. وبهذا تمّت سورة الصافات. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة ص

وهي ثمانون آية، وتمتاز بذكر فتنة سليمان وداود عليهما الصلاة السلام.

قوله تعالى: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ﴾ [١ ـ ٧]:

{٧٠١} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: مَرِضَ أبو طالِب فجاءتْه قُريشٌ، وجاءه النبيُّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وعند أبي طالب مَجْلِس رجُلٍ فقام أبو جهل كَيْ يمنعَه، قال: وشكَوْهُ إلى أبي طالب، فقال: يا ابن أخي، ما تُريد من قومك؟ قال: «**أُريد مِنهم كَلِمَةً تَدِينُ لهم بها العربُ، وتُؤَدّي إليهم العَجَمُ الجِزْيَة**»، قال: كلمة واحدة، قال: «**كلمة واحدة**»، فقال: «**يا عمّ قولوا: لا إلـه إلاّ الله**»، فقالوا: أإلـهاً واحداً؟ ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧﴾، قال: فنزل فيهم القرآن: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧﴾.

رواه أحمد (٢٢٧/١)، والترمذي في التفسير (٣٠٢١)، والنسائي في الكبرى (٤٤٢/٦)، وأبو يعلى (٢٥٨٦)، وابن حبان (١٧٥٧)، والحاكم (٤٣٢/٢)، وحسّنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

تعجّب الكفار مما قال لهم حبيب الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم

هو من أعجب العجائب، فلو كانت لهم عقولٌ يهتدون بها لما تعجّبوا من وحْدَة الأُلوهيّة، ولما تأخّروا عن إجابته إلى ما دعاهم إليه، ولكنها لا تَعْمَى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [٢٤]:

{٧٠٢} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: السَّجْدَةُ في صٓ لَيْسَتْ مِن عَزَائِم السُّجُود، وقد رأيت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يَسْجُدُ فيها.

رواه البخاري في الصلاة وفي الأنبياء، والترمذي في سجود القرآن (٥١٥)، والدارمي (١٤٧٥)، وأبو داود (١٤٠٩) والنسائي وغيرهم.

{٧٠٣} ـ وعن مجاهد رحمه الله تعالى أنه سُئِل عن سجدة صٓ، فقال: سألت ابن عباس من أيْنَ سجدتَ؟ فقال: وما تقرأ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾... ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٨٤ ـ ٩٠]، فكان داود ممن أمر نبيّكم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أن يَقْتَدِيَ به فسجدَها داود عليه الصلاة والسلام، فسجدها رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

رواه البخاري في التفسير (١٦٤/١٠).

في الحديثين كالآية الكريمة أن السجود عند هذه السجدة مشروعٌ في ديننا تبعاً لسجود داود عليه السلام الذي سجدها توبةً، وسجدَها نبيّنا صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم شُكْراً، كما جاء في حديث لابن عباس رواه النسائي في الكبرى (٤٤٢/٦)، والبيهقي (٣١٩/٢) برجال ثقات.

وليست من العزائم كباقي السجدات التي شرعها لنا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ووردت العزيمة على فعله.

قوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ۝٣١﴾:

{٧٠٤} ـ وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالتْ: قدِمَ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من غَزْوَة تَبُوك أو خيبر وفي سَهْوَتِها سِتْرٌ

فَهَبَّ ريحٌ فكشفتْ ناحِيةَ السِّتْرِ عن بناتٍ لعائشة، فقال: «**ما هذا يا عائشة**»؟ قالت: بناتي، ورأى بينهن فرساً له جناحان من رقاع، فقال: «**ما هذا الذي أرى وسطهُنَّ**»؟ قالت: فرسٌ، قال: «**وما هذا الذي عليه**»؟ قالت: جناحان، قال: «**فرسٌ له جناحان**»؟ قالت: «**أما سمعت أنّ لِسليمان خَيلاً لها أجنحة**»؟ قالت: فَضَحِكَ حتى بَدَتْ نَواجِذُه.

رواه أبو داود (٤٨٩٤) في الأدب، والنسائي في الكبرى (٣٠٦/٥، ٣٠٧) في عشرة النساء، وابن حبان (٥٨٦٤)، والبيهقي (٢١٩/١٠) بسندٍ صحيح.

في الحديث جواز اتخاذ البنات من صور الحيوانات للتدريب على التربية، وأن ذلك مرخّص فيه للفتيات الصغار، وأنها مستثناة من تحريم اتخاذ الصور، وفي الحديث فطنة مولاتنا عائشة وفقهها رضي الله تعالى عنها، وفيه موافقة الزوجة على لعبها وعدم الإنكار عليها، وجواز الضحك بالقهقهة لمن لا يتخذ ذلك عادة له.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [٣٥]:

{٧٠٥} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**إنّ عِفريتاً من الجنّ تَفَلَّتَ عليَّ البارحة أو كلمة نحوها ليقطعَ عليَّ الصلاة، فأمكنَنِي الله تعالى منه وأردت أن أربِطَه إلى سارِيةٍ من سوارِي المسجد حتى تُصبِحُوا وتنظروا إليه كُلُّكُمْ فذكرتُ قول أخي سليمان: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ فردَّه خاسئاً**».

رواه البخاري في أول الصلاة وفي بدء الخلق وفي الأنبياء وفي التفسير (١٦٧/١٠)، ومسلم في المساجد رقم (٥٤١)، والنسائي في الكبرى (٤٤٣/٦)، ونحوه عن أبي الدرداء في مسلم (٥٤٢)، وعن عائشة في كبرى النسائي.

في الحديث بيان عظمة رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وقوّته الجسمية والروحية حيث ألقى القبض على العفريت من الجنّ، وفيه تأدُّبه مع نبيّ الله سليمان عليه الصلاة والسلام، ولولا دعاؤه لتحكم فيه وربطه حتى يصبح فيَراهُ الناسُ مُعْتقلاً.

قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ۝٥٠﴾ [٥٠]:

{٧٠٦} ـ عن عبدالله بن قيس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**ما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربّهم إلا رِداءُ الكِبرِ على وجهه في جَنّاتِ عَدْنٍ**».

رواه البخاري في التفسير (٤٨٧٩) وفي التوحيد (٢٠٦/١٧)، ومسلم في الإيمان رقم (١٨٠)، والترمذي في صفة الجنّة (٢٣٤٥)، والنسائي في الكبرى (٤٤٣/٦)، وابن ماجه (١٨٦).

رؤية المؤمنين لربّهم في الجنّة وغيرها ثابتة بطريق التواتر عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ونصّ عليها القرآن الكريم، وأجمع عليها أهل السنّة، وأنكرها المعتزلة والجهمية والإمامية الروافض وغيرهم من المبتدعة الضالّين، وقوله: إلا رداء الكبرياء على وجهه، هو من أحاديث الصفات، ومذهب السلف إجراؤه على ظاهره من غير تأويل ولا تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ۝٥٩﴾ [٥٩]:

{٧٠٧} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**إن الميّت تحضُره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قال: أُخرُجي أيّتها النفسُ الطيّبة، كانت في جسد طيب أُخرجي حَميدة، وأبشِري بروْح وريحان، وربٍّ غير غضبان، يقولون ذلك حتى تخرج ثم يُصعَدُ بها إلى السَماء، فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: مرحباً بالنفس الطيّبة كانت في الجسد الطيّب ادخلي حميدةً، وأبشِري**

بروح وريحان، وربٍّ غير غضبان، فيقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء السابعة.

وإذا كان الرجل السوء قيل: أخْرُجي أيَتُها النفسُ الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، أخرجي ذميمةً، وأبْشِري بِحَمِيم وغَساق، وآخر من شَكْلِه أزواجٌ، فيقال ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء، فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، أخرجي ذميمة فلن تفتح لك أبواب السماء».

رواه أحمد (٢/٣٦٤، ٣٦٥) ج (٦/١٤٠)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٤٣، ٤٤٤)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٦٢) وسنده صحيح، وله شاهد عن البراء مطوّلاً ذكرته في «مشاهد الموت»، وتقدم في سورة الأعراف عند قوله تعالى: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾.

الشاهد من الحديث: «**وآخر من شكله أزواج**»، والحميم: هو الماء الحار الذي بلغ النهاية في الغليان، والغساق: ما يسيل من صديد أهل النار ودمائهم، ثم عذاب آخر من مثل هذا العذاب وشكله أزواج كالسموم، والزمهرير، وأصناف العذاب وأنواعه.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [٦٩]:

{٧٠٨} - عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أتاني الليلة ربّي تبارك وتعالى في أحسن صورة** - قال: أحسبه قال: **في المنام** - **فقال: يا محمد هل تَدْري فيم يختصم الملأُ الأعلى؟ قال: قلت: لا، قال: فوضع يده بين كَتِفَيَّ حتى وجدتُ بَرْدَها بين ثَدْيَيّ** - أو قال: **في نَحْري** - **فعلمتُ ما في السمٰوات وما في الأرض، قال: يا محمد، هل تدري فِيمَ يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: نعم، في الكفارات، والكفاراتُ المكثُ في المسجد بعد الصلاة، والمشيُ على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في المكاره، ومن فعل ذلك**

عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدَتْه أُمُّه، وقال: يا محمد إذا صلّيت فقل: اللّهمّ إني أسألك فعلَ الخَيرات وتركَ المُنْكِرات وحُبَّ المساكين، وإذا أردتَ بعبادِك فِتنةً فاقْبِضْني إليكَ غير مفتون، قال: والدَّرجاتُ إفْشاء السلام وإطعام الطعام، والصلاةُ بالليل والناس نِيام».

رواه أحمد رقم (٣٤٨٤)، والترمذي في سورة صٓ رقم (٣٠٢٢) وسنده صحيح وله شاهد عن معاذ بن جبل بنحوه رواه أحمد (٥/٢٤٣)، والترمذي (٣٠٢٣)، والحاكم (١/٥٢١)، وحسّنه الترمذي وصححه، وفيه: «**فتجلّى لي كلُّ شيء، وعرفتُ**»، وقال في الدعاء: «**وأن تغفر لي وترحمني**» بعد حبّ المساكين، وله شاهد ثانٍ رواه أحمد (٤/٦٦) ج (٥/٣٧٨)، والحاكم (١/٥٢٠، ٥٢١) من حديث عبدالرحمٰن بن عايش وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

حديثا ابن عباس ومعاذ فيهما فوائد جمّة منها جواز رؤية الله في المنام، وهو قول الجمهور. وفي قوله: «فوضع يده» إلخ هو من أحاديث الصفات، فالله لا يوصف بجارحة. وقوله: «فعلمت ما في السمٰوات وما في الأرض»، وفي الرواية الثانية: «فتجلّى لي كل شيء وعرفت»، فيستدل بذلك على أن الله أطلع نبيّه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم على كل شيء أراد اطّلاعه عليه مما في السمٰوات وما في الأرض، وأن إسباغ الوضوء والمشي إلى الجماعات وانتظار الصلاة من أفضل القُرُبات، وأن ذلك من مكفّرات الذنوب، وأن إفشاء السلام وما ذكر معه من أفضل القربات، وأنها من الدرجات، وهذه الخصال مما يتحدّث به الملائكة.

وبهذا تمّت السورة الكريمة. والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة الزمر

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [٩]:

{٧٠٩} ـ عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه قال: دخل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم على رجلٍ يعودُه، فوافقه وهو في الموت فسلّم عليه، وقال: «**كيف تجدُك**»؟ فقال: بخير يا رسول الله أرجو الله عزّ وجلّ وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**لَن يَجْتَمِعَا في قَلْبِ رجُلٍ عند هذا الموطنِ إلا أعْطاهُ اللهُ ما رَجَاهُ وأمَّنَهُ ممّا يَخافُ**».

رواه الترمذي في الجنائز (٨٧٥)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٦١)، وأبو يعلى في المسند (٣٢٩٠، ٣٤٠٤) وحسّنه الترمذي والمنذري، وجوّده النووي.

في الآية فضل القائم الساجد الذي يخاف الآخرة ويرجو رحمة ربّه وأنه لا يستوي مع من هو منحرف غافل، كما أن الحديث يدلّ على أن من استوى رجاؤه وخوفه عند الموت كان من الفائزين؛ ففي الآية والحديث بيان مقامي الخوف والرجاء، حقّقنا الله تعالى بهما.

قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾ **الآية** [٢٠]:

{٧١٠} ـ عن أبي سعيدٍ رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى

عليه وآله وسلم قال: «**إن أهل الجنّةَ يَتَرَاءَوْنَ أهل الغُرف مِن فوقهم كما تَرَاءَون الكوكبَ الدُّرِّي الغابِرَ في الأُفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم**»، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: «**بلى والذي نفسي بيده رجالٌ آمَنوا بالله وصدَّقُوا المُرسلين**».

رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٥٦)، ومسلم في الجنّة (٢٨٣١)، وفي الباب غير هذا ويأتي في الرقاق. في الآية والحديث تفاضل سكان الجنّة في المنازل والدرجات حسب إيمانهم واستقامتهم وتفاوتهم في ذلك.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ﴾ **الآية** [٤٢]:

{٧١١} ـ عن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ونحن في سفر ذات ليلةٍ، قلنا: يا رسول الله لم عَرَّستَ بنا، فذكر نومهم عن الصلاة، وفيه: «**إن الله قَبَضَ أرواحَكم حِينَ شاء وردَّها عليكم حِينَ شاء**» الحديث.

رواه البخاري وغيره، وقد تقدم في الصلاة، وهو مع الآية يدلاّن على أن النوم موت وقبض لروح الإنسان، فلا يبقى له شعورٌ، فإذا كان قد حلّ أجلُه قبضها الله تعالى، وإلا أرسلها حتى تستوفي أجلها المضروبَ لها في هذه الحياة.

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [٤٦]:

{٧١٢} ـ فيه حديث عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «**اللّهمّ ربّ جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطرَ السمٰوات والأرض عالمَ الغيب والشهادةِ**» الحديث.

رواه مسلم وغيره، وقد تقدم في سورة البقرة.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ الآية [٥٣]:

{٧١٣} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن ناساً من أهل الشرك قد قتلوا فأكثَرُوا وزَنوا فأكثروا، ثم أتوا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لَحَسَنٌ لو تُخبِرُنا أن لِما عَمِلْنا كفارةً، فنزلت: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾، ونزلت: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟﴾ إلخ.

رواه البخاري في التفسير (١٠/١٧٠)، ومسلم في الإيمان (٢/١٣٩، ١٤٠) وغيرهما.

هذه الآية الكريمة ذكر العلماء أنها أرجى آية في القرآن للعصاة، فهي تدلّ على عظيم رحمة الله وشمول مغفرته لكل مؤمن، وعلى الأخص التائب.

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [٥٧]:

{٧١٤} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**كلّ أهل الجنّة يقول: لولا أن الله هداني فيكون له شكراً، وكل أهل النار يقول: لو أن الله هداني ليكون عليه حسرة**».

رواه أحمد (٢/٥١٢)، والنسائي (٦/٤٤٧)، والحاكم (٢/٤٣٥) وسنده صحيح، وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي. في الحديث بيان أن كل الناس يوم القيامة يتمنّون أن لو كانوا هدوا في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [٦٧]:

{٧١٥} ـ عن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: جاء حَبْرٌ من الأحبار إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال له: يا محمد إنا نجد أن الله تعالى يجعل السمٰوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملِك، فضحك النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حتى بدَتْ نواجذه تَصْدِيقاً لقول الحَبر، ثم قرأ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ الآية.

رواه أحمد (٣٥٩٠، ٤٣٦٨)، والبخاري في التفسير (١٠/١٧١)، وفي التوحيد (١٧/٢١٤، ١٦٩، ١٧٠)، ومسلم في صفة القيامة (٢٧٨٦)، والترمذي (٣٠٢٦)، والنسائي (٦/٤٤٦، ٤٤٧) كلاهما في التفسير. وفي الباب عن ابن عمر وأبي هريرة، وسيأتي ذلك في الرقاق إن شاء الله تعالى.

ما في الآية والحديث من اليمين والقبض هي من صفات الله تعالى الذاتية يجب الإيمان بها وإمرارها كما جاءت من غير اعتقاد الجارحة والجسمية أو التشبيه.

قال ابن بطال رحمه الله تعالى: لا يحمل ذكر الإصبع على الجارحة، بل يحمل على أنه صفة من صفات الذات لا تكيّف ولا تحدّد، وقال الحافظ في الفتح: والأَولى في هذه الأشياء الكفّ عن التأويل مع اعتقاد التنزيه، فإن كل ما يستلزم النقص من ظاهرها غير مراد.

وقد أبعد النجعة بعض الأشاعرة المتأخرين، فزعم أن هذا الحديث وأمثاله شواذ رغم أنها في الصحيح وتلقاها العلماء بالقبول، ولذلك ردّ الحافظ على هذا القائل، وقال: إن في ذلك طعناً على ثقات الرواة، وردّاً للأخبار الثابتة. انظر كتاب التوحيد من الفتح (١٧/١٧١)، وكتاب التفسير

(١٧١/١٠)، لهذه الآية وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ أي: ما عظموه حقّ عظمته، وما أعطوه الصفات اللائقة به مع ما له من العظمة والكبرياء.

قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [٦٨]:

{٧١٦} ـ عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**كيف أنعَمُ وقد التقَمَ صاحب القرنِ القرن، وحَنَى جبهتَه وأصْغَى سَمْعه ينتظر أن يُؤمَر أن يَنفخ فينفخ**»، قال المسلمون: فكيف نقول يا رسول الله؟ قال: «**قولوا: حسبنا الله ونِعْم الوكيل، توكّلنا على الله**»، وربما قال سفيان: «**على الله توكّلنا**».

رواه أحمد (٧/٣، ٧٣)، والترمذي في صفة القيامة (٢٢٥٢) وفي التفسير (٣٠٢٨)، وعطية العوض لا يضرّ هنا فقد رواه ابن ماجه (٢٥٦٩) من غير طريقة، ثم إن له شاهداً عن أبي هريرة رواه الحاكم (٥٥٩/٤) بسندٍ صحيح على شرط مسلم.

قوله: كيف أنعم ـ بفتح الهمزة والعين ـ أي: كيف تطيب لي الحياة والعيش والملك صاحب الصور قد تهيّأ للنفخ. وفي الحديث فضل حسبنا الله ونعم الوكيل، وأنه ينبغي قولها عند الشدائد والأهوال، فإن من كفاه الله لا يضام أبداً.

وهناك أحاديث تتعلق بالنفخة تأتي في الرقاق إن شاء الله تعالى. وبهذا تمّت سورة الزمر والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة غافر

وآياتها خمس وثمانون، وهي بداية السور الحَوَامِيم السبعة، وهي غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف، وكلها مكّيات.

قوله تعالى: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [١٤]:

{٧١٧} ـ فيه حديث ابن الزبير: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول في دبر كل صلاة حين يسلم: «**لا إلـه إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوّة إلا بالله ولا إلـه إلاّ الله ولا نعبد إلاّ إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا إلـه إلاّ الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون**».

رواه مسلم وغيره، وتقدم في الصلاة.

قوله تعالى: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾ [٢٨]:

{٧١٨} ـ عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه أنه سُئِل عن أشدّ ما صنع المشركون برسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، قال: بينا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يصلّي بفناء الكعبة إذ أقبل عُقبة بن أبي مُعَيْط، فأخذ بمنكب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ولوَّى ثوبه في عُنُقه فخَنَقَه خَنْقاً شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفع عن

رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وقال: «﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾»...

رواه أحمد (٢٠٤/٢)، والبخاري في أوائل السيرة النبويّة (١٦٨/٨)، وفي التفسير (١٧٥/١٠)، ورواه أحمد (٢١٨/٢) من طريق ابن إسحٰق، والنسائي في الكبرى (٤٥٠/٦) مطوّلاً من حديث عمرو بن العاص، وللحديث شواهد عن عليّ وأنس وأسماء.

والحديث يصوّر لنا أشدّ ما فعله الكفار مع نبيّ الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من أنواع الإذايات، وفيه فضل الصدّيق وشجاعته في دفاعه عن رسولنا الكريم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، اقتداء في ذلك بمؤمن آل فرعون عندما قال ذلك لقومه في شأن رسالة كليم الله موسى عليه السلام ودعوته.

قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [٤٦]:

{٧١٩} ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**ألا إن أحدكم إذا مَاتَ عُرض عليه مقعدُه بالغاةِ والعشي، إنْ كان من أهل الجنّة فمن أهل الجنّة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار حتى يَبعثَه الله يوم القيامة**».

رواه أحمد (١١٣/٢)، والبخاري في بدء الخلق رقم (٣٢٤٠)، ومسلم في الجنّة (٢٠٠/١٧، ٢٠١)، والنسائي في الكبرى (٤٥٠/٦)، وفي الجنائز من المجتبى.

الآية الكريمة استدلّ بها أهل السنّة على عذاب البرزخ والقبور وهي نصّ في عذاب الأرواح، وجاءت السنّة بثبوت عذاب الأجسام أيضاً، والأحاديث بثبوت فتنة القبر وعذابه كثيرة متواترة، ومع ذلك فقد أنكرها المعتزلة، ومن لفّ لفهم من المبتدعة الضالين وهوّنوا من أمر القبور.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [٦٠]:

{٧٢٠} ـ عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**الدعاء هو العبادة**»، ثم قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

رواه أحمد، وأهل السنن وغيرهم، وحسّنه الترمذي وصححه، وتقدّم في الدعوات.

والحديث يدلّ على أن الدعاء يُطلق على العبادة، وأنه أعلى وأرفع أنواعها وأشرفها، وبه تمّت السورة والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة حم السجدة ــ فصلت ــ

نزلت بعد ما قبلها، وآياتها أربع وخمسون.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [٢٢]:

{٧٢١} ـ عن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: اجتمع ثَقَفِيَّان وقُرَشي عند البيت، فقال بعضُهم: الله يعلم ما نقول، وقال بعضهم: إذا أخفينا لم يعلم، وإذا جهرنا علم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ﴾ الآية.

رواه البخاري في التفسير (١٨٢/١٠)، وفي التوحيد رقم (٧٥٢١)، ومسلم في صفات المنافقين (١٢٢/١٧)، والترمذي في التفسير (٣٠٣٥)، والنسائي في الكبرى (٤٥١/٦) بألفاظ.

{٧٢٢} ـ وعن معاوية بن حيدة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في قوله تعالى: ﴿يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾، قال: إنكم تدعون مُفْدَماً على أفواهكم بالفِدام، فأول شيء يُبِينُ على أحدِكم فخِذُه وكَفُّه.

رواه أحمد (٥/٥)، والنسائي في الكبرى (٤٥١/٦)، وابن أبي حاتم (٣٢٧٠/١٠، ٣٢٧١)، والحاكم (١٨٧/٢، ١٨٨) وصححه ووافقه الذهبي، وسنده حسن، وهو صحيح لطريقين له.

قوله: مفدماً إلخ ـ بضم الميم وسكون الفاء ثم دال مفتوحة ـ أي: أفواهكم مشدودة لأن الفدام ـ بكسر الفاء ـ هو ما يشدّ به الكوز والإبريق من خرقة ونحوها، ومعناه: أنهم يمنعون من الكلام بأفواههم ويختم عليها لتتكلّم جوارحهم.

والآية والحديث يدلاّن على تكلّم الجلود والجوارح يوم القيامة، وهذا ليس بمستحيل في حقّ الله، فالإيمان به واجب، وتصديقه متحتّم والتكذيب به كفر، وها نحن أولاء الآن نشاهد الجمادات تتكلم وليست بجلود ولا بأجسام فيها حياة، فآمنا بالله وما جاء من عنده على ألْسِنة رُسُلِه صلوات الله وسلامه عليهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [٣٠]:

{٧٢٣} ـ عن سفيان الثقفيّ رضي الله تعالى عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله مُرْنِي بأمْرٍ في الإسلام لا أسأل عنه أحداً بعدَكَ، قال صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**قل: آمنتُ بالله ثم استَقِمْ**»، قلت: فما أتقي؟ فأومأ إلى لسانه. وفي رواية: «**قل: ربّي الله ثم استقِم**».

رواه أحمد (٤١٣/٣) و(٣٨٥/٤)، والترمذي في الزهد (٢٢٣٠)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٢)، ورواه مسلم في الإيمان (٨/٢، ٩) مختصراً.

الاستقامة: هي الثبات على الإيمان وطاعة الله وطاعة رسوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في الأقوال والأفعال والسلوك الحسن مع التخلّي عن الفواحش والذنوب... وهذا هو المطلوب من العبد، ولذا قالوا: كن طالب الاستقامة، لا طالب الكرامَة، والحديث موافق للآية الكريمة، وأن من آمن بالله وما يتبع ذلك من كلّيات الإيمان ثم لزم طاعة الله ودام على ذلك فقد حاز كل خير، فلا يحتاج إلى شيء آخر يسأل عنه أهل العلم، وفي الحديث الحذر من سقطات اللسان، فإنه ذو حدّين فهو مصدر كل خير وشرّ، نسأل الله عزّ وجلّ الحفظ من آفاته، وأن يتفضّل علينا بالعفو والغفران.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [٣٧]:

فيه حديث أبي بكر: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكن الله يخوف بهما عباده**».

رواه البخاري وغيره، وقد تقدمت الإشارة إليه في الكسوف مع أحاديث أخرى، فارجع إليها.

وبه تمّت السورة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة الشورى

وهي ثلاث وخمسون آية، وقد امتازت بتلك الآية العظيمة التي هي روح التوحيد في النفي والإثبات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، فمن اعترف بوجود الله ووحدانيّته وأثبت له أسماءه وصفاته الواردة في الكتاب والسنّة ونزّهه عما لا يليق بذاته من سمات الحدوث والنقائص كان موحداً بريئاً من التعطيل والتشبيه.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾ [٣]:

{٧٣٤} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: إن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أحياناً يأتيني مثل صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وهو أشدُّه عليَّ، فيُفْصَم عني وقد وَعيتُ عنه ما قال، وأحياناً يتمثَّل لي الملك رجلاً فيكلّمني فأعِي ما يقول**»، قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصّد عرقاً.

رواه البخاري في بدء الوحي (٢٠/١)، ومسلم في الفضائل (٨٨/١٥) وغيرهما، ويأتي في السيرة النبويّة إن شاء الله تعالى.

الصلصلة: هي الصوت، والجرس ـ بفتحتين ـ: هو الناقوس، فيفصم

من الثلاثي والرباعي أي: يقلع عني، وعيت أي: حفظت، ليتفصّد أي: ليسيل بالعرق.

للوحي معانٍ يطلق على الإشارة، وعلى الإلهام، وعلى ما ذكر هنا وله مراتب، ستأتي آخر السورة إن شاء الله تعالى، والحديث يدلّ على عظمة الوحي وثقله، وأنه لا يطيقه إلا من جعل الله تعالى فيه قوّة روحانيّة، وليس ذلك إلا للأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

قوله تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [٧]:

{٧٢٥} ـ عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: خرج علينا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وفي يده كتابان، فقال: «**أتدْرُونَ ما هذان الكتابان**»؟ قال: قلنا: لا إلا أن تخبرنا يا رسول الله، قال للذي في يده اليمنى: «**هذا كتابٌ من ربّ العالمين تبارك وتعالى بأسماء أهل الجنّة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أُجْمِل على آخرهم لا يُزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً**»، ثم قال للذي في يساره: «**هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً**»، فقال أصحاب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: فلأي شيء إذاً نعمل إنْ كان هذا الأمر قد فرغ منه، قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**سَدِّدُوا وقارِبُوا، فإن صاحبَ الجنّة يُختمُ له بعمل الجنّة، وإن عمل أيّ عمل، وإن صاحب النار ليختم له بعمل أهل النار وإن عمل أيّ عمل**»، ثم قال بيده فقبضها ثم قال: «**فرغ ربكم عزّ وجلّ من العباد**»، ثم قال باليمنى فنبذها فقال: «**فريق في الجنّة**»، ونبذ باليسرى فقال: «**فريق في السعير**».

رواه أحمد (١٦٧/٢)، والترمذي في القدر (١٩٧٣)، والنسائي في الكبرى (٤٥٢/٦، ٤٥٣) وسنده صحيح، ولذا حسّنه الترمذي وصححه.

في هذا الحديث الشريف أمور لا يعقلها البشر ولا تدركها العقول، فحسبنا الإيمان بما قال نبيّنا صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، ولكونه فوق مستوى العقول البشرية أنكره بعض المحدثين فضلاً عن غيرهم، وهو خطأ،

فإن لهذا الحديث مثلاً: الذاكرة، فهي حاملة لمحفوظات غير محصاة بحيث لو كتبت لجاءت في مجلّدات، ومثلاً آخر: وهو ما ظهر اليوم من أشرطة الحاسوب فيسجل في شريط صغير مئات المجلّدات من الكتب... وفي الحديث دليل على أن من كتب سعيداً أو شقياً لا يتبدّل أبداً. وقوله: سدّدوا أي: اطلبوا بأعمالكم السداد والقصد، وقاربوا أي: اتركوا الغلوّ والتقصير.

قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [١٣]:

{٧٢٦} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلاّتٍ أُمّهاتُهم شتّى، ودينهم واحدٌ**».

رواه أحمد (٤٠٦/٢، ٤٣٧، ٤٦٢، ٤٦٣، ٥٤١)، والبخاري في الأنبياء (٢٩٩/٧)، ومسلم في الفضائل (١١٩/١٥)، وأبو داود في السنّة (٤٦٧٥)، وابن حبان (٧٤/١٤، ٧٥، ٣١٧).

إخوة لعلاّت هم الأخوة لأب واحد من أُمّهات شتّى.

ومعناه أن أصل إيمان الأنبياء واحد لا يختلفون فيه وشرائعهم مختلفة. والدين المذكور في الآية هو أصوله من التوحيد ومتعلّقاته اتفاقاً.

قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [٣٣]:

{٧٢٧} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه سُئِل عن هذه الآية: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ الآية، فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم؟ قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: عجلت إن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يكن بطنٌ من بطون قريش إلا وله فيهم قرابةٌ، قال: إلا أن تَصِلُوا ما بَيْني وبينكم من القرابة.

رواه البخاري في المناقب وفي التفسير (١٠/١٨٥)، والترمذي في التفسير (٣٠٣٧)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٥٣).

ومعنى الآية الكريمة لا أطلب منكم أجرة على التبليغ، وإنما أطلب منكم أن تودّوا قرابتي التي هي قرابتكم أيضاً، وقيل في الآية غير ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ الآية [٣٠]:

{٧٢٨} ـ عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**لا تصيبُ عبداً نكبةٌ فما فوقها أو دونها إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر**»، قال: وقرأ ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ إلخ.

رواه الترمذي في التفسير (٣٠٣٨)، وهو وإن كان في سنده مجهول فإن له شاهداً عن الحسن مرسلاً رواه ابن أبي حاتم (١٠/٣٢٧٨) بسند صحيح، وله شاهد عن الإمام عليّ، يأتي في الرقاق وفي الباب آثار تؤيده.

والآية والحديث يدلاّن على أن كل ما يصاب به الإنسان من نكبات وبلايا هو من كسبه وما عملت يداه من السقطات وذلك غالباً، وبهذا جاءت آيات أُخر في القرآن الكريم؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾، وكقوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾.

وهذا من لطف الله بعباده ورفقه بهم، فيكفّر عنهم ما يأتونه من ذنوب بما يصابون به وما يعفو عنه أكثر.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ [٤١]:

{٧٢٩} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما علمت حتى دخلت عليَّ زينبُ بغير إذن وهي غضبى، ثم قالت: يا رسول الله أَحْسِبُكَ إذا قلبتُ لك بنتُ أبي بكر ذُرَيْعَتَيْهَا ثم أقبلتُ عليَّ، فأعرضتُ عنها حتى قال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**دُونَكِ فانْتَصِرِي**»، فأقبلتُ عليها حتى رأيتُها وقد يَبِسَ ريقُها في فِيها ما تَرُدُّ عليَّ شيئاً، فرأيت النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يَتَهَلَّلُ وجهُه.

رواه أحمد وابنه في الزوائد (١/٩٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٥٨)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٥٣)، وابن ماجه (١٩٨١) بسند صحيح.

الانتصار عند الظلم لا مانع منه كما في الآية، وكما في الحديث الشريف من الإذن النبويّ في ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [٥١]:

{٧٣٠} ـ فيه حديث جابر: «**ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب**» إلخ، رواه أحمد، والترمذي وابن ماجه وغيرهم، ويأتي في الجهاد، وفيه حديث عائشة وغيرها، ويأتي ذلك مستوفى في السيرة النبويّة إن شاء الله تعالى.

للوحي أنواع ثلاثة: وحي ويشمل الرؤيا والإلهام، أو من وراء حجاب كما كلّم موسى ونبيّنا ليلة الإسراء عليهما الصلاة والسلام، أو بواسطة جبريل، وهذا إما أن يلقى في روعه ما يؤمر بإلقائه، أو يأتيه في صفة رجل فيحدثه بما يأتي به من عند الله عزّ وجلّ، والله تعالى أعلم.

وبهذا تمّ الكلام على سورة الشورى، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات. وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

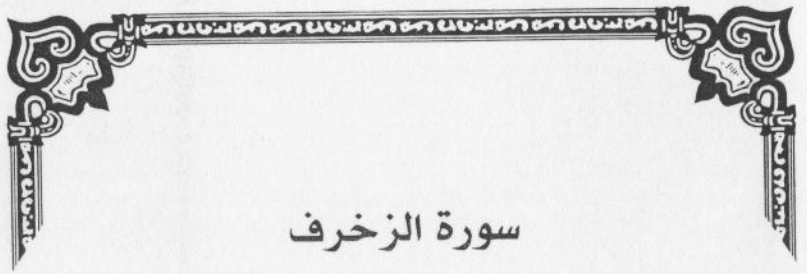

سورة الزخرف

آياتها تسع وثمانون.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [١٢ ـ ١٤]:

{٧٣١} ـ عن عليّ بن ربيعة رحمه الله تعالى قال: شهدت عليّاً رضي الله تعالى عنه أُتِي بدابّة ليَركبَها فلمَّا وضع رِجْلَه في الرِّكابِ، قال: «بسم الله»، فلما استوى على ظهرها قال: «الحمد لله»، ثم قال: «﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾»، ثم قال: «الحمد لله» ثلاثاً «الله أكبر» ثلاثاً «سبحانك إني قد ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» ثم ضحك، فقلت: من أي شيء ضحكت يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيتُ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم صنع كما صنعتُ، ثم ضحك فقلت: من أي شيء ضحكت يا رسول الله؟ قال: **«إن ربَّك ليَعْجَبُ من عبدِه إذا قال: ربِّ اغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، قال: عَلِمَ عَبْدي أنّه لا يغفر الذنوب غيري»**.

رواه أحمد (٩٧/١، ١١٥، ١٢٨)، والطيالسي (١٣٢)، وأبو داود (٢٦٠٢)، والترمذي في الدعوات (٣٢٢١)، والنسائي في الكبرى (٤٨/٥)،

وابن حبان (٤١٤/٦، ٤١٥)، والحاكم (٩٨/٢، ٩٩)، وحسّنه الترمذي وصححه، وهو صحيح على شرط الشيخين عند بعضهم.

قوله: وما كنّا له مقرنين أي: ما كنّا لهذا المركوب مطيقين قصره وإذلاله حتى نركبه لولا تسخير الله إيّاه لنا، والمراد بالأزواج في الآية أصناف المخلوقات من الحيوان والنبات وغير ذلك، وفي الحديث مشروعيّة قول هذه الأذكار والأدعية، وتقدم بسط ذلك في الأذكار والأدعية.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [٣٥]:

{٧٣٢} ـ في حديث عمر رضي الله تعالى عنه في قصة اعتزاله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم نساءَه في مَشْرُبَة ـ أي: غرفة ـ ودخول عمر عليه وقوله له: وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار وأنتَ رسول الله وصفوته... فقال: **«يا ابن الخطاب ألاَ تَرْضَى أن تكونَ لَنا الآخِرةُ ولهُم الدنيا»**.

رواه البخاري في التفسير (٢٨٤/١٠) وغيره، ومسلم في الطلاق (٨٢/١٠)، ويأتي مطوّلاً في موضعه إن شاء الله تعالى.

{٧٣٣} ـ وفي حديث حذيفة في نهيه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عن الشرب في آنية الذهب والفضّة ولبس الحرير والديباج، وقوله: **«هي لهم في الدنيا ولنا في الآخرة»**.

رواه البخاري في الأطعمة وفي اللباس (٥٨٣٧)، ومسلم في اللّباس (٢٠٦٧) وغيرهما، ويأتي في اللباس. وفي الحديثين أن متاع الدنيا لا عبرة به لأنه شيء ضئيل، وأنه ينبغي للمؤمن أن يكون همّه دائماً الآخرة، وأن يكون راضياً بها دون هذه الحياة.

قوله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [٥٨]:

{٧٣٤} ـ عن أبي أُمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**ما ضَلَّ قومٌ بعد هُدًى كانوا عليه إلا أُوتُوا الجدَل**»، ثم تلا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم هذه الآية.

رواه أحمد (٥/٢٥٢، ٢٥٦)، والترمذي (٣٠٣٩)، وابن ماجه (٤٨)، والحاكم (٢/٤٤٧) وحسّنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم.

الجَدَل ـ بفتحتين ـ: الخصومة بالباطل، والحديث يدلّ على أن من أراد الله به الضلال صرفه إلى كثرة الجدل، ففيه ذمّ الجدال والخصام مطلقاً. وقوله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا﴾ أي: ما قال لك هؤلاء الكفار هذا القول في حق عيسى إلاّ على وجه الجدل والمكابرة لا لطلب الحق، فهم قوم شديدو الخصومة واللّجاج بالباطل.

قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [٧٧]:

{٧٣٥} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في حديث الإسراء، قال صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**فحانت الصلاة وأَمَّتُهم فلما فرغتُ من الصلاة، قال لي قائل: يا محمد هذا مالك صاحب النار، فسلّم عليه فالتفتَ إليَّ فبَدَأني بالسلام**».

رواه مسلم في الإيمان رقم (١٧٢).

القرآن يدلّ على أن مالكاً خازن النار، أي: رئيس ملائكة النار وخَزنتها كما يدلّ الحديث على ذلك أيضاً... وبه تمّت سورة الزخرف، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات. وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة الدخان

وآياتها تسع وخمسون، وامتازت بذكر الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمرٍ حكيم.

قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [١٠]:

{٧٣٦} ـ عن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: إن قريشاً لما اسْتَعْصَتْ على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قَحْطٌ وجَهْدٌ حتى أكلوا العظام، وجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ الآية.

رواه الشيخان وغيرهما، وتقدم في الفرقان وفي الروم مطوّلاً.

السنة: هي القحط والجدب، والحديث يدلّ على أن الدخان المذكور في القرآن هنا هو ما أصاب كفار قريش، وهو ظاهر سياق الآية الكريمة. نعم هناك دخان آخر سيكون من أشراط الساعة، وسيأتي ذلك في الفتن والأشراط إن شاء الله تعالى.

{٧٣٧} ـ وعن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: كنا نمشي مع النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فمرّ بابن صيّادٍ، فقال له رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**قد خبَأْتُ لك خَبْأً**»، فقال: دُخٌّ، فقال رسول الله

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إخسأ فلنَ تَعْدُو قدرك**»، فقال عمر رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله دعني أضرب عنُقَه، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**دَعْه فإن يكن الذي تخاف لن تستطيع قتله**».

رواه أحمد (١/٣٨٠)، ومسلم في الفتن (١٨/٤٧، ٤٨)، وابن حبان (١٥/١٨٥، ١٨٦)، والطحاوي في مشكل الآثار (٤/٩٩).

ابن صياد هذا جاءت فيه أحاديث تأتي في الفتن، وحديثه هذا يشير إلى أن الكهنة يتلقون عن الشياطين كلمات غير كاملة ولا مفهومة، وكان هذا الرجل معه رئي من الجنّ، ولمّا لقيه النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وقد كانت نزلت عليه سورة الدخان أضمر له صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في نفسه السورة، وقال له: إني قد خبأت لك خبأً فلم يهتد للآية كاملة إلا لهذا اللفظ: دخ الناقص، ولهذا قال له رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إخسأ فلن تعدو قدرك**» أي: اذهب طريداً فلن تعدو القدر الذي يدرك الكهان من الاهتداء إلى بعض الشيء، وما لا يصل إلى بيان أُمور الغيب. وانظر شرح مسلم للنووي (١٨/٤٦، ٤٩)، ويأتي مزيد لهذا في الفتن إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [٥٦]:

{٧٣٨} ـ عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما قالا: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**يقال لأهل الجنّة: إنّ لكم أن تَصِحُّوا فلا تَسْقَمُوا أبداً، وإن لكم أن تَعِيشوا فلا تمُوتوا أبداً، وإن لكم أن تَنَعَّمُوا فلا تَبْأَسُوا أبداً، وإن لكم أن تَشِبّوا فلا تَهرمُوا أبداً**».

رواه أحمد (٢/٣١٩) ج (٣/٣٨)، ومسلم في الجنّة (١٧/١٧٥)، والترمذي في التفسير (٣٠٣١).

الآية الكريمة نصّ في أن أهل الجنّة لا يموتون، وبذلك جاءت السنّة

أيضاً، كما تقدم في حديث ذبح الموت. وفي حديث الباب أن أهل الجنّة في أمْنٍ من السّقم، والبُؤس، والهَرَم، والموت، فهم شبابٌ مُنْعَمُون مُخَلَّدون.. وبهذا تمّ تفسير سورة الدخان، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه.

سورة الجاثية

وآياتها سبع وثلاثون.

قوله تعالى: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [٢٤]:

{٧٣٩} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**لا تَسُبّوا الدَّهْرَ، فإن الله هو الدهر، قال الله تعالى: يؤذيني ابنُ آدم يسبّ الدهر وأنا الدهر، بيدي الخير أقَلِّبُ الليل والنهار**».

رواه البخاري في التفسير (٤٨٢٦) وفي الأدب وفي التوحيد (٧٤٩١)، ومسلم في الأدب (٢٢٤٦)، وأبو داود في الأدب (٥٢٧٤) وغيرهم.

ومعنى الحديث أن الله عزّ وجلّ خالق الدهر، وليس المراد أنه مُسَمّى بالدهر كما ذهب إليه ابن حزم، وعلى ذلك فمن سبّ الدهر فإنما يسبّ الله لأنه الخالق لما يقع في الدهر، ولعلّه يأتي في الأدب إن شاء الله تعالى.

أمّا الآية الكريمة فتشير إلى ما كان يعتقده الكفار الدهريّون من أنه لا حياة بعد الموت، ولا بعث ولا حساب، وأنه ليس هناك قابض للأرواح وإنما يهلكهم ويؤثر فيهم مرور الزمان. وبهذا تمّت سورة الجاثية، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة الأحقاف

هذه السورة الكريمة هي آخر الحواميم وآخر السور المكية المتوالية، وهي نحو من إحدى وعشرين سورة لم يتخلّلها من المدنيات إلا سورة الأحزاب.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩﴾ [٩]:

{٧٤٠} ـ عن أم العلاء وكانت من المبايعات رضي الله تعالى عنها قالت: طارَ لهم في السَّكَنِ حيث اقْتَرَعَتْ الأنصار على سُكْنى المهاجرين عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه عندنا فمرَّضناه حتى إذا توفي أدْرَجناه في أثْوَابه، فدخلَ علينا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقلت: رحمة الله عليك يا أبا السائب شَهادتي عليك لقد أكرمك الله تعالى، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**وما يُدريك أن الله أكرمه**»؟ قالت: فقلت: لا أدري بأبي أنت وأمي، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أما هو فقد جاءه اليقين من ربّه، وإني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يُفعلُ بي**»، قالت: والله لا أزكي أحداً بعده أبداً، فأحزنني ذلك فنمت فأُرِيتُ لعثمان عيناً تجري، فجئت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فأخبرته ذلك، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**ذاكَ عمَلُه**»، وفي رواية: «**ما أدري وأنا رسول الله ما يُفعل بي ولا بكم**».

رواه أحمد (٤٣٦/٦)، والبخاري في الهجرة النبوية (٢٩٦/٨) وفي الجنائز (٣٥٨/٣) وفي التعبير (٤٩/١٦) وفي مواضع وهو من أفراده.

في الحديث فضل عثمان بن مظعون، وكان أوّل ميّتٍ بالمدينة من المهاجرين، ودُفن بالبقيع، وقوله: «والله ما أدري ما يُفعل» إلخ، مع الآية الكريمة كان ذلك قبل أن يخبره الله بأنه أوّل من يدخل الجنّة، وأنه سيد الناس وصاحب المقام المحمود وصاحب الوسيلة... وانظر لهذا الموضوع تفسير ابن كثير لهذه الآية، وفتح الباري، أبواب الهجرة النبوية (٣٥٨/٨).

قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [١٠]:

{٧٤١} - عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: ما سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول لأحد يمشي على وجه الأرض أنه من أهل الجنّة إلا لعبدالله بن سلام رضي الله تعالى عنه، قال: وفيه نزلت: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾.

رواه البخاري في مناقب عبدالله بن سلام (١١٩/٨).

{٧٤٢} - وعن عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: انطلق النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يوماً وأنا معه حتى دخلنا كَنِيسَة اليهود بالمدينة يوم عيد لهم، فكَرِهُوا دخولنا عليهم، فقال لهم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**يا معشر اليهود أَرُوني اثني عشر رجلاً يشهدوا أن لا إلـه إلاّ الله وأن محمداً رسول الله يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليه**»، قال: فسكتوا ما جاوبه منهم أحد، ثم ردّ عليهم فلم يجبه أحد، ثم ثلث فلم يجبه أحد، فقال: «**أبيتم فوالله إني لأنا الحاشر، وأنا العاقب، وأنا النبيّ المصطفى آمنتم أو كذبتم**»، ثم انصرف وأنا معه حتى إذا كنا أن نخرج نادى رجل من خلفنا: كما أنت يا محمد، قال: فأقبل، فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلمونني فيكم يا معشر اليهود؟ قالوا: والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله منك، ولا أفقه منك، ولا من أبيك قبلك، ولا من جدك قبل أبيك، قال: فإني أشهد له بالله أنه نبيّ الله الذي تجدونه في التوراة، قالوا: كذبت، ثم ردّوا عليه

قوله، وقالوا فيه شرّاً، قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**كذبتم لن يُقبل قولُكم أمّا آنفاً فتُثْنُون عليه من الخير ما أثنيتم، ولما آمن أكذبتموه وقلتم فيه ما قلتم، فلن يقبل قولكم**»، قال: فخرجنا ونحن ثلاثة رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وأنا وعبدالله بن سلام، وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾.

رواه أحمد (٢٥/٦)، والطبراني في الكبير (٤٦/١٨، ٤٧)، وابن حبان (١١٨/١٦، ١٢٠) مع الإحسان، والحاكم (٤١٥/٣، ٤١٦) وسنده صحيح، وأورده النور في المجمع (١٠٥/٧، ١٠٦) برواية الطبراني، وقال: رجاله رجال الصحيح.

في الحديث بيان الشاهد الإسرائيلي المذكور في الآية، وأنه عبدالله بن سلام وأن الآية نزلت فيه وبسببه، غير أن هذا يعارضه أن السورة مكية وقصة ابن سلام مع اليهود بالمدينة، وقد يُحمل على أن هذه الآية بخصوصها نزلت بالمدينة، والله تعالى أعلم.

وقول سعد: ما سمعت إلخ، هذا لا ينفي المبشرين الآخرين وهم كثير جمعتهم في كتاب «المبشرون بالجنة» طبع مراراً، والحمد لله على ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ إلخ [١٧]:

{٧٤٣} - عن يوسف بن ماهك قال: كان مروان على الحجاز استعمله معاوية، فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يُبايعَ له بعد أبيه، فقال له عبدالرحمٰن بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهما شيئاً فقال: خُذُوه، فدخل بيتَ عائشة رضي الله تعالى عنها فلم يَقْدِرُوا عليه، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله تعالى فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ﴾، فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، إلا أن الله أنزل عذري.

رواه البخاري في التفسير (١٠/١٩٧، ١٩٨) وهو من أفراده عن مسلم، ورواه النسائي في الكبرى (٦/٤٥٩)، والحاكم (٤/٤٨١) وفيه: لما بايع معاوية لابنه قال مروان: سنة أبي بكر وعمر، فقال عبدالرحمٰن بن أبي بكر: سنة هرقل وقيصر، فقال مروان: هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ الآية، فبلغ ذلك عائشة فقالت: كذب والله ما هو به، ولو شئت أن أُسَمّي الذي أنزلت فيه لسمّيتُه، ولكن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لعَنَ أبا مَرْوَان، ومروانُ في صُلْبِه، فمَرْوَان فضض من لعنة الله تعالى، وصححه الحاكم على شرطهما مع انقطاع فيه، لكن الحديث صحيح لطريق آخر له رواه البزار، قال النور في المجمع (٥/٢٤١): وإسناده حسن.

عبدالرحمٰن برىء مما رماه به مروان، فقد كان مسلماً صالحاً، لكن أبا مروان الحكم بن العاص كان ملعوناً من قبل النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، ومروان فرع من أثر تلك اللعنة.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ الآية [٢٤]:

{٧٤٤} ـ فيها حديث عائشة: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا رأى ريحاً قام وقعد وأقبل وأدبر، قالت: فقلت له، فقال: «**يا عائشة ما يُؤْمِنُنِي أن يكون كما قال قوم: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾**» الآية.

الحديث رواه الشيخان وغيرهما، وتقدم في صلاة الكسوف.

وفيه أنه ينبغي للإنسان إذا رأى ريحاً أن يخاف ويفزع ويذكر الله تعالى ويقوم ويقعد حتى تذهب.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ

إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [٢٩ ـ ٣٣]:

{٧٤٥} ـ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: هَبَطُوا على النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو يقرأ القرآن ببطن نَخْلَة، فلمّا سمعوه قالوا: أنْصِتُوا، قال: صَهْ، وكانوا تسعة أحدهم زَوْبَعَة، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ الآية.

رواه الحاكم (٢/٤٥٦) وصححه ووافقه الذهبي، ويأتي في الجنّ حديث ابن عباس في ذلك مطوّلاً، وهو في الصحيحين.

{٧٤٦} ـ وعن مسروق رحمه الله تعالى قال: سألتُ ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: من آذن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بالجنّ ليلة استمعوا القرآن؟ قال: أَذَنَتْهُ عنهُم شجرةٌ.

رواه البخاري في البعثة النبويّة (٨/١٧٢)، ومسلم في الصلاة.

قوله: بطن نخلة: هو موضع بينه وبين مكّة ليلة لجهة الطائف، وقوله: أذنته أي: أعلمته، وما في الآية والحديثين يدلّ على أن الجنّ استمعوا القرآن وآمنوا به ولم يرهم في هذه المرة، وفي ذلك بيان أن الجنّ عالم يعيشون معنا، وأنهم مكلّفون ومخاطبون بالشرائع كالإنس، وقد ألف الناس في حياتهم وشؤونهم، فمن أنكرهم كان جاهلاً وكافراً. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ﴾ أي: وجهنا إليك وبعثنا جماعة من الجنّ نحوك...

وبهذا تمّت سورة الأحقاف، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة محمد
صلّى اللّه تعالى عليه وآله وسلم

من هذه السورة بدىء في الكلام على بعض السور المدنية، وقد جاءت هٰهنا ثلاث سور مدنيّات متواليات هذه السورة، والفتح، والحجرات ثم بعدها توالت سور مكّيات. هذه السورة ثمان وثلاثون آية، وأهدافها التحدّث عن الأحكام التشريعية.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [٤]:

{٧٤٧} ـ عن سلمة بن نُفَيْل رضي الله تعالى عنه أنه أتى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: «**إني سَئِمْتُ الخيل وأَلْقَيْتُ السلاحَ ووضعَتْ الحربُ أوزارها**»، قلت: لا قتال، فقال له النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**الآن جاء القتال لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس يزيغُ اللهُ قلوبَ أقوام فيُقاتلونهم ويرزقهم الله منهم حتى يأتي أمر الله عزّ وجلّ وهم على ذلك، ألا إنّ عُقْر دار المؤمنين الشام، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة**».

رواه أحمد (١٠٤/٤)، والنسائي في كتاب الخيل من المجتبى (١٧٨/٦، ١٧٩)، والطبراني في الكبير (٥٩/٧، ٦٠، ٦١) وسنده صحيح.

الحديث يدلّ على أن وضع الحرب أوزارها لا يزال، وأن القتال مشروع وواقع حتى يأتي أمر الله عزّ وجلّ، وذلك لا يكون إلاّ بعزّة الإسلام

والمسلمين واندثار الكفر والكفّار، وذلك سيكون بإذن الله أيام سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام، فالحديث الشريف نصّ في محل النزاع بين المفسّرين. والحديث متواتر بلفظه الأوّل، فهو من أحاديث الطائفة.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [١١]:

{٧٤٨} ـ عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه في حديثه عن غزوة أُحد، وفيه قول أبي سفيان: ألاَ لنا العُزّى ولا عُزّى لكم، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أجيبُوه**»، قالوا: ما نقول؟ قال: «**قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم**».

رواه أحمد (٢٩٣/٤)، والبخاري في الجهاد (٣٠٣٩) وفي المغازي (٣٩٨٦، ٤٥٦١)، وأبو داود (٢٦٦٢)، والنسائي في الكبرى (١٩٠/٥)، وابن حبان (٤٠/١١، ٤١)، وابن سعد (٤٧/٢)، ويأتي في السيرة مطوّلاً إن شاء الله تعالى.

وفي الآية والحديث بيان أن الله عزّ وجلّ مولى المؤمنين، أي: وليّهم وناصرهم وسيّدهم، بينما الكفار لا مولى لهم، بل أولياؤهم الجمادات من الأوثان والأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تضرّ ولا تنفع.

قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾﴾ [١٣]:

{٧٤٩} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لما خرج من مكّة قال لها: «**ما أطيبك من بلدٍ وأحبّكِ إليّ، ولولا أنّ قومي أخرجوني منكِ ما سكنتُ غيرَك**».

رواه الترمذي في المناقب (٣٦٩٠) بتهذيبي، وابن حبان (١٠٢٦) بالموارد، وحسّنه الترمذي وصححه.

{٧٥٠} ـ وعن عبدالله بن عدي بن حمراء رضي الله تعالى عنه قال:

استغفر لكل مؤمن ومؤمنة من أُمّته، وفيه مزية لهذا الصحابي حيث أراه النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم الخاتم واستغفر له.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [٢٣]:

{٧٥٤} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**خلق الله الخَلْق فلما فرغ منه قامت الرَّحِمُ فأخذتْ، فقال لها: مَهْ، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: ألاَ تَرْضَيْن أن أصلَ من وصلكِ وأقطعَ من قطعَكِ، قالت: بلى يا ربّ، قال: فذاك**»، قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟﴾ الآية.

رواه البخاري في التفسير (١٠/٢٠١، ٢٠٢) وفي الأدب وفي التوحيد، ومسلم في البرّ والصلة (٢٥٥٤)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٦١)، وابن جرير (٢٦، ٥٦) وغيرهم.

«**قامَتْ الرحم**»: هو على ظاهره، فالله قادر على أن يجعل للمعاني أعراضاً وأجساداً فتتكلم، ولهذا أمثلة كثيرة جاءت في السنّة. وقوله: فأخذت هكذا بحذف المفعول، وجاء في رواية بحقْوِ الرحمٰن فحَذَفَها بعضُ الرواة لإشْكَالِهِ عنده ولا إشكال في ذلك، فهي كحديث: «**العظمة إزاري والكبرياء ردائي**»، والله تعالى ليس كمثله شيء.

«والحقو»: الإزار ومعقده، وفي الآية والحديث وعيد شديد لقاطع الرحم، ويأتي ذلك في البرّ والصلة.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ **الآية** [٣٩]:

{٧٥٥} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: تلا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم هذه الآية يوماً: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ الآية، قالوا: ومن يستبدل بنا؟ قال: فضرب رسول الله صلّى الله

تعالى عليه وآله وسلم على منكب سلمان، ثم قال: «**هذا وقومه**»، زاد في رواية: «**والذي نفسي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ الإيمانُ منوطاً بالثُّرَيا لتناوَلَه رجال من فارس**».

رواه الترمذي (٣٠٤٦)، والحاكم (٢/٤٥٨) بسند صحيح على شرط مسلم، وهو في الصحيحين بنحوه، وسيأتي ذلك في سورة الجمعة.

قوله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾ أي: تدبروا وتعرضوا عن طاعة الله تعالى يأت بقوم غيركم، بدلكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟﴾ في التولّي.

وفي الحديث فضل مُسْلِمي العجم من أبناء فارس، وهو إشارة إلى ما ظهر فيهم من كثرة علماء الحديث وحملة السنة وغير ذلك. وبهذا تمّت سورة محمد، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة الفتح

السورة الكريمة من السور العظيمة المدنية نزلت مرجع النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من الحديبية في ذي القعدة سنة ستّ من الهجرة حيث صدّه المشركون عن البيت، وعقدوا معه الصلح على أن يرجع ويأتي العام القابل، فنحر هديه وحلق رأسه ورجع، فلما كان بالطريق نزلت السورة الكريمة تتحدث عمّا كان من أمره وأمرهم، وهي تسع وعشرون آية، وهي تمتاز بذكر بيعة الرضوان، والفتح المبين على المسلمين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [١]:

{٧٥٦} ـ عن عمر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يسير في بعض أسفاره، وكان عمر يسير معه ليلاً، فسأله عُمر عن شيء، فلم يُجِبْه رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، ثم سأله فلم يُجِبْه، ثم سأله فلم يجبه، وقال عمر: ثَكلتْكَ أمُك يا عمر نَزَرْتَ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمتُ أمام المسلمين وخَشِيتُ أن ينزل فيّ قرآنٌ، فما نَشبتُ أن سمعتُ صارخاً يصرُخ بي قال: فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل فيّ قرآن، وجئتُ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فسلمتُ، فقال: «**لقد أنزلتْ عليَّ الليلةَ سورةٌ لهي أحبُّ إليَّ مما طلعتْ عليه الشمسُ**»، ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾.

رواه أحمد (٣١/١)، والبخاري في المغازي (٤١٧٧)، وفي التفسير

(٢٠٤/١٠، ٢٠٥)، وفي فضائل القرآن، والترمذي (٣٠٤٧)، والنسائي في الكبرى (٤٦١/٦).

{٧٥٧} ـ وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: أنزلت على النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مرجعه من الحديبية، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**لقد نزلت عليّ آية هي أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها**»، فتلاها رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقالوا: هنيئاً مريئاً رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لقد بيّن لك الله ماذا يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله تعالى الآية بعدها: ﴿لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥﴾.

رواه أحمد (٢١٥/٣، ١٢٢، ١٣٤، ٢٥٢)، والبخاري في المغازي (٤١٧٢)، وفي التفسير (٤٨٣٤)، ومسلم في الجهاد (١٧٨٦)، والترمذي (٣٠٤٨)، والنسائي في الكبرى (٤٦٢/٦)، وابن حبان (٩٢/٢، ٩٣).

قوله: ثكلتك أي: فقدتك أمك، وقوله: نزرت أي: ألححتَ عليه إلحاحاً، وقوله: نشبتُ أي: لبثت، وفي الحديثين فضل سورة الفتح وذلك لما احتوت عليه من البشارات لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ولأصحابه الحاضرين معه، وأن الله تعالى رضي عنهم ووعدهم بدخول الجنّة وتكفير ذنوبهم، ويا لها من بشارة فتلك أمنية كل مؤمن.

قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [١٨]:

{٧٥٨} ـ عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كنّا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أنتُم اليوم خيرُ أهلِ الأرض**».

رواه البخاري في غزوة الحديبية وفي التفسير (٢٨٤٠ ج ٢٠٩/١٠)، ومسلم في الإمارة (١٨٥٦) وغيرهما.

{٧٥٩} ـ وعنه عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«لا يدخلُ النارَ أحدٌ بايعَ تحت الشجرة»**.

رواه أحمد، وأهل السنن، وصححه الترمذي، ويأتي في الفضائل.

فيها فضل أهل بيعة الرضوان، وأنهم كانوا خير أهل الأرض، وأن أحداً منهم لا يدخل النار، وهذا وعد من نبيّ الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو وعد لا يتخلف لأنه من عند الله، وكان من جملة هؤلاء: الخلفاء الثلاثة، وباقي العشرة الذين يجعلهم الشيعة الروافض أئمّة النواصب، ويصبون عليهم اللّعنات والشتائم في كل المناسبات.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ الآية [٢٤]:

{٧٦٠} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه أن ناساً من أهل مكّة هبطوا على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من جبل التنعيم عند صلاة الفجر، فأخذهم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فعَفَى عنهم، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ الآية.

رواه مسلم في الجهاد (١٨٠٨)، وأبو داود (٢٦٨٨)، والترمذي (٣٠٤٩)، والنسائي (٤٦٤/٦) كلاهما في التفسير.

في الحديث بيان سبب نزول هذه الآية، وفيها امتنان من الله تعالى على الصحابة حيث أنعم عليهم فكفّ أيدي الكفار عنهم، فلم يسلطوا عليهم بل ظفروا بهم وأسروهم، فعفى عنهم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، ويأتي بسط ذلك في السِّيَر.

قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [٢٧]:

فيه حديث المسور بن مخرمة الطويل في الصلح، ويأتي في السِّيَر والمغازي بحول الله، وبهذا تمّت سورة الفتح، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة الحجرات

هي من السور المدنيات، وهي تعنى بالأخلاق والتربية الإسلامية وتطهير المجتمع المسلم من أدران الفواحش الاجتماعية، وهي مع قصرها جمعت من الفضائل ومكارم الأخلاق ما لم تجمعه سورة سواها، حتى أطلق عليها بعض العلماء سورة الأخلاق، وهي ثمان عشرة آية.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ [١ ـ ٥]:

{٧٦١} ـ عن عبدالله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: قدم ركبٌ من بني تميم على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: أمّر القعقاع بن مَعْبَد، وقال عمر رضي الله تعالى عنه: بل أمر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافِي، قال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعتْ أصواتهما فنزلت في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ حتى انقضت الآية ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسْمِعُ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بعد هذه الآية حتى يَسْتَفْهِمَهُ.

رواه أحمد (٤/٤، ٦)، والبخاري في المغازي وفي التفسير (٢١٢/١٠، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥) وفي الاعتصام، والترمذي في التفسير (٣٠٥١)، والنسائي في الكبرى (٤٦٩/٦)، وفي المجتبى رقم (٥٣٨٦).

كان سبب نزول الآيات هم بنو تميم حين قدموا على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فأوائل الآيات جاءت بسبب تجادل الشيخين رضي الله تعالى عنهما بين يدَيْ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، والكلام على غَضّ الصوت جاء في شأن سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه، ولهذا قال ابن الزبير: فما كان عمر يسمع رسول الله بعد هذه الآية حتى يستفهمه، وذلك لغضّه صوته وتأدبه بعد نزول الآية، وقولة ابن الزبير هذه رواها البخاري في التفسير. أما المناداة من وراء الحجرات، فجاءت في شأن بني تميم، وهم الذين نادوا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو قائل وسط النهار، فجعلوا ينادونه: يا محمّد اخرج إلينا أين أنت؟

{٧٦٢} ـ وعن البراء رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ الآية، قال: قام رجل فقال: يا رسول الله إن حَمْدِي زَيْنٌ، وأن ذَمّي شَيْنٌ، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«ذاك الله عزّ وجلّ»**.

رواه الترمذي (٣٠٥٧)، والنسائي في الكبرى (٤٦٦/٦)، وابن جرير (١٢١/٢٦) وسنده صحيح، ولا يضرّ السبيعي هنا، فإن للحديث شاهداً عن الأقرع بن حابس، وهو الذي نادى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وقال له هذه الكلمات، وحديثه هذا عند أحمد (٤٨٨/٣ ج ٢٩٣/٦، ٣٩٤)، والطبراني في الكبير (٨٧٨) وسنده صحيح.

الحجرات جمع حجرة: وهي هنا بيوت النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وزوجاته الطاهرات. وقوله: حمدي إلخ يعني: أن من مدحته

فهو المحمود ومن ذممته فهو المعيب المشين، والشين ـ بفتح الشين وسكون الياء ـ: هو العيب خلاف الزين، ولما كان مخطئاً في تلك الكلمات عرّفه النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بأن المتّصف بذلك في الحقيقة هو الله عزّ وجلّ.

{٧٦٣} ـ وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ إلى ﴿تَشْعُرُونَ﴾ جلس ثابتُ بن قيس في بيته، وقال: أنا من أهل النار، واحْتَبَسَ عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فسأل النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم سعدَ بنَ معاذ فقال: «**يا أبا عمرو ما شأن ثابت اشتكى**»؟ قال سعد: إنه لجاري وما علمت له بشكوى، قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال ثابت: أنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعد للنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**بل هو من أهل الجنّة**»، وفي رواية: قال أنس: فكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنّة، فلما كان يوم اليمامة وكان ذلك الانكشاف لبس ثوبه وتحنّط وتقدم فقاتل حتى قُتل.

رواه أحمد (٣/١٤٦، ٢٨٧)، والبخاري في المناقب (٣٦١٣) وفي الجهاد، ومسلم في الإيمان رقم (١٨٧) وغيرهم. في الحديث فضل هذا الصحابي وأنه من أهل الجنّة قطعاً، وقد جاء في رواية عند الحاكم (٣/٢٣٤) أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال له: «**أما ترضى أن تعيش حميداً وتُقتلَ شهيداً وتدخل الجنّة**»، وصححه الحاكم.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ الآية [٦]:

{٧٦٤} ـ عن الحارث بن ضرار الخزاعي والد جويرية أم المؤمنين

رضي الله تعالى عنهما، قال: قدمت على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فدعاني إلى الإسلام، فدخلت فيه وأقررتُ به، فدعاني إلى الزكاة فأقررت بها، قلت: يا رسول الله أرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعت زكاته فيرسل إلي رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لإبان كذا وكذا ليأتيك ما جمعت من الزكاة، فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أن يبعث إليه احتبس عليه الرسول فلم يأته، فظنّ الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله عزّ وجلّ ورسوله، فدعا بسروان قومه فقال لهم: إن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان وقّت لي وقتاً يرسل إليّ رسوله ليقبضَ ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم الخُلْفُ ولا أرى حُبِسَ رسولُ الله إلا من سخطة كانت، فانْطَلِقُوا فنأتي رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وبعث رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم الوليدَ بن عقبةَ إلى الحارث ليقبضَ ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فَرِقَ فرجع فأتى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وقال: يا رسول الله إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي، فضرب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم البعث إلى الحارث، فأقبل الحارث بأصحابه إذ استقبل البعث، وفصل من المدينة لقيهم الحارث، فقالوا: هذا الحارث، فلما غشيهم قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك، قال: ولِمَ؟ قالوا: إن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله، قال: والذي بعث محمداً بالحق ما رأيته بَتّةً ولا أتاني، فلما دخل الحارث على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**منعت الزكاة وأردت قتل رسولي**»، قال: لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني وما أقبلت إلا حين احتبس علي رسول رسولِ الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم خَشِيتُ أن تكون كانت سخطةً من الله عزّ وجلّ ورسوله، قال: فنزلت الحجرات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ

نَدِمِينَ ﴿٦﴾ وَاعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾.

رواه أحمد (٢٧٩/٤)، وابن أبي حاتم (٢٣٠٣/١٠) قال في مجمع الزوائد: ورجاله ثقات، وجوّده السيوطي في الدرّ المنثور، وللقصّة طرق. انظر ابن جرير (١٢٣/٢٢، ١٢٤، ١٢٥). لا خلاف بين المفسّرين أن الآية نزلت بسبب الوليد بن عقبة، وهو ابن أبي مُعَيْط مات والده كافراً وأسلم الوليد يوم الفتح، وولاّه أخوه لأمّه سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه الكوفة، وكان شرّاباً للخمر، وصلّى بالناس مرة الصبح أربع ركعات، وقال لهم: أزيدكم؟ فرفع أمره إلى سيدنا عثمان فأمر بحدّه وعزله، ثم سكن بعد الرقة. قال ابن عبدالبرّ: خبره في صلاته بالناس الصبح أربعاً مشهور من رواية الثقات. وقصة حدّه وجلده في صحيح البخاري. والآية الكريمة أصل أصيل وقاعدة عظيمة من قواعد الدين ألا وهو وجوب التثبّت في نقل الأخبار، ورواية الأحاديث النبويّة وأداء الشهادة، وأن الفاسق لا تُقبل روايته ولا شهادته، كما لا يُعمل بخبره مطلقاً، بل لا بدّ من العدالة وهي معروفة.

قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [٧]:

{٧٦٥} ـ عن أبي نضرة رحمه الله تعالى قال: قرأ أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه: ﴿وَاعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾ إلخ، فكيف بكم اليوم.

رواه الترمذي (٣٠٥٤) وحسّنه وصححه.

العَنَت ـ بفتحتين ـ أصله التعب، والمراد به الحرج أو مطلق المشقّة.

ومعنى الآية: لو أطاع رسول الله الناس في أكثر ما يقترحون عليه أو يحبون لحصل لهم تعب وحرج.

قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ﴾ [٩]:

{٧٦٦} ـ عن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يخطب يوماً ومعه على المنبر الحسنُ بن عليّ رضي الله تعالى عنهما، فجعل ينظر إليه مرةً وإلى الناس أخرى، ويقول: **«إن ابني هذا سَيِّدٌ ولعلّ الله تعالى أن يُصْلِحَ به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»**.

رواه أحمد (٣٨/٥، ٤٤، ٤٩)، والبخاري في الصلح (٢٧٠٤) وفي المناقب (٣٦٢٩، ٣٧٤٦) وفي الفتن (٧١٠٩)، وأبو داود في السنة (٤٦٦٢)، والنسائي في الجمعة، والترمذي في المناقب (٣٥٤٥).

السيّد: من فاق أقرانه وأهل زمانه في خصال الخير، وقد يطلق على غيره مجازاً.

وهذا الحديث من أعلام نبوّته صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقد حقّق الله تعالى ما أخبر به وذلك بعقد الصلح مع معاوية فحُقِنَتْ بذلك دماءُ المسلمين التي كانت على وشكِ الإراقة فرضي الله تعالى عنه وسلم عليه حيث زهد في الملك لمصلحة المسلمين وسدّ باب الفتنة.

{٧٦٧} ـ وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قيل للنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: لو أتيتَ عبدالله بن أبي، فانطلق إليه النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وركب حماراً فانطلق المسلمون يَمشون معه وهي أرض سَبِخَةٌ، فلما أتاه النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: إليك عنّي، والله لقد آذاني نَتْنُ حِمارِك، فقال رجل من الأنصار: والله لحِمَارُ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أطيبُ ريحاً منكَ، فغَضِبَ لعبدالله رجلٌ من قومه، قال: فغضِبَ لكل واحدٍ منهما أصحابُه، فكان بينهما ضربٌ بالجريد والنِّعال والأيدي، فبلغنا أنها نزلت: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ﴾.

رواه البخاري في الصلح (٢٦٩١)، ومسلم في السير (١٥٩/١٢)، وقد تقدم في سورة آل عمران حديث أُسامة في ذلك مطوّلاً فارجع إليه، وفي الحديث بيان سبب نزول هذه الآية الكريمة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [١١]: .

{٧٦٨} ـ عن أبي جبيرة بن الضحاك رضي الله تعالى عنه قال: كان الرجل منّا يكون له الإسمان والثلاثة، فيُدْعَى ببعضها فعسَى أن يَكْرَه قال: ونزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾، وفي رواية: وليس أحدٌ إلا له لقبٌ أو لقبان، قال: فكان إذا دعي بلقبه، قلنا: يا رسول الله إن هذا يكره هذا.

رواه أحمد (٦٩/٤ ج ٣٨٠/٥)، وأبو داود (٤٩٦٢)، والترمذي (٣٠٥٣)، والنسائي في الكبرى (٤٦٦/٦)، وكذا البخاري في الأدب المفرد (٣٣٠)، وابن حبان (١٧٦١) بالموارد، والحاكم (٤٦٣/٢) و(٢٨١/٤، ٢٨٢)، وحسّنه الترمذي وصححه وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

التنابز بالألقاب: التنادي بالأسماء المكروهة للإنسان، وذلك محرم بنصّ الآية الكريمة، وأنه فسوق.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [١٣]:

{٧٦٩} ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم خطب الناس يوم فتح مكّة، فقال: «**يا أيها الناس إن الله قد أذهبَ عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وتعاظمها بآبائها، فالناس رجلان: رجل بَرٌّ تَقِيٌّ كريم على الله، وفاجر شقيٌّ هَيِّنٌ على الله، والناس بنو آدم وخلق الله آدم من التراب، قال الله تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾» الآية.

رواه أحمد (٥٢٤/٢)، والترمذي (٣٠٥٥)، وابن أبي حاتم (٣٣٠٦/١٠)، والحديث صحيح لطرقه وشواهده، يأتي بعضها في الأدب إن شاء الله تعالى.

عُبِّيَّة ـ بضم العين المهملة وكسر الباء الموحدة المشدّدة ثم ياء مفتوحة مشدّدة ـ: هي النخوة والكِبْر. وما ذكر في الحديث موافق للآية، فإنه لا عبرة بالأشخاص ولا بالأموال... وإنما العبرة بالإيمان والدين والتقوى لا غير.

{٧٧٠} ـ وعن سمرة عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**الحَسَبُ المالُ، والكرَمُ التقوى**».

رواه أحمد (١٠/٥)، والترمذي (٣٠٥٦)، وابن ماجه (٤٢١٩)، والحاكم (١٦٣/٢) و(٢٢٥/٤)، وسنده صحيح، وحسّنه الترمذي وصححه.

الحديث مبيّن للكرم في الآية، وأن المراد به تقوى الله عزّ وجلّ، وأن الحسب عند أهل الدنيا هو المال، فمن لا مال له لا حسب له عندهم.

وبه تمّ الكلام على الحجرات، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة ق

وهي أول سورة من سور المفصل، وآياتها خمس وأربعون.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [٣٠]:

{٧٧١} ـ عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**لا تزالُ جهنّم يُلْقَى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يَضَعَ ربُّ العِزّة قدمَه فيها فيَنْزَوي بعضُها إلى بعض، وتقول: قط، قط، وعزّتك وكرمك**».

رواه أحمد (١٣٤/٣، ١٤١، ٢٣٠، ٢٣٤)، والبخاري في التفسير (٢١٧/١٠) وغيره، ومسلم في صفة جهنم (١٨٣/١٧، ١٨٤)، والترمذي في التفسير (٣٠٥٧)، ونحوه في الصحيحين عن أبي هريرة.

قوله: قط قط ـ بفتح القاف وسكون الطاء ـ أي: حسبي، وقوله: ينزوي أي: يجتمع، وينضم.

الحديث من أحاديث الصفات يمرّ كما جاء من غير تشبيه ولا تعطيل. وفي الآية والحديث أن جهنم ستتكلم، وهذا لا استحالة فيه، فإن الآخرة على خلاف الدنيا، فحسبنا الإيمان بذلك.

قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [٣٩]:

{٧٧٢} ـ وعن جرير رضي الله تعالى عنه قال: كنّا عند رسول الله

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فجعلنا ننظر إلى القمر ليلة البدر، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أما إنكم تنظرون إلى ربكم تبارك وتعالى كما تنظرون إلى القمر لا تُضامُون في رؤيته، فإن استطعتُم أن لا تُغلبوا على صلاتين صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها**»، وتلا: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ الآية.

رواه البخاري في التفسير (٢٢٠/١٠)، ومسلم في المساجد (١٣٤/٥) وغيرهما.

الحديث بيّن أن المراد بالتسبيح في الآية قبل طلوع الشمس وقبل الغروب هما صلاتي الصبح والعصر. وبه تمّت سورة قَ، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة الذاريات

وهي مكّية، وآياتها ستون.

قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [١٨]:

{٧٧٣} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**أقربُ ما يكون الربُّ من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعتَ أن تكون مِمّن يذكر الله في تلك الساعة فكن**».

رواه الترمذي في الأدعية (٣٣٤٨) بتهذيبي وحسّنه وصححه.

هذا الوقت من مظانّ الاستجابة ووقت التجلّيات الإلهيّة، ولذا مدح الله المتّقين باستغفارهم فيه، جعلنا الله تعالى منهم، آمين.

{٧٧٤} ـ عن الحسن بن عليّ عليهما السلام قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**للسائل حق وإن جاء على فرس**».

رواه أحمد (٢٠١/١)، وأبو داود (١٦٦٥)، وابن خزيمة (٢٤٦٨)، وأبو يعلى (٣٣/٦) جوّده العراقي والسخاوي، وقال الحافظ: وجزم بصحته غير واحد.

في الآية والحديث دليل على أن للسائل حقاً كيفما كان حاله، ولو جاء راكباً على أو فرس أو سيارة فاخرة مثلاً، فلا يردّ إلا بالإعطاء أو بالكلمة الطيّبة.

قوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾ [٤١]:

{٧٧٥} ـ عن رجل من ربيعة قال: قدمت على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فذكرت عنده وافِد عاد، فقلت: أعوذ بالله أن أكون مثل وافد عاد، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**وما وافد عاد**»؟ قال: فقلت: على الخبير بها سقطت إن عاداً لَمّا أقحطت بعثت قيلاً فنزل على بكر بن معاوية، فسقاه الخمر وغنته الجرادتان، ثم خرج يريد جبال مهرة، فقال: اللّهمّ إني لم آتك لمريض فأداويه، ولا لأسير فأفاديه، فاسق عبدك ما كنت مسقيه، واسق معه بكر بن معاوية يشكر له الخمر الذي سقاه، فرفع له سحابات، فقيل له: اختر إحداهنّ، فاختار السوداء منهنّ، فقيل له: خذها رماداً رِمْدِداً لا تَذَرْ من عادٍ أحداً، وذكر أنه لم يرسل عليهم من الريح إلا قدر هذه الحلقة، يعني: حلقة الخاتم، ثم قرأ: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾.

رواه أحمد (٤٨١/٣، ٤٨٢)، والترمذي في التفسير (٣٠٥٨) بسند صحيح.

قوله: على الخبير سقطت أي: على العليم بقصته، وقوله: أقحطت ـ بضم الهمزة ـ أي: تأخر عنهم نزول المطر، وقوله: قيلا ـ بفتح القاف وسكون الياء ـ: اسم وافد عاد، وقوله: الجرادتان: هما مغنيتان كانتا بمكّة في الجاهلية، وقوله: رماداً ـ بفتح الراء ـ وقوله: رمدداً ـ بكسر الراء والدال الأولى بينهما ميم ساكنة ـ أُريد به المبالغة في الاحتراق.

وقوله تعالى: ﴿ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ هي التي لا خير فيها، بل هي شر محض، وفي الحديث كالآية عبر لا تخفى، وبه تمّت سورة الذاريات، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة الطور

السورة الكريمة كسابقتها مكّية، وآياتها تسع وأربعون.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾﴾ [٤]:

{٧٧٦} ـ عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ذكر «**البيت المعمور في السماء السابعة، وإذا إبراهيم عليه السلام مُسنِدٌ ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لا يعودون إليه أبداً**».

رواه البخاري ومسلم ضمن حديث الإسراء الطويل، وقد تقدم في سورة الإسراء ـ بني إسرائيل ـ ورواه أحمد (١٥٣/٣)، والنسائي في الكبرى (٤٧٠/٦)، والحاكم (٤٦٨/٢) مختصراً كما أوردناه، وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي.

الحديث مبين للبيت المعمور، وأنه في السماء السابعة، وقد تقدم الكلام عليه.

قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [٣٥ ـ ٣٧]:

{٧٧٧} ـ عن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبيّ

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ الآية، كاد قلبي أن يطير.

رواه البخاري في التفسير (٢٢٦/١٠) وفي الصلاة وفي المغازي، ومسلم في الطلاق (٤٦٣)، وأبو داود (٨١١)، والنسائي وابن ماجه (٨٣٢).

قال العلماء على هذه الآية الكريمة: أم خلقوا من غير خالق، وذلك لا يجوز فلا بد لهم من خالق، وإذا أنكروا الخالق أفهم الخالقون لأنفسهم، وذلك في الفساد والبطلان أشدّ لأن ما لا وجود له كيف يخلق، وإذا بطل الوجهان قامت الحجّة عليهم بأن لهم خالقاً، ثم قال: أم خلقوا السمٰوات والأرض، أي: إن جاز لهم أن يدعوا خلق أنفسهم فليدعوا خلق السمٰوات والأرض، وذلك لا يمكنهم فقامت الحجّة... ومن هذا انزعج جبير بن مطعم حتى كاد قلبه يطير، ودخل الإسلام قلبه. آمنّا بالله وبكل ما جاء به رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه.

قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ [٤٨ ـ ٤٩]:

{٧٧٨} ـ عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أنّه قال: «**من تَعارّ من الليل، فقال: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله**»، ثم قال: «**ربّ اغفر لي**»، أو قال: ثم دعا استجيب له، وفي رواية: «**وإن قام فتوضّأ وصلّى قُبلت صلاته**».

رواه أحمد (٣١٣/٥)، والبخاري في التهجّد (١١٥٤)، والترمذي في الدعوات (٣١٩٢)، والنسائي في الكبرى (٢١٥/٦)، وابن ماجه (٣٨٧٨)، والبيهقي (٥/٣).

تعارّ معناه: استيقظ من النوم، وأصل التعار السهر والتقلّب على

الفراش. وفي الحديث فضل من استيقظ من الليل، وذكر الله تعالى بما في الحديث، وأن من فعل ذلك غُفر له واستُجيب له وقُبلت صلاته. وبه تمّ الكلام على سورة الطور، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة النجم

وامتازت بذكر معجزة المعراج، وآياتها اثنتان وستّون.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [٣ ـ ٤]:

{٧٧٩} ـ عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أريد حفظه فنهتني قريش، فقالوا: إنك تكتب كل شيء سمعته من رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ورسول الله بشر يتكلّم في الغضب، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: **«اكتب فوالذي نفسي بيده ما خَرَج مني إلا الحقّ»**.

رواه أحمد (١٦٢/٢، ١٩٢)، وأبو داود (٣٦٤٦)، والدارمي (٤١٠)، والحاكم (١٠٦/١) وسنده صحيح.

الحديث نصّ في أنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لا يقول إلاّ الحق، وهو الوحي الإلـهيّ الذي نصّ عليه الله عزّ وجلّ في الآية الكريمة، وهذا بخلاف شؤون الحياة، فإنّه قال: **«أنتم أعلم بدنياكم»**.

قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [٩ ـ ١٠]:

{٧٨٠} ـ عن زِرٍّ بن حُبَيْش رحمه الله تعالى أنه سُئِل عن قوله تعالى:

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ الآية، فقال: أخبرني ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح.

رواه البخاري في التفسير (١٠/٢٣٣، ٢٣٤) وفي بدء الخلق، ومسلم في الإيمان (١٧٤)، والترمذي (٣٠٦١)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٧٢).

{٧٨١} ـ وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قول الله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤﴾، قال ابن عباس: قد رآه النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

رواه الترمذي (٣٠٦٤) بسند صحيح.

قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ [١١]:

{٧٨٢} ـ عن عبدالله رضي الله تعالى عنه: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ إلخ قال: رأى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم جبرائيل عليه السلام في حُلَّةٍ من رَفْرَفٍ قد ملأ ما بين السماء والأرض.

رواه أحمد (٣٧٤٠)، والترمذي (٣٠٦٧) بسند صحيح على شرط مسلم، وحسّنه الترمذي وصححه.

{٧٨٣} ـ وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ قال: رآه بقلبه مرّتين.

رواه أحمد (١٩٥٦)، ومسلم (١٧٦) بنحوه، والترمذي (٣٠٦٥)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٧٢).

قوله تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا

يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ [١٢ ـ ١٨]:

{٧٨٤} ـ عن عبدالله رضي الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾ إلى قوله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ قال: رأى جبريل عليه السلام قد سدّ الأفق لم يره إلاّ في هذين المكانين.

رواه النسائي في الكبرى (٦/٤٧٣)، وابن خزيمة في التوحيد (ص١٣٣، ١٣٤) بسند صحيح، وفي رواية: رأى رفرفاً أخضر قد سدّ الأفق، رواه البخاري في التفسير (١٠/٢٣٤)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٧٣).

{٧٨٥} ـ وعنه قال: لمّا بلغ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم سِدرة المنتهى، قال: «**انتهى ما يعرج من الأرض وما ينزل من فوق**»، فأعطاه الله عندها ثلاثاً لم يُعْطَهُنّ نبيٌّ كان قبله: فُرِضت عليه الصلاة خمساً، وأُعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لأُمّته المُقْحِمات ما لم يشركوا بالله شيئاً. قال ابن مسعود: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦﴾، قال: السدرة في السماء السادسة، قال سفيان: فراش من ذهب، وفي رواية: إليها ينتهي علم الخلق لا علم لهم بما فوق ذلك. رواه مسلم في الإيمان (١/٣، ٢)، والترمذي (٣٠٦٠) وحسّنه وصححه.

قوله: قاب قوسين أي: قدرهما، أو أدنى أي: أقلّ منهما، وقوله: نزلة أخرى أي: مرة أخرى، وقوله: سدرة المنتهى هي بكسر السين: شجرة في أقصى الجنّة إليها ينتهي علم الخلائق، وقوله: في حلة من رفرف بفتح الراءين بينهما فاء ساكنة أصله ما كان من الديباج رقيقاً حسن الصنعة، ولعلّ المراد به هنا صفة ريشه، وقوله: غفر لأُمّته المُقْحِمَات بضم الميم وكسر الحاء: هي الذنوب العظام التي تدخل أصحابها النار.

في هذه الآيات الإحدى والعشرين مع ما ذكرنا معها من الأحاديث أمور:

أولاً: ثبوت عروج النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم نصاً كتاباً وسنّة، بل وإجماعاً، ولم يخالف في ذلك إلاّ بعض من طمس الله بصيرته من العقلانيين المنحرفين.

ثانياً: وصول النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السابعة وما جاء من أنها في السادسة شاذّ، وهي عن يمين العرش، وعندها جنّة المأوى التي تأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء، وهذه السدرة شجرة لها ثمار الواحدة منها مثل قلال هجر، كما جاء في حديث الإسراء.

ثالثاً: إن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يمل بصره في ذلك المقام لا يميناً ولا شمالاً، وما جاوز الحدّ الذي رأى تأدّباً منه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في تلك الحضرة.

رابعاً: إن الله تعالى أراه في تلك الليلة أكبر آياته، فرأى عجائب الملكوت، رأى الأنبياء والملائكة والجنّة والنار والبيت المعمور وسدرة المنتهى وجبريل على صورته الأصلية، إلى غير ذلك من الآيات.

خامساً: اختلفت الروايات عن ابن مسعود وابن عباس في رؤية النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ربّه تعالى، فالأول فسّر الآية: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ إلخ برؤية جبريل، بينما الثاني فسّرها برؤية الله عزّ وجلّ، لكنه في الرؤية الأولى أطلق، وفي الثانية قيّدها بقوله: رآه بقلبه مرّتين. وقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في هذه القضية بداية من الصحابة فمن بعدهم، فذهب ابن مسعود وأبو هريرة وعائشة رضي الله تعالى عنهم وتبعهم جماعة من المحدثين والمتكلّمين إلى عدم الرؤية، وذهب آخرون ومن هؤلاء ابن عباس وأبو ذر وكعب وأبو هريرة في رواية إلى ثبوتها، وهو قول الحسن البصري، وكان يحلف على ذلك، وبه قام الإمام أحمد وأبو الحسن الأشعري ورجحه النووي في شرح مسلم.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ [١٩]:

{٧٨٦} ـ عن أبي الطفيل رضي الله تعالى عنه قال: لما فتح رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم مكّة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة، وكانت بها العزى، فأتاها خالد، وكانت على ثلاث سَمُرات، فقطع السمرات، وهدم البيت الذي كان عليها، ثم أتى النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فأخبره، فقال: «**ارجع فإنك لم تصنع شيئاً**»، فرجع خالد، فلما أبصرت به السدنة وهم حجبتها أمعنوا في الحيل وهم يقولون: يا عزى فأتاها خالد، فإذا هي امرأة عريانة ناشرة شعرها تحتفن التراب على رأسها، فعمّمها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فأخبره، فقال: «**تلك العزّى**».

رواه النسائي في الكبرى (٦/٤٧٤)، وأبو يعلى في مسنده (٩٢٤١) بسند حسن.

في الحديث أن الشياطين هم المضلّلون لعبدة الأصنام، وأنهم يتظاهرون لهم في أصنامهم ويتراءون لهم عند عبادتهم إياها فيُغْرونَهم على عبادتها والاستغاثة بها، فيزدادون إغراقاً في الكفر والضلال، ولا أدلّ على ذلك من العزّى التي كانت تمثلها امرأة من الشياطين.

ملحوظة: بمناسبة ذكر اللات والعزى نشير إلى أن ما هو شائع بين كثير من المفسّرين وغيرهم من ذكر قصة الغرانيق هو باطل من وضع الزنادقة ولا يصح شيء فيها لا من طريق النقل ولا من جهة المعنى، وقد ذكرت خلاصة الموضوع في حواشي تهذيب الشفا (ص٤١٣، ٤١٤).

قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾ [٢٥]:

{٧٨٧} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إذا تَمَنَّى أحدُكم فلْينظُر ما يَتَمَنَّى فإنه لا يَدري ما يُكتبُ له من أُمْنِيتِهِ**».

رواه أحمد (٢/٣٥٧، ٣٨٧) بسند صحيح.

الأُمور كلّها تابعة لقضاء الله عزّ وجلّ وقدره، فليس كل ما يتمنّاه الإنسان يدركه، فقد تأتي الرياح بما لا تهوى السفن، ولذلك ينبغي للمسلم أن لا يتمنى إلا ما فيه خير وصلاح ومنفعة له عاجلاً أو آجلاً، مما لا يتنافى وقواعد الدين، فإذا تمنّى شراً فليبادر بالإنابة والرجوع إلى الله تعالى والاستعتاب.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾﴾ [٣٢]

{٧٨٨} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ما رأيتُ شيئاً أشبه باللّمم مما قال أبو هريرة عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، قال: **«إن الله تعالى كتب على ابن آدم حظّه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطقُ، والنفسُ تتمنى وتَشْتَهِي، والفرجُ يُصَدِّقُ ذلك أو يُكذبُه».**

وفي رواية: **«وزنا اليدين البطش، وزنا الرجلين المشي، وزنا الفم القُبل...».**

رواه أحمد (٢٧٦/٣، ٣١٧، ٢٧٢، ٥٣٦)، والبخاري في القدر (٦٦١٢) وفي الاستئذان (٦٢٤٣)، ومسلم في القدر (٢٦٥٧)، وأبو داود (٢١٥٢)، والنسائي في الكبرى (٤٧٣/٦).

{٧٨٩} ـ وعنه: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ إلخ، قال: قال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم:

«إن تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمّاً ... وأيُّ عَبْدٍ لك مَا أَلَمَّا»

رواه الترمذي (٣٠٦٨)، والحاكم (٤٦٩/٢)، وسنده صحيح على شرط مسلم، وحسّنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبي.

قوله: وأي عبد لك ما ألمّا، اللّمم: صغار الذنوب، وهي المفسّرة في حديث أبي هريرة من النظر والنطق والتقبيل والمشي والبطش والتمني، وسمّيت هذه المعاصي زنا مجازاً لأن كل ذلك يدعو إلى الزنا الحقيقي مع ما في ذلك من الالتذاذ والتمتّع ويصدق كل ذلك الفرج، فإن لم يفعل غفرت له تلك المقدمات بالوضوء والصلاة والصدقة والصيام والتلاوة والذكر والتوبة فضلاً من الله تعالى ولطفاً به، ولذلك عقب الآية بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾، فيا واسع المغفرة اغفر لنا واعف عنا وتجاوز عن سيئاتنا وارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [٣٢]:

{٧٩٠} ـ عن زينب بنت أبي سلمة رضي الله تعالى عنها أنها سُمّيت بَرّة، فنَهى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عن ذلك وقال: **«لا تُزَكُّوا أنفُسَكُم إن الله أعلم بأهل البرّ منكم»**، فقالوا: بِمَ نسمّيها؟ قال: **«سمّوها زينب».**

رواه مسلم في الأدب (١٢٠/١٤) من طرق.

في الآية كالحديث ذم تزكية النفس، نعم جاء المدح للمصلحة وتحدّثاً بنعمة الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [٣٩، ٤٠]:

{٧٩١} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«إذا مات الإنسان انقَطَعَ عملُه إلاّ من ثلاث: صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنتفعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يَدْعُو له».**

رواه أحمد (٣١٦/٢، ٣٧٢)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٨٢)، وأبو داود (٣٨٨٠)، والترمذي في الأحكام (١٢٤٧)، والنسائي في الكبرى (١٠٩/٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٨).

رواه البخاري وغيره، وتقدم في سورة الأنفال، ويأتي أيضاً في المغازي إن شاء الله تعالى. وفي الآية معجزة حيث أخبر تعالى بانهزام الكفار قبل الوقعة، فوقعت كما أخبر.

قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [٤٦]:

{٧٩٥} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لقد أنزل على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بمكّة، وإنّي لجارية ألعب: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾.

رواه البخاري في التفسير (١٠/٢٤٣) وفي فضائل القرآن، والنسائي في الكبرى (٦/٤٧٧).

ومعنى الآية: أن عذاب الساعة والآخرة أشدّ وأعظم وأمر وأقبح من يوم بدر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [٤٩]:

{٧٩٦} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: جاء مشركوا قريش يخاصمون رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في القدر، فنزلت: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾.

رواه مسلم (٢٦٥٦ ج١٦/٢٠٤، ٢٠٥)، والترمذي (١٩٨٨) كلاهما في القدر، ورواه الثاني في التفسير أيضاً (٣٠٧٣)، وابن ماجه في المقدمة (٨٣).

الحديث مع الآية يدلاّن على ثبوت القدر ـ بفتحتين ـ ومعناه: أسبقية علم الله بما سيكون ويقع من الكائنات خيرها وشرّها، وكتابة ذلك في اللوح المحفوظ، وانظر ما سبق في القدر.

وبه تمّت سورة القمر، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة الرحمـــن

وآياتها ثمان وسبعون، ومن أبرز أهدافها تعداد نعمه تعالى على الإنسان...

قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾:

{٧٩٧} ـ عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: خرج رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمٰن من أوّلها إلى آخرها، فسكتوا فقال: «**لقد قرأتُها على الجنّ ليلةَ الجن فكانوا أحسنَ مَرْدوداً مِنْكُم، كنتُ كلما أتيتُ على قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ قالوا: لا بشيء من نِعَمِكَ ربنا نُكَذِّب فلك الحمدُ**».

رواه الترمذي (٣٠٧٤)، والحاكم (٢/٤٧٣) وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي. وللحديث شاهد عن ابن عمر رواه البزار (٢٢٦٩) بسند حسن في الشواهد.

في الحديث فضل صحابة الجنّ وحسن تأدّبهم مع القرآن الكريم، وفيه ما ينبغي أن يقال عند قراءة أو سماع هذه الآية: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [١٤ ـ ١٥]:

{٧٩٨} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**خُلِقَتْ الملائكةُ من نور، وخُلق الجانُّ من مارج من نار، وخُلِق آدمُ مما وُصِف لكم**».

رواه أحمد (١٥٢/٦، ١٦٨)، ومسلم (١٢٣/١٨). المارج: اللهب المختلط بسواد النار.

في الحديث بيان أصل خلقة الأصناف الثلاثة المكلّفين، وهم الملائكة وأصلهم من النور، والجنّ وأنهم خلقوا من لهب النار، وآدم عليه السلام وأنه مخلوق من أصناف الأرض، كما وصف لنا ذلك القرآن الكريم: من تراب، من حَمإ مسنون، من طين لازب، من صلصال كالفخار... فسبحان القادر الفعّال لما يشاء، لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم.

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [٢٩]:

{٧٩٩} ـ عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾، قال: «**من شأنه أن يَغْفِرَ ذنباً، ويُفَرّج كرباً، ويَرْفعَ قوماً، ويَخْفِضَ آخرين**».

رواه ابن ماجه (٢٠٢)، والبزار (٢٢٦٧). قال البوصيري: إسناده حسن، وللحديث شاهدان عن عبدالله الأزدي، رواه ابن جرير (١٣٥/٢٧)، والبزار (٢٢٦٦)، وعن ابن عمر عند البزار أيضاً، وبما في الحديث قال كل المفسّرين: فهو تعالى كل يوم في شأن عباده يحيي ويُميت، ويعطي ويمنع، ويغني ويفقر، ويعزّ ويذلّ، ويبتلي ويفرج، ويبسط ويضيق، ويرفع ويخفض، ومع ذلك فلا يشغله شأن عن شأن.

قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [٤٦]:

{٨٠٠} ـ عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو يقصّ على المنبر، يقول: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ فقلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال

رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم الثانية: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ فقلت الثانية: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في الثالثة: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾، فقلت الثالثة: وإن زنا وإن سرق؟ قال: «**وإن رَغِمَ أنف أبي الدَّرداء**».

رواه أحمد (٣٥٧/٢)، والنسائي في الكبرى (٤٧٨/٦)، والبغوي في شرح السنّة (٤١٨٩) بسند صحيح، وقال النور: رجال أحمد رجال الصحيح، وفي الصحيح نحوه عن أبي ذرّ لكن بدون ذكر الآية.

وفي الآية الكريمة مع الحديث بشارة لمن يخاف الله تعالى بأنه من أهل الجنّة، غير أن ذلك لا يدلّ على أنه يدخلها بدون سابقة عذاب، بل لا بدّ من التفصيل، فإن من مات وله كبائر وفواحش، فهذا في مشيئة الله تعالى قد يعذّبه أو يعفو عنه، ولكن مآله الجنّة على كل حال لإيمانه وخوفه من الله تعالى ولو مرة من عمره، أما من مات تائباً لا ذنوب له، فهذا لا يعذّب بل هو من السابقين إلى الجنّة إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ [٤٨]:

{٨٠١} ـ عن أسماء بنت الصديق رضي الله تعالى عنهما قالت: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وذكر سدرة المنتهى فقال: «**يَسِيرُ الراكبُ في ظل الفنَنَ منها مائة سنة**» أو قال: «**يَسْتَظِلُّ بِظِلّها مائةُ راكب فيها فراشُ الذَّهب كأن ثَمَرَها القِلال**».

رواه الترمذي في صفة الجنّة (٢٣٥٨) وحسّنه وصححه، ويأتي في الرقاق نحوه إن شاء الله تعالى.

قوله: أفنان أي: أغصان، وفي ذلك إكرام للمؤمن داخل الجنّة، وكم له من متع هنالك.

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ [٥٨]:

{٨٠٢} ـ عن ابن سيرين رحمه الله تعالى قال: إمّا تَفاخَروا أو تَذاكَرُوا:

الرِّجَالُ أَكْثَرُ في الجنّة، أم النساء؟ فقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: أوَ لم يقل أبو القاسم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إن أول زمرةٍ تدخلُ الجنّة على صورة القمر ليلة البدر... ولكل واحدٍ منهم زوجتان يرى سُوقُها من وراء اللَّحم من الحُسْنِ**».

رواه البخاري في بدء الخلق وغيره، ومسلم في الجنّة، والترمذي في صفة الجنّة (٢٣٥٤)، ورواه الترمذي (٢٣٥١) عن ابن مسعود بلفظ: «**إن المرأة من نساء أهل الجنّة ليُرى بياضُ ساقِها من وراءِ سبعين حُلَّة حتى لَيُرى مُخُّها، وذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾، فأمّا الياقوت فإنه حَجَرٌ لو أدخلتَ فيه سلكاً ثم اسْتَضفَيْتَه لأُورِيتَه من ورائه**»، وهو عند الطبراني في الأوسط بسند صحيح، ورواه ابن جرير (١٥٢/٢٧)، وابن حبان (٢٦٣٢) بالموارد، والطبراني في الكبير (٨٨٦٤)، والبزار (٣٥٣٦) من حديث أبي سعيد.

في الآية والحديث بعض صفات نساء أهل الجنّة، وأنهنّ في الصفاء كالياقوت، وفي البياض كالمرجان، ولذلك كان سوق إحداهنّ ليرى من وراء سبعين حلّة لصفاء أجسامهنّ.

قوله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ [٦٢]:

{٨٠٣} ـ عن عبدالله بن قيس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**جَنَّتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنَّتانِ من ذهب آنِيَتُهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربّهم إلا رداءُ الكِبْرِ على وجْهِهِ في جنّة عدْنٍ**».

رواه أحمد (٤١١/٤)، والبخاري في التفسير (٢٤٨/١٠) وفي التوحيد في الرؤية، ومسلم في الجنّة، والترمذي كذلك (٢٣٤٥)، وابن ماجه (١٨٦)، وقد تقدم، ويأتي في الرقاق إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ يعني: في المنزلة والفضل، فالأوليتان للمقرّبين السابقين والأُخريتان لأهل اليمين، كما قال بعض السلف

من المفسّرين: وعلى كل فبينهما بون وفضل، وكلّها من النِّعم العظيمة التي سيُمَتَّعُ بها المؤمنون.

قوله تعالى: ﴿مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ﴾ (٧٢):

{٨٠٤} ـ عن عبدالله بن قيس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**إن في الجنّة خيمةً من لؤلؤةٍ مُجَوَّفةٍ عَرْضُها سِتُّون ميلاً، في كل زاويةٍ منها أهلٌ ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمنون**» الحديث.

رواه البخاري في التفسير (٢٤٨/١٠)، ومسلم في الجنّة، والترمذي (٢٣٤٦)، والدارمي (٢٨٣٦)، والنسائي في الكبرى (٤٧٩/٦) مطوّلاً ومختصراً، ويأتي في الرقاق.

الزاوية: الناحية من البيت، والخيمة عند العرب: بيت من الوبر، وعبّر بها هنا عن البيت أو القصر، وقوله: عرضها ستّون ميلاً إذا كان هذا عرضها، فكيف يكون طولها، وهذه خيمة واحدة، وكم لوليّ الله تعالى من خيام وقصور، والحديث يدلّ على أن المؤمن سيعطى من الحور العين والنساء ما لا عدّ له.

وقوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ أي: محبوسات فيها لا ينظرن إلى غير أزواجهنّ، فهنّ في بيوتهن قد قصرت أطرافهنّ على أزواجهنّ، فلا يتشوّقن إلى غيرهم فضلاً عن النظر إليهم. وقوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾ إلخ أي: لم يقربهنّ أحد قبل أزواجهنّ فهن أبكار.

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِي ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [٧٨]:

{٨٠٥} ـ عن ربيعة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**ألِظُّوا بذِي الجلال والإكرام**».

رواه أحمد (١٧٧/٤)، والنسائي في الكبرى (٤٧٩/٦)، والحاكم

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**خلق الله آدم عليه السلام حين خلقه، فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر، وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحُمَم، فقال للذي في يمينه: إلى الجنة ولا أُبالي، وقال للذي في كفّه اليسرى: إلى النار ولا أُبالي**»، رواه أحمد (٤٤١/٥) وسنده صحيح.

{٨١٣} ـ الثاني: عن عبدالرحمٰن بن قتادة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**إن الله عزّ وجلّ خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره، وقال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي**»، قال: فقال قائل: يا رسول الله فعلى ماذا نعمل؟ قال: «**على مواقع القدر**». رواه أحمد (١٨٦/٤)، وابن حبان (٥٠/٢)، والحاكم (٣١/١) وصححه ووافقه الذهبي، وقال النور في المجمع (١٧٦/٧): ورجاله ثقات.

{٨١٤} ـ الثالث: عن أبي نَضْرة قال: مرض رجل من أصحاب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فدخل عليه أصحابه يعودونه، فبكى فقيل له: ما يبكيك يا عبدالله؟ ألم يقل لك رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**خذ من شاربك ثم أقرره حتى تلقاني**»، قال: بلى ولكني سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**إن الله تبارك وتعالى قبض قبضة بيمينه، فقال: هذه لهذه ولا أبالي، وقبض قبضة أخرى ـ يعني: بيده الأخرى ـ فقال: هذه لهذه ولا أبالي، فلا أدري في أيّ القبضتين أنا**»، رواه أحمد (١٨٨/٥) بسند صحيح.

{٨١٥} ـ الرابع: عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**هؤلاء لهذه، وهؤلاء لهذه، فتفرق الناس وهم لا يختلفون في القدر**».

رواه الطبراني في الصغير (١٣٠/١) بسند صحيح.

فهذه الأحاديث كلّها شواهد صحيحة لحديث الباب في الجملة، وهي تدلّ على أُمور، أولاً: أن الله تعالى أخرج من كتفي أبينا آدم عليه السلام

جميع ذرّيته، وهم في الصغر والظالة كالذرّ. ثانياً: فيها ثبوت أسبقية قدر الله عزّ وجلّ للخلق، وأن جميع الأُمور سبق بها علم الله تعالى، وكتبت في الذكر الحكيم واللوح المحفوظ، وليست مُسْتَأْنَفَةً كما يقوله القدرية المبتدعة. ثالثاً: أن الله عزّ وجلّ مايز بين أهل السعادة، فجعلهم بيضاً، وبين أهل الشقاوة فجعلهم سوداً كالفحم عياذاً بالله تعالى منهم.

رابعاً: جعل لكل من الصنفين علامة يعرف بها، وهي الإيمان والعمل بمقتضاه، أو ترك ذلك ولذلك قال لمن قال له: فعلى ماذا نعمل؟ قال: على مواقع القدر، يعني: كلاً سييسر لما سبق له، كما جاء في الحديث الوارد عن جماعة من الصحابة: «**اعملوا فكلٌّ ميسَّر لما خُلِق له**»، وسيأتي إيراده في سورة الليل إن شاء الله تعالى.

خامساً: أن الله عزّ وجلّ قضى وحكم وحكمه عدل بالجنّة لأقوام، وبالنار لآخرين بدون مبالاته بأحد ولا اكتراث، لأن الملك ملكه، والخَلْق خلقه، فلا معقّب لحكمه ولا رادّ لقضائه، ولا يسأل عمّا يفعل، فنسأله تعالى أن يمنّ علينا ويتفضّل بالموت على السعادة.

سادساً: ما ذكر في هذه الأحاديث من القبضتين واليمين هي من أحاديث الصفات نؤمن بها ونمرها كما جاءت بلا تعطيل ولا تشبيه.

قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ [٣٠]:

{٨١٦} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**إنّ في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلّها مائة عام لا يَقْطَعُها، واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾**».

رواه البخاري في التفسير (٢٥١/١٠)، ومسلم في الجنّة (٢٨٢٦)، والترمذي في التفسير (٣٠٧٥)، وفي صفة الجنّة (٢٢٤١)، والنسائي في الكبرى (٤٧٩/٦)، ومثله عن أنس رواه الشيخان، والترمذي (٣٠٧٦).

في الحديث بيان الظل الممدود في الآية، وأن الراكب المُجِدّ لا يقطعه في مدة مائة عام، والظل هنا لا نعرفه لأنه ليس هنالك شمس ولا

قمر ينشؤ عن ضوئهما ظلّ الأشجار، وإنما هو ظلّ ينشئه الله عزّ وجلّ من أنوار لا ندركها، وقوله: ممدود، أي: لا زوال له بل هو دائم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾ [٣٥ ـ ٣٨]:

{٨١٧} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قيل: يا رسول الله هل نصِلُ إلى نسائِنا في الجنّة؟ قال: «**إنّ الرجل لَيَصِلُ في اليوم إلى مائة عَذْراء**».

رواه الطبراني في الأوسط (٧٢٢)، والصغير (٧٩٥)، والبزار (٣٥٢٥)، قال النور في المجمع: رجاله رجال الصحيح غير محمد بن ثواب وهو ثقة.

{٨١٨} ـ وعنه عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قيل له: أَنَطَأُ في الجنّة؟ قال: «**نعم والذي نفسي بيده دَحْماً دَحْماً، فإذا قامَ عَنْهَا رَجَعَتْ مُطَهَّرَة بِكْراً**».

رواه ابن حبان في صحيحه (١٦/٤١٥)، والبزار (٣٥٢٤) وغيرهما بسند حسن صحيح، وفي الباب أحاديث.

قوله: عذراء أي: بكراً، وقوله: دحماً دحماً في النهاية: هو النكاح، والوطىء بدفع وإزعاج.

والحديثان يدلاّن كالآية على أن نساء الجنّة ليست فيهنّ ثيّبة، بل كلهن أبكار، وحتى من جومعت عادت بكراً مطهّرة، وسيعطى المؤمن قوة مائة في الجماع ليتمّ له التمتّع، كما جاء في حديث أنس رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، قال: «**يعطى المؤمن في الجنّة قوة كذا وكذا من الجماع**»، قيل: يا رسول الله أوَ يطيق ذلك؟ قال: «**يعطى قوة مائة**»، رواه الترمذي (٢٣٥٣)، وابن حبان (٦٣٥) بالموارد، وصححه الترمذي. وعن زيد بن أرقم نحوه رواه الدارمي (٢٨٢٨) بسند صحيح، وسيأتي مزيد لهذا في الرقاق. وقوله تعالى: ﴿عُرُبًا﴾ جمع عروب أي:

متحبّبات إلى أزواجهنّ، وقوله: أتراباً جمع تِرْب أي: مستويات في السنّ.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [٧١ ـ ٧٣]:

{٨١٩} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**إنّ نارَكم هذه جزءٌ من سبعين جزءاً من نار جهنّم، وضُرِبَتْ بالبحر مرّتَين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعةً لأحدٍ**»، وفي رواية: «**نار بني آدم التي يوقِدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنّم**»، فقالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: «**إنها قد فُضِّلَتْ عليها بتسعة وستين جزءاً**».

رواه أحمد (٢/٣١٣، ٤٦٧، ٢٤٤)، والبخاري في بدء الخلق (٣٢٦٥)، ومسلم في صفة الجنّة (١٧/١٧٩)، والترمذي (٢٤٠٨) وغيرهم.

في الحديث بيان عظمة نار جهنّم، وأنها تعادل نارنا بتسع وستين مرة، ولذا قال الصحابة: إن كانت ـ يعنون نار الدنيا ـ لكافية للتعذيب، ولكن الله عزّ وجلّ جعلها كذلك ليعذّب بها من كفر به وعبد معه غيره أو طغى في هذه الحياة وعتا وتجبّر وأسرف في المخالفات فهم فيها، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾، وكما قال عزّ وجلّ: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ الآية.

فلأمثال هؤلاء أعدّت تلك النار عياذاً بالله منها ومن أهلها.

والآية جيء بها كأخواتها: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾ إلخ لإقامة الحجة على الكفار، وعلى وحدانيّته تعالى وعظمة قدرته، وأنه تعالى الذي يخلق الإنسان من المني الذي يمنونه، وأنه الذي ينبت الزروع من البذر الذي يلقونه في مزارعهم، وأنه الذي ينزل الماء العذب من السحاب، ولو شاء لجعله مالحاً شديد الملوحة لا يستساغ، وأنه الذي أنشأ شجرة النار وجعلها تذكرة لهم ونسخة من النار الكبرى إذا رأوها تذكروا بها جهنّم، فيخافون عقابه ويؤمنون به ويطيعونه.

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٠ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ۝٨١ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ [٧٥ ـ ٨٢]:

{٨٢٠} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: مطر الناس على عهد رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر**»، قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ الآية، حتى بلغ ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ۝١﴾.

رواه مسلم في الإيمان (٦١/٢، ٦٢) ونحوه في الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني...

مواقع النجوم: منازلها وأماكن دورانها في أفلاكها وبروجها، وقيل: مساقط غروبها ونزولها، وقوله: ﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨﴾ الصحيح أنه اللوح المحفوظ، وباقي أبحاث الحديث تأتي في الطبّ... إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [٧٩]:

{٨٢١} ـ عن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم رحمهم الله تعالى قال: إن في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لعمرو بن حزم: «**أن لا يمس القرآن إلاّ طاهر**»، رواه مالك في الموطأ باب الأمر بالوضوء لمن مسّ القرآن، وهو مرسل صحيح.

ورواه ابن حبان (٧٩٣) بالموارد، والحاكم (٣٩٥/١) متصلاً، وصححه الحاكم وغير واحد من الحفاظ، ورواه أبو داود في المراسيل من حديث الزهري، قال: قرأت في صحيفة عبدالله بن أبي بكر إلخ، قال ابن

كثير رحمه الله تعالى: وهذه وجادة جيدة قرأها الزهري وغيره، قال: ومثل هذا ينبغي الأخذ به.

وفي الآية إخبار بأن القرآن في اللوح المحفوظ وأنه لا يمسّه إلا المطهّرون من الملائكة، والحديث يدلّ على عدم مسّ المصحف لغير الطاهر، وتقدم هذا في كتاب الطهارة.

قوله تعالى: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ [٨٢]:

{٨٢٢} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ما مُطر قومٌ قط إلا أصبح بعضُهم كافراً يقولون: مُطِرنا بنوء كذا وكذا، وقال: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾.

رواه ابن جرير (٢٠٨/٢٧) بسند صحيح، وجاء مثله عن الإمام عليّ عليه السلام رواه الترمذي (٣٠٧٨)، وابن جرير (٢٠٨/٢٧)، وابن أبي حاتم (٣٣٣٤/١٠).

ومعنى الآية: وتجعلون شكر الله على رزقه إياكم التكذيب، فبدل أن يشكروه على ما أنعم عليهم من أسباب الرّزق ونزول الرحمة قابلوا ذلك بالكفران والتكذيب ونسبة الإمطار إلى الأنواء والنجوم.

قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ۝٩٦﴾ [٩٦]:

{٨٢٣} ـ عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ۝٧٤﴾، قال: «**اجعلوها في ركوعكم**»، ولما نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾ قال: «**اجعلوها في سجودكم**».

رواه أحمد (١٥٥/٤)، وأبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٧١)، وابن خزيمة (٦٠٠، ٦٧٠)، والحاكم (٢٥٥/١) و(٤٧٧/٢) وصححه ووافقه الذهبي في الموضع الثاني.

وصح ذلك من فعله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أيضاً، ففيه

رحمه الله تعالى في صحيحه عن يحيىٰ بن زياد الفراء، حيث قال: الظاهر على كل شيء علماً، والباطن على كل شيء علماً، فهو وإن كان محتملاً فما فسّره به النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم مقدم عليه، وإذا ظهرت شمس الله بطلت شمس معقل، أو كما يقولون.

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [١٠]:

{٨٢٥} ـ عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبدالرحمٰن بن عوف شيء، فسبّه خالد، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**لا تَسُبُّوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ما أدْرَكَ مُدّ أحَدِهم ولا نَصِيفَهُ**».

رواه مسلم (١٦/٩٢، ٩٣) في فضائل الصحابة، وفي رواية قال خالد لعبدالرحمٰن: تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها... فقال صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**دعوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أُحد أو مثل الجِبَالِ ذهباً ما بلغْتُم أعمالَهُمْ**»، رواه أحمد (٣/٢٦٦) بسند صحيح على شرط مسلم.

الآية والحديث يدلاّن على أنه لا يستوي السابقون من الصحابة مع اللاحقين منهم، وإن كانوا جميعاً تشملُهم البشارة بدخول الجنّة، ويأتي مزيد لهذا في الفضائل.

قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [٢٢]:

{٨٢٦} ـ عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**إن الله قدَّرَ المقادير قبل أن يَخْلُقَ السمٰواتِ والأرض بخمسين ألف سنة**»، وفي رواية: «**كتب الله مقادير الخلائق**» إلخ، قال: «**وكان عرشه على الماء**».

رواه أحمد (٢/١٦٩)، ومسلم (١٦/٢٠٣)، والترمذي (١٩٨٧) كلاهما في القدر، وتقدم في القدر. قال العلماء رحمهم الله تعالى: المراد بكتابة مقادير الخلائق تحديد وقت الكتابة في اللّوح المحفوظ لا أصل التقدير، فإن ذلك أزليّ لا أوّل له.

وفي الحديث والآية دليل على أن الله تعالى فرغ من كل شيء، وأن كل ما يقع في هذا العالم من خير أو شرّ طاعة أو معصية هو مكتوب ومقدّر في اللوح المحفوظ، وهذا من كلّيات الإيمان الستّ. ومن تحقّق بهذا المقام هانت عليه البلايا والمصائب واستراح من تعب طلب الدنيا والسعي وراءها بتلهف، وقوله تعالى: ﴿نَّبْرَأَهَآ﴾ أي: نخلقها.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۙ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ۚ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [٢٧]:

{٨٢٧} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانت ملوكٌ بعد عيسى عليه السلام بدّلُوا التوراة والإنجيل، وكان فيهم مؤمنون يقرؤون التوراة والإنجيل، قيل لملكهم: ما نجد شتماً أشدّ من شتم يَشْتُمُونَنَا هؤلاء إنهم يقرأون: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدّلوا منها، فقالوا: ما تُريدون إلى ذلك؟ دعونا، فقالت طائفة منهم: ابنوا لنا أسطواناً ثم ارفعونا إليها ثم اعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نردّ

عليكم، وقالت طائفة: دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش، فإن قَدَرْتم علينا في أرضكم فاقتلونا، وقالت طائفة منهم: ابنوا لنا دوراً في الفيافي ونحتفر الآبار ونحترث البقول، ولا نَرِدُ عليكم ولا نَمُرُّ بكم، وليس أحد من القبائل إلاّ وله حَمِيمٌ فيهم، قال: ففعلوا ذلك، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾، والآخرون قالوا: نتعبد كما تعبّد فلان، ونسيح كما ساح فلان، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم، فلما بعث النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يبق منهم إلا قليل انحطّ رجل من صومعته، وجاء سائح من سياحته، وصاحب الدَّيْر من دَيْره، فأمنوا به وصدّقوه، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ أجرين بإيمانهم بعيسى عليه السلام وبالتوراة والإنجيل، وبإيمانهم بمحمّد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وتصديقهم وقال: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ القرآن واتّباعهم النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، قال: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الذين يتشبّهون بكم ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ الآية.

أخرجه النسائي في الكبرى (٦/٤٨٠، ٤٨١) وفي أدب القضاة من المجتبى رقم (٥٤٠٠) وسنده صحيح، وعطاء بن السائب ثقة، وسفيان الثوري الراوي عنه هنا سمع منه قبل الاختلاط.

هذا الحديث يصوّر لنا ذلك المجتمع المسيحي الجاهلي وما فعله ملوكهم المنحرفون من تبديل الإنجيل وتحريفه حسب أهوائهم، وما صار إليه أمر المؤمنين منهم من مضايقات والهَمُّ بقتلهم، فكان ذلك سبباً في مهاجرتهم ذلك المجتمع الكافر وسياحتهم في الأرض، واتّخاذهم الصوامع والدَّيْرَات وابتداعهم الرهبانية والانقطاع للعبادة والزهد في التزوّج، وكان قصدهم في ذلك طلب مرضاة الله عزّ وجلّ، لكنهم لم يقوموا بما التزموه ولم يراعوه حقّ رعايته، كما نَطَقَتْ بذلك الآية الكريمة، فلما جاء الإسلام أبطل الرهبانية، وجاء بالقصد والاعتدال فأمرنا بالتزوّج وحذّر من الرغبة عنه، وجعل رهبانية هذه الأُمّة الجهاد في سبيل الله، كما قال صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**لكل نبيّ رهبانيةٌ، ورهبانية هذه الأُمّة الجهاد في**

سبيل الله عزّ وجلّ»، رواه أحمد (٣/٢٦٦) من حديث أنس بن مالك، وهو وإن كان في سنده زيد العمي وهو ضعيف، فإن له شاهداً عن أبي سعيد الخدري رواه أحمد (٣/٨٢) عنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**أوصيك بتقوى الله، فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام**»، وسنده لا بأس به. وجاء في حديث آخر عنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**لا صَرُورة في الإسلام**» رواه أحمد رقم (٢٨٤٥)، وأبو داود (١٧١٣)، والحاكم (١/٤٤٨) وصححه وأقرّه الذهبي، وهو من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

والصرورة: هو التبتّل والرغبة عن التزوّج لأن ذلك من فعل الرهبان وليس من أخلاق أهل الإسلام، وهذا بلا شكّ ممنوع إذا حرم الإنسان على نفسه النساء وترك ذلك رغبةً عن السنّة. أما من لم تكن له رغبة فيهنّ وخاف على نفسه من فتن الحياة وانقطع للعبادة، فلا لوم عليه في ذلك، وقد كان على هذا كثير من سلف هذه الأمّة.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [٢٨]:

{٨٢٨} ـ فيه حديث أبي موسى: «**ثلاثة يؤتون أجرهم مرّتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيّه وآمن بي فله أجران**» الحديث، تقدم في القصص رقم آية (٥٤) وهو في الصحيحين، وبه تمّت سورة الحديد، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيّدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

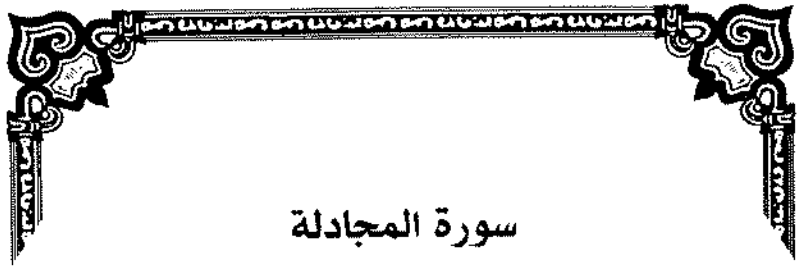

سورة المجادلة

وآياتها ثنتان وعشرون وموضوعها بيان أحكام الظهار، والمناجاة الأثيمة وأدب المجالس، وذكر بعض صفات اليهود السافلة مع بيان عوار المنافقين وصفاتهم.

قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾:

{٨٢٩} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادِلة خولةُ إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وكلّمته في جانب البيت وما أسمع ما تقول: فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ﴾ الآية.

رواه أحمد (٤١/٦)، والنسائي في الكبرى (٤٨٢/٦) وفي الظهار من المجتبى (٣٤٦٠)، والحاكم (٤٨١/٢) وصححه وأقره الذهبي، وذكره البخاري في التوحيد معلّقاً رقم (٧٣٨)، ورواه ابن ماجه (٢١٦٣) بلفظ: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، وهو عند الحاكم أيضاً (٤٨٢/٢) وصححه وأقرّه الذهبي، ورواه أحمد (٤١٠/٦) عن خولة نفسها.

الظِّهار: هو أن يقول الرجل لزوجته: أنت عليّ كظهر أُمّي، يقصد بذلك تحريمها عليه، وكان هذا سائداً في الجاهلية، فكان أوس بن الصامت

أوّل من ظاهر من امرأته خولة بنت عمّه ثعلبة، فأنزل الله فيهما قرآناً وسمّى الظهار كذباً وزوراً لأن امرأته ليست أمّاً له ثم أمره بالكفارة.

وفي الآية الكريمة بيان عظمة الله تعالى وكبريائه، فالسيدة عائشة لم تسمع كلام خولة وهي معها في البيت بينما سمعها الله تعالى، فجلّ ربنا وعظم فلا إله إلاّ هو عالم الغيب والشهادة.

{٨٣٠} ـ وعن خولة بنت ثُعلَبة رضي الله تعالى عنها قالت: والله فيّ وفي أوس بن صامت أنزل الله عزّ وجلّ صدر سورة المجادلة، قالت: كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خُلُقُه وضَجِر، قالت: فدخل عليّ يوماً فراجعتُه بشيء فغضب، فقال: أنت عليّ كظهر أمي، ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل عليّ، فإذا هو يُريدُني على نَفْسِي، قالت: فقلت: كلا والذي نفسُ خُوَيْلة بيده لا تَخْلُصُ إليّ وقد قلتَ ما قلت حتى يحكمَ الله ورسولُه فينا بحكمه، قالت: فواثبني وامتنعتُ منه، فغلبتُه بما تغلِب به المرأة الشيخ الضعيف، فألقيْتُه عني، قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرتُ منها ثيابها ثم خرجتُ حتى جئتُ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فجلستُ بين يديه، فذكرت له ما لقيتُ منه، فجعلتُ أشكو إليه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ما ألقَى من سُوء خُلُقِه، قالت: فجعل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**يا خُوَيْلَةُ ابنُ عمّك شيخٌ كبيرٌ فاتّقي الله فيه**»، قالت: فوالله ما برِحتُ حتى نزل فيّ القرآن، فتغشّى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ما كان يتغشّاه، ثم سرّي عنه فقال لي: «**يا خُوَيْلَةُ قد أنزل الله فيك وفي صاحبك**»، ثم قرأ عليّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ إلى قوله: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فقال لي صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**مُريه فليُعْتِقْ رقبة**»، قالت: فقلت: والله يا رسول الله ما عنده ما يعتقه، قال: «**فليصم شهرين متتابعين**»، قالت: فقلت: والله يا رسول الله إنه شيخ كبير ما به من صيام، قال: «**فليُطْعِم ستّين مسكيناً وسقاً من تمر**»، قالت: فقلت: والله يا رسول الله ما ذاك عنده، قالت: فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**فإنا نستعينُه بعَرَقٍ من تَمْرٍ**»، قالت: فقلت: وأنا يا رسول الله سأُعِينُه بعَرَق آخر، قال:

«**قد أصبتِ وأحسنتِ فاذْهَبي فتصدّقي عنه، ثم استوصِ بابن عمّك خيراً**»، قالت: ففعلت.

رواه أحمد (٤١٠/٦، ٤١١)، وأبو داود (٢٢١٤، ٢٢١٥)، وابن حبان (١٠٧/١٠، ١٠٨)، وابن الجارود (٧٤٦)، والبيهقي (٢٩١/٧، ٢٩٢)، وابن إسحٰق صرّح بالتحديث، وفي الباب غير هذا، تأتي في الظهار إن شاء الله تعالى.

وفي الحديث بيان كالحديث السابق أن الآية نزلت بسبب خولة وأوس زوجها، وفي ذلك دليل على أن الظهار يُحرّمُ الزوجة، وأنها لا تحلّ حتى يُكفّر المُظاهرُ بِعِتْقِ رقبة أو إطعام ستّين مسكيناً أو صيام شهرين متتابعين، ويأتي مزيد لهذا في كتاب النكاح.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾ [٨]:

{٨٣١} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: دخل يهوديّ على النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: السام عليك، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**وعليك**»، فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: وعليك السامُ وغضبُ الله، قالت: فخرج اليهودي فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**يا عائشة إنّ الله تبارك وتعالى لا يحبُّ الفاحِشَ المُتَفَحّش**»، قالت: يا رسول الله أما تَذْري ما قال؟ قال: «**وما قال**»؟ قالت: قال: السام عليك فهو قوله: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾، قال: فخرج اليهودي وهو يقول بينه وبين نفسه فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾، وفي رواية: فقلت: بل عليكم السام واللعنة، قال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**يا عائشة إن الله يحبُّ الرِّفْقَ في الأمْرِ**

كلِّه»، قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله ألم تسمع ما قالوا؟ قال: «**قلت: عليكم**».

رواه البخاري (٦٩٢٧) في استتابة المرتدين، ومسلم في السلام (١٤٦/١٤، ١٤٧، ١٤٨)، والنسائي في الكبرى (٤٨٢/٦)، وابن ماجه (٣٦٩٨)، ورواه الشيخان أيضاً عن أنس وابن عمر رضي الله تعالى عنهم.

في الآية الكريمة والحديث الشريف بيان ما كان عليه اليهود الملاعن من المكر والنّفاق، فها هم يحيّون سيد الخلق صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، والمسلمين بما ظاهره تحية وسلام، وباطنه سبّ وشتم، فيفضحهم الله عزّ وجلّ ويكشف عوارهم وبوارهم عليهم لعائن الله المتوالية... وفي الحديث مشروعية الرِّفق والمعاملة بالتي هي أحسن حتى مع الكفار، وخاصة بالنسبة إلى الدعاة إلى الله تعالى؛ لأن الله عزّ وجلّ يعطي على الرّفق ما لا يعطي على العنف.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ﴾ [١١]:

{٨٣٢} ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**لا يُقِيمُ الرجلُ الرجلَ من مجلسِهِ فيجلسُ فيه، ولكن تَفَسَّحُوا وتوسّعوا**».

رواه أحمد (٨٩/٢، ١٢٦)، والبخاري في الجمعة وفي الاستئذان (٦٢٧٠)، ومسلم (٢١٧٧)، وأبو داود (٤٨٢٨)، والترمذي (٢٥٦٣) في الاستئذان.

الآية والحديث يدلاّن على أن الجالس لا يقام من مجلس ليجلس فيه غيره، لأن ذلك ينافي الأدب، ويمس بحرمة المؤمن ويُحرِجُه، والواجب في الأدب الإسلامي أن يتوسّعوا، وهو التفسّح المذكور في الآية، وفيه إشارة إلى فضل التوسّع، وأن ذلك يوجب التفسح في رحمة الله وجنّته.

قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [١١]:

{٨٣٣} ـ فيه حديث سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إن الله لَيرفَعُ بهذا القرآن أقواماً ويضعُ به آخرين**».

رواه أحمد ومسلم والدارمي وابن ماجه، وتقدم في فضائل القرآن.

ففي الآية والحديث فضل أهل العلم بالله وبأحكامه... وأن الله عزّ وجلّ يرفعهم درجات فوق غيرهم من سائر طبقات المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ [١٨]:

{٨٣٤} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان في ظل حُجْرَةٍ من حُجَرِه وعنده نفرٌ من المسلمين قد كاد يَقْلص عنهم الظلُّ، قال: فقال: «**إنه سيأتيكم إنسان ينظر إليكم بِعَيْنَيْ شَيْطان، فإذا أتاكُم فلا تكلِّمُوه**»، قال: فجاء رجل أزرقُ فدعاه رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فكلَّمه فقال: «**علام تَشْتُمُني أنت وفلانٌ وفلانٌ**» نفر دعاهم بأسمائهم، قال: فذهب الرجل فدعاهم فحلفوا بالله واعتذروا إليه، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾.

رواه أحمد (٢٤٠/١، ٢٦٧، ٣٥٠)، والحاكم (٤٨٢/٢) وصححه، وقد جاء من طرق صحيحة.

في الآية الكريمة بيان بعض صفات المنافقين وهو حلفهم على الكذب والبهتان، حتى أنهم سينافقون الله في الآخرة ويحلفون له أنهم كانوا مسلمين كما كانوا يحلفون للنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في غير ما مشهد كما في هذا الحديث.

وبهذا تمّت سورة المجادلة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه.

سورة الحشر

هي أربع وعشرون آية، وأهدافها بيان أحكام الجهاد والغنائم، وبالأخص ما يتعلق بغزوة بني النضير وما وقع فيها ونزل باليهود وما أخذه المسلمون من فيء، وما إلى ذلك من أحكام.

قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ [٥]:

{٨٣٥} ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: حَرَّق رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم نخلَ بني النَّضِير وقطعَ، وهي البُوَيْرة، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا﴾ الآية.

رواه أحمد (٦٠٥٤، ٦٢٥١)، والبخاري في المغازي وفي التفسير (٢٥٤/١٠)، ومسلم في الجهاد (١٧٤٦)، والترمذي في السير (١٤١٩) وفي التفسير (٣٠٨٥)، وأبو داود (٢٦١٥)، والنسائي في الكبرى (٤٨٣/٦)، وابن ماجه في الجهاد (٢٨٤٤)، وتأتي بقية في المغازي إن شاء الله تعالى.

{٨٣٦} ـ وعنه في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ إلخ، قال: اللينة: النخلة ﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ قال: استنزلوهم من حصونهم، قال: وأمروا بقطع النخل فحك في صدورهم فقال المسلمون: قد قطعنا بعضاً وتركنا بعضاً فلنسألنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم هل لنا فيما

قطعنا من أجر؟ وهل علينا فيما تركنا من وِزر؟ فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾ الآية.

رواه الترمذي في التفسير (٣٠٨٦)، والنسائي في الكبرى (٤٨٣/٦) بسند صحيح على شرط البخاري في طريق للترمذي.

البويرة بالتصغير: أرض ليهود بني النضير.

وفي الآية والحديث جواز تحريق أشجار الكفار... وقطعها عند محاربتهم ولا يعدّ ذلك من الإفساد، بل في ذلك أجر وثواب، فإن كل ما يغيظ الكفار ويحزنهم يكتب به للمسلمين أجر وثواب.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [٦ ـ ٧]:

{٨٣٧} ـ عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: كانت أموالُ بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يُوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب، فكان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يُنفق منها على أهلِه نفقةَ سنةٍ، وما بقي جعلَه في السلاح والكراع عُدةً في سبيل الله.

رواه البخاري في التفسير (٢٥٤/١٠) وفي الجهاد، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٥٧)، وأبو داود في الخراج (٢٩٦٥)، والترمذي في الجهاد (١٥٧٧)، والنسائي في الكبرى (٤٨٤/٦) وفي المجتبى.

{٨٣٨} ـ وعنه قال: سأخبركم بهذا الفيء إن الله تعالى خصّ نبيّه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بشيء لم يعطه غيره، فقال: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ

عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا﴾، فكانت هذه لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم خاصة، فوالله ما اختارها دونكم ولا استأثر بها عليكم، ولقد قسمها عليكم حتى بقي منها هذا المال، وكان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ينفق منه على أهله سنتهم، ثم يجعل ما بقي في مال الله عزّ وجلّ.

رواه البخاري في فرض الخمس (٣٠٩٤)، وفي المغازي (٤٠٣٣)، وفي الاعتصام (٧٣٠٥) وفي مواضع، ومسلم في الجهاد (١٧٥٧)، وأبو داود في الخراج (٢٩٦٣)، والترمذي في السير (١١٧٦)، والنسائي في المجتبى (٤١٤٨)، وفي الكبرى (٤٨٣/٦، ٤٨٤) مطوّلاً ومختصراً، ويأتي في المغازي وغيره.

الإيجاف: سرعة السير، والفَيْء: ما أخذ من الكفار بدون حرب ولا قتال، وكانت أموال بني النضير من هذا القبيل، ففرقها النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كما أمره الله عزّ وجلّ وخمسها على خمسة أسهم: سهم لله ولرسوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، ثم ذوي القربى، ثم اليتامى، ثم المساكين، ثم ابن السبيل... وهي مصاريف الغنائم والأنفال، وكان الخليفتان الراشدان أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما قد قاما بذلك أحسن قيام بعد النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، لكن الروافض أخزاهم الله أبوا إلا أن يجعلوا الخليفتين... ظالمين ظلما مولاتنا فاطمة والإمام عليّاً وسيدنا العباس رضي الله تعالى عنهم جميعاً. وحاشا الخليفتين أن يظلما قرابة رسول الله فهما أعرف بقدر آل البيت من الذين يرتزق بهم الرافضة اليوم قبحهم الله.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [٧]:

{٨٣٩} ـ عن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: لعن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم «**الواشِماتِ والمستوشمات، والمتَفَلِّجاتِ للحُسْن، المُغَيِّرَاتِ خلقَ الله**»، قال: فبلغ ذلك امرأة من بني أسدٍ يقال لها: أم يعقوب كانت تقرأ القرآن، فأتته فقالت: ما حديثٌ بلغني عنك أنك لعنت

الواشمات والمستوشمات والمُتَنَمِّصَات والمُتفلجات للحسن المغيّرات خلق الله، فقال عبدالله: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو في كتاب الله، قالت المرأة: لقد قرأت القرآن ما بين لوحي المصحف فما وجدته، قال: والله إن كنت قرأتيه لقد وجدتيه ثم قال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾، قال: قالت المرأة: فإني أرى شيئاً من هذا على امرأتك، قال: فاذهبي فانظري، قال: فدخلت على امرأة عبدالله فلم تر شيئاً، فجاءت إليه فقالت: ما رأيت شيئاً، فقال: أما لو كان ذلك لم نجامعها. وفي رواية: لو رأيت شيئاً من ذلك ما صحبتُني.

رواه أحمد (٤٣٣/١، ٤٣٤، ٤٤٣)، والبخاري في التفسير (٢٥٤/١٠، ٢٥٥) وفي اللباس (٥٩٤٣، ٥٩٤٨)، ومسلم في اللباس (٢١٢٥)، والترمذي في الأدب (٢٥٩٣)، والنسائي في الكبرى (٤٨٥/٦) وفي الزينة من المجتبى.

{٨٤٠} ـ وعن ابن عمر وابن عباس رضي الله تعالى عنهم أنهما شهدا على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه نهى عن الدباء، والحنتم، والنقير، والمزفّت، ثم تلا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم هذه الآية: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾.

رواه مسلم في الأشربة (١٩٩٧)، وأبو داود (٢٦٩٠)، والنسائي في الكبرى (٤٨٤/٦) وفي المجتبى.

{٨٤١} ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**ذَرُوني ما تَرَكْتُكُمْ، فإنَّما هلكَ مَن كانَ قَبلَكم بكَثْرَة سؤالهم واختلافِهم على أنبيائهم، ما نَهَيْتُكم عنه فانْتَهُوا، وما أَمَرْتُكم به فأْتُوا منه ما استطعتم**».

رواه أحمد (٢٤٧/٢، ٢٥٨، ٤٢٨، ٥١٧)، والبخاري في الاعتصام (٧٢٨٨)، ومسلم في الحج (١٣٣٧)، وفي الفضائل (١٠٩/١٥، ١١٠)، والترمذي في العلم (٢٤٩٣)، وابن ماجه (٢/١).

في الآية الكريمة وما ذكر من الأحاديث دليل على وجوب اتباع ما جاء به رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من أقواله أمراً ونهياً وخبراً، ومن أفعاله ابتداء أو بياناً للقول، وفي تقريراته فإنه لا يقرّ على منكر أبداً، وكل هذا لا خلاف فيه بين علماء الإسلام إن صح ذلك عنه. واختلفوا فيما تركه وسكت عنه، والصحيح أنه من المعفوات لحديث: «**وسكت عن أشياء رحمةً بكم فلا تسألوا عنها**». ومن الجهل الفاضح قصر بعض المحاضرين والكتّاب الآية الكريمة على سببها من قَضِيَّة الفيء، وهذا جهل سافر وقول في الدين بالرأي والهوى، فإننا لو قصرنا القرآن على خصوص الأسباب لما بقي معنا من الدين إلا النزر، فالعبرة بالعموم، وباقي أبحاث الأحاديث تأتي في مواضعها إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [٨ ـ ٩]:

{٨٤٢} ـ عن عمرو بن ميمون رحمه الله تعالى قال: أوصى عُمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال: أوصِي الخليفةَ من بعدي بتقوى الله تعالى وأوصيه بالمهاجرين الأولين ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ الآية، أن يعرف لهم هجرتهم ويعرف لهم فضلهم، وأوصيه بالأنصار ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الآية، أن يعرف لهم فضلهم وأن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم، وأوصيه بأهل ذمة محمد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أن يوفي لهم بعهدهم، وأن لا يحمل عليهم فوق طاقتهم، وأن يقاتل عدوّهم من ورائهم.

رواه البخاري في التفسير (٢٥٥/١٠) وفي مواضع، والنسائي في الكبرى (٤٨٥/٦).

في الآية الكريمة إشادة بفضل المهاجرين والأنصار، ولذا جاءت الوصية بهم في السنّة، وعلى لسان أمير المؤمنين سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [٩]:

{٨٤٣} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: دعا النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم الأنصار أن يَقْطعَ لهم البَحْرَيْن، قالوا: لا، إلا أن تَقطعَ لإخواننا من المهاجرين مثلها، قال: «**أما لا فاصبِرُوا حتى تَلْقَوْني فإنه سيُصِيبُكم أثَرَةٌ**»، وفي رواية لأبي هريرة: قالت الأنصار: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قالوا: لا، فقالوا: أتكفونا المؤونة ونشرككم في التمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا.

رواه أحمد (٣/١١١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤)، والبخاري في المساقاة (٢٣٧٦) وفي المناقب (٣٧٩٤)، والحميدي (١١٩٥)، والطيالسي (١٩٦٩)، والبيهقي (٦/١٤٣، ١٤٤).

ورواه البخاري في المزارعة (٥/٤٠٥)، وفي المناقب (٨/١١٤) من حديث أبي هريرة. هكذا كان المسلمون أيام النبوّة يحب أحدُهم ما يُحِبُّ لأخيه، ويأتي الكلام على الحديث في المناقب إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [٩]:

{٨٤٤} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رجلاً من الأنصار بات عنده ضَيْفٌ فلم يكن عنده إلا قوتُ صِبْيانِه، فقال لامرأته: نَوِّمِي الصِّبْيَة وأَطْفِئي السِّراجَ وقَرِّبي للضيف ما عندك، فنزلت: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية.

رواه البخاري في التفسير (١٠/٢٥٦، ٢٥٧) وفي المناقب، ومسلم في الأشربة (٢٠٥٤)، والترمذي في التفسير (٢٠٨٧)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٨٦) هكذا مختصراً، وهو مطوّل عند البخاري وغيره، ويأتي إن شاء الله في فضائل الأنصار.

الإيثار: هو تقديم الغير على النفس وتفضيله، والخصاصة: الفقر والحاجة، وما فعله هذا الصحابي لضيفه هو غاية في الإيثار، ونهاية في كرم النفس وحسن الضيافة إذ بات طاوياً هو وزوجه وأطفاله ليُشبع ضَيْفَه، وتأتي قصة ما وقع لجماعة من الصحابة في غزوة اليرموك في المناقب إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ الآية [١٨]:

{٨٤٥} ـ عن جرير بن عبدالله رضي الله تعالى عنهما قال: كُنّا عند رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في صدر النهار، قال: فجاء قوم حفاة عراة مجتابي النِّمار أو العباء، متقلّدي السيوف عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر فتمعّر وجه رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لما رأى ما بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذّن وأقام فصلّى ثم خطب، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إلى آخر الآية، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾، والآية التي في الحشر: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، تصدَّق رجلٌ من دِينارِهِ، من دِرْهَمِهِ، من ثَوْبِهِ، من صاع بُرِّه، من صاع تَمْره، حتى قال: «**ولو بشقّ تمرة**»، قال: فجاء رجل من الأنصار بصُرَّة كادت كفُّه تَعْجِزُ عنها، بل قد عَجَزَتْ، قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كَوْمَيْنِ من طعام وثياب، حتى رأيت وَجْهَ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يتهلّل كأنه مُذْهَبة، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**من سنّ في الإسلام سُنّةً حسنةً فله أجْرُها وأجْرُ من عَمِل بها بعدَه من غير أن يَنْقُص من أجورهم شيءٌ، ومن سنَّ في الإسلام سُنّةً سيّئة كان عليه وزرُها ووِزْرُ من عمل من بعده من غير أن يَنْقُصَ من أوْزارِهِم شيءٌ**».

رواه الطيالسي (٦٧٠)، وأحمد (٤/٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩)، ومسلم في الزكاة (٧/١٠٢، ١٠٣، ١٠٤)، والترمذي في العلم (٢٤٨٩)، وابن ماجه في المقدمة (٢٠٣).

مجتابي أي: لابسي النمار جمع نمرة وهي العباءة، فتمعّر - بتشديد العين المفتوحة - أي: تغيّر، كومين: تثنية كوم بالضم والفتح وهو الصبرة العظيمة، يتهلّل أي: يستنير كالهلال فرحاً وسروراً، مذهبة - بضمّ الميم ثم ذال معجمة ساكنة ثم هاء مفتوحة - ومعناه: كأنه فضّة مذهبة في حس الوجه وإشراقه.

والآية الكريمة جاءت تنبّه المسلم على التيقّظ ومحاسبة النفس والاستعداد للآخرة. وأبحاث الحديث تقدمت في كتاب العلم.

وبه تمّت سورة الحشر، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة الممتحنة

وهي ثلاث عشرة آية، وهدفها الرئيسي النهي عن اتّخاذ الأعداء أولياء وأصحاباً تلقى إليهم المودة ويحتفىٰ بهم، ثم ذكر امتحان النساء المهاجرات ثم مبايعتهن.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ الآية [١]:

{٨٤٦} - عن عليّ رضي الله تعالى عنه قال: بعَثَنا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أنا والزُّبير والمقدادُ وقال: «**انطلقوا حتى تأتُوا روضةَ خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها**»، فذهبنا تُهَادي بنا خَيْلُنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخْرِجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتُخْرِجنَّ الكتابَ أو لتُلقينّ الثياب فأخرجَتْه من عِقاصِها، فأتينا به النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين ممن بمكّة يخبرهم ببعض أمر النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**ما هذا يا حاطب**»؟ قال: لا تَعْجَل عليَّ يا رسول الله إني كنتُ امرأً من قريش ولم أكن من أنفسُهِم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يَحْمُون بها أهلَهم وأموالهم بمكة، فأحببتُ إذْ فاتني من النسب فيهم أن أصطنع إليهم يَداً يَحْمُون قرابتي، وما فعلتُ ذلك كفراً ولا ارتداداً عن دِيني، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إنه قد صَدَقكم**»، فقال عمر رضي الله

تعالى عنه: دَعْني يا رسول الله فأضْرِب عنقَه، فقال: «**إنه شَهِد بَدْراً، وما يُدْرِيك لعلّ الله اطلع على أهل بدر فقال: اعْمَلوا ما شِئْتُمْ فقد غفرتُ لكم**».

رواه البخاري في التفسير (١٠/٢٥٨، ٢٥٩) وفي الجهاد (٣٠٠٧) وفي المغازي (٤٢٧٤)، ومسلم في الفضائل (٢٤٩٤)، وأبو داود في الجهاد (٢٦٥٠)، والترمذي في التفسير (٣٠٨٨)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٨٧).

الظغينة: تطلق على المرأة في الهودج، وتقال للمرأة نفسها أو للهودج، وقوله: عقاصها أي: ضفيرتها.

وفي الحديث فضل أهل بدر وأنهم مغفور لهم مَرْضِيٌّ عنهم لا تَضُرُّهم أيُّ جِناية.

وفي الآية الكريمة النهي عن اتخاذ الكفار أولياء والتحذير من إطلاعهم على أسرار المسلمين، وفي قول الإمام علي لتلك المرأة: لتخرجنّ أو لنلقينّ الثياب جواز تفتيش المرأة إذا شكّ فيها... ولو بتجريدها من ثيابها.

قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [٨]:

{٨٤٧} - عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما قالت: قدمتْ أمّي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا، فأتيت النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقلت: يا رسول الله إن أمّي قد قدمت وهي راغبة أفأصِلُها؟ قال: «**نعم صِلي أمّك**».

رواه أحمد (٦/٣٤٤، ٣٤٧)، والبخاري في الأدب (١٣/١٧)، ومسلم في الزكاة (٧/٨٩)، وعند البخاري: فأنزل الله تعالى فيها: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾.

في الآية والحديث مشروعية الإحسان إلى المشركين الموادعين للمسلمين والبرور بهم والعدل بينهم. وقيل ذلك هو خاص بالنساء والأطفال

كما في الحديث البرور بالوالدين، وإن كانوا مشركين وأنه لا بأس بدخولهم لبيت المسلم، كما فيه جواز قبول هداياهم المباحة لنا.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [١٠]:

سيأتي حديث المسور أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاءه نساء من المؤمنات بعد أن رجع إلى المدينة، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية.

كان في المعاهدة بين النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وبين قريش أن من جاءهم من المؤمنين ردّوهم إليهم فجاءه نساء، فأنزل الله الآية واستثنى النساء ونهاهم أن يردّوهم إلى الكفار؛ لأنهنّ لم يكن في العهد، وأمر الله تعالى نبيّه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أن يمتحن كل امرأة جاءته مهاجرة أنها ما خرجت إلا رغبة في الله وفي رسوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [١٢]:

{٨٤٨} - عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، قالت عائشة: فمن أقرّ بهذا الشرط من المؤمنات، قال لها رسول الله

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**قد بايَعتك**» كلاماً لا والله ما مست يدُه يد امرأةٍ قط في المبايعة ما بايعهنّ إلا بقوله: «**قد بايعتكن على ذلك**».

رواه البخاري في التفسير (١٠/٢٦١)، ومسلم في الإمارة (١٣/١٠)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٨٨)، وابن ماجه في الجهاد (٢٨٧٥).

{٨٤٩} ـ وعن أمّ عطية رضي الله تعالى عنها قالت: بايَعْنا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقرأ علينا: ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾، ونهانا عن النياحة، فقبضتْ امرأةٌ يدَها فقالت: أسْعَدَتْني فلانةُ أريد أن أجْزِيَها، فما قال لها النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم شيئاً فانطلقتْ ورجعتْ فبايَعها، وفي رواية: فقلت: إلا آل فلان، فإنهم قد كانوا أسْعَدُوني في الجاهلية، فلا بدّ لي من أن أسعدهم، قال: «**إلا آل فلان**».

رواه البخاري في التفسير (١٠/٢٦٢) وغيره، ومسلم في الجنائز (٩٣٦)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٨٨)، ونحوه عن أم سلمة رواه الترمذي (٣٠٩٠)، وفيه ما هو المعروف الذي لا ينبغي أن نعصيك فيه، قال: «**لا تَنُحْنَ...**» وسنده صحيح.

{٨٥٠} ـ وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: شهِدتُ الصلاةَ يومَ الفطر مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان، فكلّهم يصلّيها قبل الخطبة ثم يخطب بعد، فنزل نبيّ الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فكأنّي أنظر إليه حين يُجْلِس الرجال بيَدِهِ ثم أقبل يَشُقّهم حتى أتى النساء مع بلال، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ حتى فرغ من الآية كلها، ثم قال حين فرغ: «**أنْتُنَّ على ذلك؟**»، وقالت امرأة واحدة لم يجبه غيرها: نعم يا رسول الله.

رواه البخاري في التفسير (١٠/٢٦٥)، ومسلم في العيدين (٦/١٧١، ١٧٢، ١٧٣)، وتقدم في كتاب الإيمان حديث عبادة بن الصامت، وحديث أُمَيْمَة بنت رقيقة كما تقدم في العيدين حديث ابن عباس بسياق آخر.

وفي هذه الأحاديث بيان للمبايعة التي بايع فيها النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم النساء، وهي التي نزلت فيها الآية، وعلى هذه الخصال بايع صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم الرجال كما تقدم في حديث عبادة، وفي حديث عائشة دليل على أنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يكن يصافح النساء في المبايعة كما كان يفعلُ مع الرجال؛ لأن مسّ المرأة الأجنبية ممنوع، بل يعتبر زنى باليد كما تقدم في حديث أبي هريرة: «**واليدان تزنيان**»، ولذلك قالت مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها: لا والله ما مسّت يدُه يدَ امرأة قط... إلخ.

وبهذا تمّت سورة الممتحنة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة الصف

هي أربع عشرة آية، وموضوعها ذكر الجهاد والتضحية بالنفس في سبيل الله ونصر دينه، وبيان التجارة الرابحة.

قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ إلى آخر السورة:

{٨٥١} ـ عن عبدالله بن سَلاَم رضي الله تعالى عنه قال: قعدنا نفراً من أصحاب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فتذاكرنا، فقلنا: لو نَعلمُ أيّ الأعمالِ أحبُّ إلى الله تعالى لعملناه، فأنزل الله تعالى عزّ وجلّ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ إلى آخرها.

رواه أحمد (٤٥٢/٥)، والترمذي (٣٠٩١)، والحاكم (٢٢٨/٢، ٢٢٩، ٤٨٧) وسنده صحيح، وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي، وقال البوصيري في الإتحاف بعد أن عزاه لأبي يعلى: رواته ثقات، وكذا صححه الحافظ، وهذا الحديث من المسلسلات الصحيحة التي قلّ نظيرها. وفي الحديث ما كان عليه الصحابة من تمنّي الخير والعمل بالأفضل، لكن الله تعالى أنكر عليهم ما تمنّوه لتقصيرهم في القيام بما يجب القيام به.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [٤]:

{٨٥٢} ـ عن كعب الأحبار رحمه الله قال: نجد مكتوباً: محمد

رسول الله لا فظّ، ولا غليظ، ولا صخّاب بالأسواق، ولا يجزي بالسيّئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، وأمته الحمّادون، ويكبّرون الله عزّ وجلّ على كل نجْدٍ، ويَحْمَدُونه في كل منزلة، ويأتزِرون على أنصافهم، ويَتَوَضَّؤُونَ على أطرافهم، مُنادِيهم يُنادي في جوّ السماء، صفُّهم في القتال وصفُّهم في الصلاة سواء، لهم باللّيل دَوِيٌّ كدَوِيّ النحل، ومولِدُه بمكّة، ومُهاجَرُه بِطيبة، ومُلْكه بالشام.

رواه الدارمي في أول سننه رقم (٥) بسند صحيح، ورواه من طريقين آخرين (٨/٧) بنحوه وأحدهما سنده حسن. كلام كعب هذا منقول من التوراة، وهو ثقة مصدق خلافاً لمن طعن فيه ظلماً، وفيه صفات النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وصفات أُمّته التي منها أنهم يصفون في الصلاة والقتال وهو موافق لمضمون الآية الكريمة. والآية تدلّ على أن الله عزّ وجلّ يرضى من عباده اصطفافهم أمام الْعَدُوّ عند القتال ملتصقين إلى بعضهم، كأنهم البنيان الثابت، فلا يَفرّون ولا يجبنون ولا يضعفون وأن فاعلي ذلك محبوبون عنده تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [٥]:

{٨٥٣} ـ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قسم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قِسْمةً، فقال رجل من الأنصار: والله ما أراد محمد بهذا وجه الله، فأتيت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فأخبرته فتَمَعَّرَ وجهُه، وقال: **«رحم الله مُوسى لقد أُوذي أكثر من هذا فصبَر»**.

رواه البخاري في الأدب (٨٦/١٣، ١٢٦) وفي المغازي وفي الاستئذان، والحميدي (١١٠)، وكذا أحمد (٣٨٠/١، ٤٣٥، ٤٥٣).

في الآية الكريمة لفت أنظار المؤمنين من هذه الأُمّة، وتحذيرهم من أن ينالوا من النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أو يؤذوه بأيّ نوع من

أنواع الإذايات، وقد آذاه المنافقون فصبر وصفح عنهم، ولا أدلّ على ذلك من حديث الباب، فإن نسبته إلى الظلم في القسمة أذى أي أذى، ولكنه ذكر أخاه موسى وما لاقى من اليهود فاقتدى به في صبره وإعراضه عن الجاهلين وضعفاء الإيمان.

قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [٦]:

فيه حديث العرباض بن سارية: «**إني عند الله خاتم النبيّين...**»، وفيه: «**وبشارة عيسى**»، رواه أحمد والبخاري في التاريخ وابن حبان والحاكم وغيرهم وصححه غير واحد، وقد تقدم في سورة البقرة، ويأتي في السيرة النبوية إن شاء الله تعالى. في الآية والحديث إخبار ببشارة روح الله عيسى عليه السلام بنبيّنا صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

قوله تعالى: ﴿فَآمَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَٰءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ **إلخ** [١٤]:

{٨٥٤} - عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما أراد الله عزّ وجلّ أن يرفع عيسى عليه السلام إلى السماء خرج على أصحابه وهم في بيتٍ اثنا عشرَ رجلاً ورأسُه يقْطُرُ ماء، فقال: أيُكم يُلْقَى شَبَهي عليه فيُقتلُ مكاني فيكون مَعِي في درجتي، فقام شابٌ من أحدَثهم سِنّاً، فقال: أنا، فقال: اجْلِسْ ثم أعاد عليهم، فقام الشاب فقال: أنا، فقال: اجلس، ثم أعاد عليهم الثالثة، فقال الشاب: أنا، فقال عيسى عليه السلام: نعم أنت، فألقي عليه شبه عيسى، ثم رُفع عيسى من رَوْزَنَةٍ كانت في البيت إلى السماء، وجاء الطلب من اليهود، فأخذوا الشابّ للشَّبَه فقَتَلُوه ثم صلبوه، فتفرقوا ثلاث فرق، فقالت فرقة: كان فينا الله عزّ وجلّ ما شاء الله ثم صعد إلى السماء، وهؤلاء اليعقوبية. وقالت فرقة: كان فينا ابنُ الله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء النسطورية. وقالت طائفة: كان فينا عبدُ الله ورسولُه ما شاء الله ثم رفعه، فهؤلاء المسلمون، فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها، فلم يزل الإسلام طامساً حتى بعثَ الله محمداً صلّى الله تعالى عليه

وآله وسلم فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿فَآمَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَٰءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ يعني: الطائفة التي كفرت في زمان عيسى عليه السلام والطائفة التي آمنت في زمان عيسى عليه السلام: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَٰهِرِينَ﴾.

رواه النسائي في الكبرى (٦/٤٨٩، ٤٩٠)، وابن جرير (٢٨/٩٢) وسنده صحيح، والمنهال بن عمرو لا يضرّهُ من تكلم فيه، فإنه من رجال البخاري.

قوله: ثم رفع من روزنة، على وزن رونقة: هي خرق في سقف البيت، ورفع سيدنا عيسى عليه السلام إلى السماء مقطوعٌ به صرح به القرآن، وتواترت الأخبار بنزوله آخر الزمان وكونه شبّه على اليهود الذين أرادوا قتله هو نص القرآن أيضاً، وهذا الأثر يرفع النزاع الذي طالما حصل بين المفسّرين في الذي أُلْقِيَ عليه الشبه وصلب، وأنه الشاب أحد أصحابه من الحواريين، وفيه أن أمهات فرق النصارى هي ثلاثة، إحداها: مسلمة والباقيتان كافرتان، ثم كثرت فرقهم بعد ذلك وتشعبت. وبهذا تمّت سورة الصف، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وصحبه وحزبه.

سورة الجمعة

هي إحدى عشرة آية، وأهم أهدافها النعمة العظمى ببعثة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الآميين وآخرين لما يلحق قوم بهم وهم العجم وغيرهم ثم ذكر الجمعة والسعي إليها.

قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ [٣]:

{٨٥٥} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كنّا جلوساً عند النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إذ نزلت سورة الجمعة، فلما قرأ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾، قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأل ثلاثاً، وفينا سلمان الفارسي وضع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يده على سلمان، ثم قال: «**لو كان الإيمانُ عِند الثُّريا لنالَه رجالٌ أو رجلٌ من هؤلاء**»، وفي رواية: «**والذي نفسي بيده لو كان الإيمان عند الثريا لذهب رجال من أبناء فارس حتى يَتَنَاوَلُوهُ**».

رواه أحمد (٤١٧/٢)، والبخاري في التفسير (٢٦٧/١٠، ٢١٨)، ومسلم في الفضائل (٢٥٤٦)، والترمذي في التفسير (٣٠٩٧) وفي الفضائل (٣٦٩٧)، والنسائي في الكبرى (٧٦/٥)، وابن حبان (٢٥٨/١٦).

أما حديث: «لو كان العلم بالثريا»، رواه ابن حبان وغيره فضعيف.

في الآية والحديث معجزة غيبية ظاهرة حيث أخبر تعالى بقوم يأتون بعد الصحابة يؤمنون بالنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وقد عيّنهم الحديث الشريف، وأنهم ناس من أبناء فارس ورجال العجم، أوْكُد من صدق النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من غير العرب الأميّين.

وفي الحديث فضل مؤمني العجم، وحرصهم على الإيمان والعمل بمقتضاه، والحديث صدقه الواقع فإن للعجم أيادي في خدمة دين الإسلام وعلومه، ويكفي في ذلك أن يكون أكثر حفّاظ الحديث وأصحاب الأُمّهات المشهورة من العجم؛ فالبخاري عجمي، ومسلم عجمي، وأبو داود عجمي، والترمذي عجمي، وابن ماجه عجمي، والنسائي عجمي... وغيرهم كثير، وهكذا شأنُهم في التفسير والعلوم العربية واللغة والأدب، والتصوّف، فالعجم لهم شأن عظيم في خدمة الإسلام والتمسّك به، وقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ أي: لم يأتوا بعد أو لم يلحقوهم في الفضل والسابقة، وذلك كلّه فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾ [٧]:

تقدم حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**ولو أن اليهود تمنّوا الموت لماتوا، ولرأوا مقاعدهم من النار**».

رواه أحمد وغيره بسند صحيح انظر ما سبق في سورة البقرة آية (٩٥)، فقد ذكر هنالك مطوّلاً:

كان اليهود الملاعين يدَّعون أن الآخرة خاصة بهم دون سائر الأُمم، فأكذبهم الله تعالى بما ذكر هنا وفي سورة البقرة...

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩﴾ [٩]:

تقدم حديث السائب بن يزيد في أذان الجمعة، وأنه كان واحداً، مع حديث أبي هريرة في فضل روّاد الجمعة، انظر ذلك في كتاب الجمعة مع أحاديث أخرى.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [١١]:

{٨٥٦} ـ عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كنّا مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في الجمعة فمرّت عير تحمل الطعام، فخرج الناس إلا اثني عشر رجلاً، فنزلت الآية. وفي رواية: بينما النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يخطب يوم الجمعة قائماً إذ قدمت عير المدينة فابتدرها أصحاب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حتى لم يبق منهم إلا اثنا عشر رجلاً فيهم أبو بكر وعمر.

رواه البخاري في الجمعة (٩٣٦) وفي البيوع وفي التفسير (٢٦٨/١٠)، ومسلم في الجمعة (٨٦٣)، والترمذي في التفسير (٣٠٩٣)، والنسائي في الكبرى (٤٩٠/٦)، وفي الجمعة من المجتبى.

العِير ـ بكسر العين ـ: هي الإبل التي تحمل التجارة والميرة، واللهو في الآية: هو الضرب في الطبل الذي كانوا يضربون فيه عند قدوم تجارة إعلاماً للناس بذلك.

وهذه الحادثة كانت خطيرة على من انفضّ عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو يخطب، لولا أن الله عزّ وجلّ عفا عنهم وغفر لهم لكونهم لم يكونوا يعلمون أن ذلك محرم.

وبهذا تمّت سورة الجمعة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة المنافقون

وهي إحدى عشرة آية، وهي تعنى بذكر المنافقين وصفاتهم والكشف عن كذبهم وبيان مقالاتهم حول الرسول صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ إلخ:

{٨٥٧} ـ عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع عمي فسمعت عبدالله بن أُبيّ بن سلول يقول لأصحابه: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ و﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾، فذكرتُ ذلك لعمي فذكر ذلك عمر للنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فدعاني النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فحدّثته، فأرسل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى عبدالله بن أُبي وأصحابه فحلَفُوا ما قالوا، فكذَّبَني رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وصدّقه، فأصابني شيء لم يصبني شيء قط مثله، فجلستُ في البيت، فقال لي عمي: ما أردتَ إلا أن كَذَّبَك رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ فبعث إليّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقرأها ثم قال: «**إن الله قد صدّقك**».

رواه البخاري في التفسير (٢٦٩/١٠، ٢٧٣) من طرق، ومسلم في

كتاب صفات المنافقين (١٢٠/١٧) وغيرهما، ويأتي مع حديث جابر في المغازي إن شاء الله تعالى.

في الحديث بيان سبب نزول هذه السورة التي جاءت تكشف عن بواطن المنافقين وتفضحهم وتسجل عليهم الكذب والمكر والخيانة والطعن في الرسول الأعظم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

وبه تم الكلام على سورة المنافقون، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة التغابن

آياتها ثمان عشرة، وهي وإن كانت مدنية، فروحها روح السور المكّية كما يظهر متجلّياً فيها.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن﴾ إلخ [١٤]:

{٨٥٨} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وسأله رجل عن هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾ إلخ، قال: هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فلما أتوا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ورأوا الناس قد فقهوا في الدين هموا يعاقبونهم، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ إلخ.

رواه الترمذي (٣٠٩٩)، وابن جرير (١٢٤/٢٨، ١٢٥)، وابن أبي حاتم (٣٣٥٨/١٠)، والحاكم (٤٩٠/٢) وحسّنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وهو عند الترمذي صحيح على شرط مسلم.

الأزواج والأولاد كثيراً ما يكونون سبباً في خسارة الإنسان وشقاوته عياذاً بالله تعالى إذا هو أطاعهم فيما يَهوون، فإنهم بالطبع لا يحبون الجهاد في سبيل الله، ولا يرضون منه أن يتصدّق ويواسي المحتاجين، ولا يتركونه يخرج

للدعوة إلى الله تعالى أو الهجرة إلى بلد يقيم فيه دينه، وبذلك يكونون له أعداء وقد يعادونه لأسباب تافهة دنيوية محضة، فيجب عليه أن يكون على حذرٍ منهم، ألهمنا الله وإياهم رشدنا وحفظنا وإياهم من شرور أنفسنا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [١٥]:

{٨٥٩} ـ عن بريدة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يخطبُ فجاء الحَسَنُ والحُسَيْنُ عليهما السلام عليهما قميصان أحْمَرانِ يمشيان ويَعْثُران، فنزل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه، قال: «**صدق الله ورسوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾**»، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعتُ حديثي فرفعتهما.

رواه أحمد (٣٥٤/٥)، وأبو داود (١١٠٩)، والترمذي في المناقب (٣٥٤٦)، والنسائي في الجمعة (١٠٨/٣) وفي الكبرى (٥٣٥/١، ٥٥١)، وابن ماجه (٣٦٠٠)، وابن خزيمة (١٠٨٢)، وابن حبان (٢٢٣٠) بالموارد، والحاكم (٢٨٧/١)، وهو حسن صحيح وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

الآية والحديث يدلاّن على ما ابتلي به الإنسان في هذه الحياة من الفتنة العظيمة والمحنة الشديدة بالأموال والأولاد.

قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [١٦]:

فيه حديث أبي هريرة مرفوعاً: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»، رواه الشيخان، وانظر ما سبق في سورة الحشر آية (٧)، فهناك تخريجه ولفظه ومعناه.

الآية والحديث فيهما تقييد ما أطلق في القرآن والسنّة من التقوى بالاستطاعة، فالحمد لله على رحمته ولطفه بنا وإحسانه إلينا.

وبهذا تمّت سورة التغابن، والحمد لله التي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وحزبه.

سورة الطلاق

هي اثنتا عشرة آية، وأهدافها بيان أحكام الزوجين من الطلاق والرجعة والعدة والنفقة.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [١]:

{٨٦٠} ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه طلّق امرأة له وهي حائض، فذكر ذلك عمر لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فتَغَيَّظ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، ثم قال: «**ليُراجعها ثم يُمْسِكْها حتى تَطهُر ثم تحيضَ فتطهرَ، فإن بدا له أن يُطلّقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمَسَّها فتلك العدة التي أمر الله عزّ وجلّ أن يُطلّق لها النساء**»، وفي رواية: قال ابن عمر: وقرأ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾، وفي رواية: «**مُرْه فليُراجِعْها ثم ليطلقها طاهراً أو حاملاً**».

رواه أحمد (٢٦/٢، ٤٣، ٥٤)، والبخاري (٢٦١/١١، ٢٦٦)، ومسلم (٥٩/١٠، ٦٩)، وأهل السنن وغيرهم مختصراً، ويأتي مبسوطاً في كتاب النكاح إن شاء الله تعالى.

والآية مع الحديث يدلاّن على أن الطلاق المشروع لا يكون إلاّ عند حصول حمل أو مع طهر لم يقربها فيه، وهذا هو الطلاق السني، وسيأتي مبسوطاً في النكاح.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [٢]:

{٨٦١} ـ عن أبي ذرّ رضي الله تعالى عنه قال: جعل النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يتلو هذه الآية: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ الآية، ثم قال: **«يا أبا ذرّ لو أن الناس كلّهم أخذوا بها لكفتهم»**.

رواه أحمد (١٧٨/٥)، والنسائي في الكبرى (٤٩٤/٦)، وابن ماجه (٤٢٢)، وابن حبان (٥٣/١٥) بالإحسان، وسنده صحيح لولا انقطاعه لكن له طريقاً آخر رواه أحمد (١٤٤/٥ و٤٥٧/٦) مطوّلاً، وشهر بن حوشب تكلّم فيه بلا حجّة كما قال النووي، فالحديث قوي بطريقيه.

الآية مع الحديث يدلاّن على أن من تحقّق بهذه الآية وعمل بمقتضاها فاتّقى الله عزّ وجلّ وتوكل عليه كفاه الله ما أهمّه وأتاه برزقه من حيث لا يدري، وذلك يدلّ على أن التقوى من أسباب الرزق، لأن الأسباب لا تنحصر في الأسباب الظاهرة العادية، فالإقبال على العبادة أو الانقطاع للاشتغال بالعلم الديني بإخلاص، كل ذلك من أسباب الرزق.

قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [٤]:

{٨٦٢} ـ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: إنّ سُورة النساء القُصْرَى نزلت بعد البقرة: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾.

رواه أبو داود (٢٣٠٧)، والنسائي في الطلاق من المجتبى، وفي التفسير من الكبرى (٤٩٤/٦)، وابن ماجه (٢٠٣٠)، والبيهقي (٤٣٠/٧) وسنده صحيح.

{٨٦٣} ـ وعن المسور بن مخرمة رضي الله تعالى عنه أن سُبَيْعة الأسلميّة نُفِسَت بعد وفاة زوجها بليال، فجاءت النبيّ صلّى الله تعالى

عليه وآله وسلم فاستأذنته أن تنكح فأذن لها، فنكحت.

رواه البخاري في الطلاق (٥٣٢٠)، وفي الباب غير هذا، تأتي في النكاح إن شاء الله تعالى.

سورة النساء القصرى هي سورة الطلاق، لأنها ذكرت أحكام النساء وجاءت بعد سورة البقرة التي فيها عدة الوفاة أربعة أشهر وعشر، وعدة الطلاق ثلاثة قروء... فجاءت هذه السورة تخبر بأن عدة الحامل هي وضعها ونفاسها مطلقاً.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [١٢]:

{٨٦٤} ـ عن أبي سلمة بن عبدالرحمٰن رحمه الله تعالى أنه كان بينه وبين أناس خصومة، فذكر لعائشة رضي الله تعالى عنها، فقالت له: يا أبا سلمة اجتنب الأرض، فإن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«من ظَلَم قِيدَ شِبْرٍ من الأرض طُوِّقَهُ من سبع أرَضين»**.

رواه أحمد (٦٤/٦، ٧٩، ٢٥٢، ٢٥٩)، والبخاري في المظالم (٣٠/٦) وفي بدء الخلق (١٠٣/٧)، ومسلم في تحريم الظلم من البيوع (٥٠/١١).

{٨٦٥} ـ وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقّه خُسِفَ به يوم القيامة إلى سبع أرضين»**.

رواه أحمد (٩١/٢)، والبخاري في المظالم (٣٠/٦) وفي بدء الخلق (١٠٣/٧) وغيره، وفي الباب أحاديث سيأتي بعضها في المظالم وغيره إن شاء الله تعالى.

قوله: قيد شبر ـ بكسر القاف ـ أي: قدر شبر، يقال: قيد وقاد وقيس وقاس بمعنى واحد، وقوله: طوّقه ـ بضم الطاء وكسر الواو المشدّدة ـ أي: جعل ذلك في عنقه كالطوق.

والآية الكريمة صريحة كالحديثين في أن الأرضين سبع كالسمٰوات، وجاء صريح القرآن بأن السمٰوات طباق، وهكذا جاء في السنّة الصحيحة في أحاديث الإسراء والمعراج، يبقى الأمر بعد هذا في الأرضين، فصريح القرآن أنها مثل السمٰوات مطلقاً في العدد والطّباق، وبهذا قال أكثر العلماء. قال النووي في شرح مسلم (٤٨/١١): هذا تصريح بأن الأرضين سبع طبقات، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾. وأما تأويل المماثلة على الهيئة والشكل فخلاف الظاهر، وكذا قول من قال: المراد بالحديث سبع أرضين من سبع أقاليم، لأن الأرضين سبع طباق وهذا تأويل باطل أبطله العلماء بأنه لو كان كذلك لم يطأ الظالم بشبر من هذه الأقاليم شيئاً من إقليم آخر بخلاف طباق الأرض، فإنها تابعة لهذا الشبر في الملك، فمن ملك شيئاً من هذه الأرض ملكه وما تحته من الطباق. وذكر الحافظ نحوه مختصراً في الفتح في بدء الخلق (١٠٢/٧) كما نقل عن بعضهم أن الأرض واحدة، قال: وهو مردود بالكتاب والسنّة.

نعم، بيد أن الظاهر أن الأرضين مرتوقات متلاصقات لما اكتشف الآن من أن هذه الأرض التي نعيش عليها هي كوكب في الفضاء كجملة الكواكب، والله تعالى أعلم بكتابه وكونه. وبهذا تمّت سورة الطلاق، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة التحريم

هذه السورة الكريمة هي خاتمة السور العشر المدنيات المتواليات، وهي اثنتا عشرة آية، وهدفها البارز هو الكلام على بيت النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وزوجاته الطاهرات وما صدر منهنّ نحوه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من التنافس والغيرة.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾ **إلخ:**

{٨٦٦} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها زوج النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يمكث عند زينب ويشربُ عندها عسلاً، فتواصيتُ وحفصةُ أيتنا ما دخل النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عليها فلتقل: إني أجد منك ريح مَغافِير، فدخل على إحداهما فقالت ذلك له، فقال: «**بل شربتُ عسلاً عند زينب**»، وقال لي: «**لن أعود له**»، فنزلت: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾ لقوله: «**بل شربت عسلاً**»... وفي رواية: «**فلن أعود له وقد حلفتُ لا تُخبري بذلك أحداً**».

رواه البخاري في التفسير (٢٨٢/١٠) وفي الطلاق وفي الأيمان والنذر، ومسلم في الطلاق (٧٣/١٠)، وأبو داود (٣٧١٤)، والنسائي في الكبرى (٤٩٥/٦) وفي عشرة النساء وفي النذور من المجتبى.

قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ **إلخ** [٤]:

{٨٦٧} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه سأل عمر رضي الله تعالى عنه عن اللتين تظاهرتا على النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال: عائشة وحفصة رضي الله تعالى عنهما.

رواه البخاري في التفسير (٢٨٣/١٠)، ومسلم في الطلاق (٨٥/١٠)، والترمذي في التفسير (٣١٠٠) كلّهم رووه مطولاً، ورواه النسائي في الكبرى (٤٩٥/٦) مختصراً كما ذكرناه، ويأتي مطوّلاً في النكاح.

اختلفت الأحاديث في سبب نزول هذه الآيات، وماذا حرم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عليه هل الأمة أم العسل؟ وعلى الثاني من الساقية؟ هل زينب أم حفصة؟ ومن المتظاهرتان عليه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم هل عائشة وحفصة؟ أم عائشة وسودة وصفية؟ فالصحيح أن التحريم كان العسل، وهو سبب نزول الآيات، والمتظاهرتان عائشة وحفصة، والساقية زينب رضي الله تعالى عنهنّ جميعاً. وما جاء في صحيح البخاري من كتاب الطلاق ومسلم فيه أيضاً أن المتظاهرات هنّ عائشة وسودة وصفيّة، وأن الساقية كانت حفصة هو غلط، وانقلاب الأسماء على بعض الرواة وهو مخالف لصريح القرآن: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ إلخ، فهما في الآية ثنتان لا ثلاث رضي الله تعالى عنهن.

قوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾:

{٨٦٨} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: إذا حرَّم الرجلُ عليه امرأته فهي يمينٌ يُكفِّرها، وقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

وفي رواية: قال في الحرام يكفِّر، ثم قرأ الآية... وفي رواية ثالثة: إذا حرم امرأته ليس بشيء.

رواه مسلم في الصلاة (٧٢/١٠، ٧٣) بالرواية الأولى، ورواه البخاري في التفسير (٢٨٢/١٠) بالرواية الثانية، وفي الطلاق (٢٩١/١١) بالرواية الثالثة.

مراد ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ من حرم عليه زوجته أن يكفّر كفارة اليمين ولا يلزمه طلاق، واستدلّ بالآية إشارة منه إلى أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حرم عليه مارية كما جاء من حديث أنس عند النسائي والحاكم وغيرهما بسند صحيح.

وهذا قولٌ للعلماء وجمعوا بين هذا وبين ما قبله بتعدّد القصة، والله تعالى أعلم. ولكن الصحيح أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إنما حرّم شرب العسل، وقال: لن أعود وقد حَلَفْتُ، فجاءت الآية الكريمة تبيّن أنه تعالى قد شرع للمؤمنين ما يتحلّلون به من أيمانهم وذلك بالكفارة، ويأتي مزيد لهذا في النكاح إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [٥]:

{٨٦٩} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال عمر رضي الله تعالى عنه: اجتمع على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم نساؤه في الغَيْرة عليه، فقلت: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا﴾ إلخ، فنزلت مثل ذلك.

رواه أحمد والبخاري والترمذي وغيرهم، وتقدم في البقرة آية (١٢٥) وفي الأحزاب آية (٥٣)، وذكرت في كل موضع قطعة منه مما يناسب الموضوع.

هذه إحدى موافقات سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه، وقد ذكرت موافقاته لنزول القرآن الكريم في «فضائل الصحابة»، وهي ست موافقات جاءت بأسانيد صحيحة.

أما الآية الكريمة، فقال القرطبي: هذا وعد من الله تعالى لرسوله

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لو طلقهنّ في الدنيا أن يزوّجه نساء خيراً منهنّ، والله عالم بأنه لا يطلقهنّ، ولكن أخبر عن قدرته على أن رسوله لو طلقهنّ لأبْدَلَهُ خيراً منهن تخويفاً لهنّ، إلخ.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ الآية [٨]:

{٨٧٠} ـ عن الأغرّ المزني رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوبُ في اليوم إليه مائة مرة**».

وفي رواية: «**إنه ليُغَانُ على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**».

رواه أحمد (٤/٢١١، ٢٦٠)، ومسلم في الدعوات (١٧/٢٣، ٢٤)، وأبو داود (١٥١٥)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٢١)، والنسائي في الكبرى (٦/١١٦)، والروايتان لمسلم. وفي رواية من حديث أنس: «**إني لأستغفر الله في اليوم وأتوب إليه أكثر من سبعين مرة**»، رواه النسائي (٦/١١٤).

لَيُغَانُ: الغين يكون للمقربين وهو بمنزلة الغيم للأبرار، والغفلة للعامة، والرَّيْن لقلوب الكفار وأشباههم. واستغفار النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وتوبته إنما هو تعبّد منه لله عزّ وجلّ وتشريع لأُمّته، أو كان يستغفر من فعل خلاف الأولى أو من فعل بعض المباحات. والتوبة النصوح: هي الخالصة الصادقة، وهي التي تتوفر فيها ثلاثة شروط: الندم وتألم القلب على فعل المعصية، ثم الإقلاع عن الذنب، ثم نيّة عدم الرجوع إليه، ثم سؤال المغفرة، فإذا كان حق لمخلوق استرضى صاحبه، ومن كمال التوبة صلاة ركعتين، فإذا حصلت بهذه الشروط قبلت قطعاً خلافاً لمن قال غير ذلك، وكان جزاء التائب ما وعد الله به في تتمّة الآية، وهو قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ إلخ:

{٨٧١} ـ عن رجل من بني كنانة قال: صلّيت خلف رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عام الفتح، فسمعته يقول: «**اللّهمّ لا تُخْزِني يوم القيامة**».

رواه أحمد (٤/١٣٤) بسند صحيح وأورده في المجمع (١٠/١١٢) وقال: رجاله ثقات.

في الآية وعد من الله عزّ وجلّ في أنه لا يخزي النبيّ ومن معه من المؤمنين ودعاؤه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم هذا كان تعبّداً منه وقياماً بالأسباب.

قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ إلخ [١٢]:

{٨٧٢} ـ عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**كمُل من الرجال كثير ولم يكمُل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران، وخديجةُ بنت خُوَيلد وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**».

رواه أحمد والشيخان وغيرهم، ويأتي في الفضائل والمناقب إن شاء الله تعالى.

وبهذا تمّت سورة التحريم، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة تبارك، الملك

من هنا استؤنف ذكر السور المكيات إلى آخر القرآن، وهي نحو من خمس وأربعين سورة، وليس يتخلّلها من المدنيات إلا ثلاث سور: البيّنة، والزلزلة، والنصر... وهي ثلاثون آية وأهدافها بيان أصول الدين ودلائل التوحيد... وحديث فضلها تقدم في فضائل القرآن.

سورة ن والقلم

وهي ثنتان وخمسون آية.

قوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ [١]:

{٨٧٣} - عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**إنّ أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى الأبد**».

رواه أحمد (٣١٧/٥)، وأبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي في القدر (١٩٨٦) وفي التفسير (٣٠٩٨)، والطيالسي (٥٣) وغيرهم، وسنده صحيح عند أحمد وهو مطوّل عندهم.

لفظة (ن) من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه، والقلم يشمل كل الأقلام بدءاً من قلم الله عزّ وجلّ الذي أمره بكتابة المقدورات والمكوّنات، وهو نعمة من نِعم الله العظيمة على الإنسانية، فهو من أعظم أسباب المعارف والعلوم، فلولاه لما حفظ علينا القرآن الكريم، ولما حفظت علينا السنّة المحمدية، ولما دوّنت العلوم ووصلت إلينا عسلاً مصفّى، فالقلم وما يكتب ويسطر به لهما شأن عظيم، ولهذا أقسم الله عزّ وجلّ بهما هنا لما لهما من منافع ومصالح دينية ودنيوية، وسيأتي امتنان الله تعالى علينا به في سورة العلق.

والحديث يدلّ على أن القلم من أول ما خلق، وأنه كتب كل ما هو كائن مما شاء الله تعالى أن يكون.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [٤]:

{٨٧٤} ـ عن سعد بن هشام رحمه الله تعالى أنه سأل مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها عن خُلُق رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقالت: أما تقرأ القرآن؟ قال: بلى، قالت: كان خلقه القرآن.

رواه أحمد (٦/٩١، ١٦٣)، ومسلم في صلاة الليل (٦/٢٥، ٢٦).

قولها: كان خلقه القرآن هو بضم الخاء واللام، تعني: أنه صار امتثال القرآن له، أمراً ونهياً، سجيّة وصفة له تطبعه، فكان نسخة من القرآن حية، فعامة أخلاق القرآن متجلّية ومتمثّلة فيه.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [٤٢]:

{٨٧٥} ـ عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**يَكْشِف ربُنا عن ساقِه فيَسْجُدُ كلُّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ، ويَبْقى مَن كان يَسْجُد في الدنيا رياءً وسُمعةً، فيذهبُ يسجد فيعودُ ظهره طبَقاً واحداً**».

رواه أحمد (٣/١٦، ١٧)، والبخاري في التفسير (١٠/٢٩٠) وفي التوحيد، ومسلم في الإيمان رقم (١٨٣)، هذا قطعة من حديث طويل يأتي في الرقاق إن شاء الله تعالى.

واختلف في المراد بالساق هنا، والأسلم أننا نؤمن به كما جاء بلا تعطيل مع تنزيه الله عزّ وجلّ عن الجارحة وتشبيهه بخلقه. والحديث مطابق للآية في عدم استطاعة الكفار والمنافقين للسجود يوم القيامة عندما يدعون إلى ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾ [٥١]:

{٨٧٦} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**العينُ حقٌّ ولو كان شيء سابِق القدر لسبَقَتْه العينُ، وإذا اسْتُغْسِلْتُم فاغْسِلُوا**».

رواه مسلم في السلام (١٤/١٧١) وستأتي أحاديث في الموضوع في الطب والمرضى.

قوله: ليزلقونك أي: يصرعونك ويهلكونك بأعينهم، والآية تدلّ كالحديث على إصابة العين وتأثيرها بإذن الله تعالى وأنّها حق، وهذا شيء محسوس مشاهد لا ينكر. وإنما اختلفوا في صفة وطبيعة تأثير العين. وخلاصة ما قاله العلماء رحمهم الله تعالى: هو أن هذه خاصية جعلها الله عزّ وجلّ في عين العائن الحاسد، أو المعجب، إما بسهم يصل من عينه في الهواء إلى بدن المعيون، أو بذبذبات كذلك... وهذا كبعض الأفاعي إذا وقع بصرها على الإنسان هلك من حينه أو عمي، وكالصحيح يخالط المريض فيصاب بمرضه، وقد يتثاءب شخص بحضرة آخر فيتثاءب الآخر، وهذا شيء كثير، فالأجسام والأرواح والمعادن والأشجار والنبات وأنواع الحيوان والطير الكلّ له خواص يختصّ بها. وقد ذكر الأطباء وعلماء الحيوان والروحانيُّون والطبائعيون... خواص الأشياء، وقد اكتشف بواسطة العلوم التجريبية اليوم العجائب من هذا القبيل، فلا معنى لإنكار العين، وقد أخبر بها الصادق المصدوق صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم عن الله عزّ وجلّ الذي خلق الأشياء وخواصها، والذي يعلم النافع والضارّ منها على الإجمال والتفصيل، ويأتي مزيد لهذا في الطبّ.

وبه تمّت سورة القلم، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة الحاقة

هي ثنتان وخمسون آية، وأبرز أهدافها الكلام على القيامة وأهوالها...

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ إلخ:

{٨٧٧} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**نُصِرْتُ بالصَّبَا وأُهْلِكتْ عاد بالدَّبُور**».

رواه البخاري (١١٠/٧)، ومسلم (١٩٧/٦) وغيرهما.

الصَّبا ـ بفتح الصاد ـ: الريح الشرقية، وبها كان هلاك الأحزاب في غزوة الخندق، والدَّبور ـ بفتح الدال المشدّدة المفتوحة ـ: الريح الغربية، وهي التي أهلك الله بها قوم عاد. والريح الصرصر هي التي لها صرير وصوت شديد وعصف عظيم.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾﴾، إلى قوله: ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾ إلخ:

{٨٧٨} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**من نوقش الحساب هلك**»، قلت: يا رسول الله فإن الله تعالى يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ

يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾، قال: «**ذلك العرض**». وفي رواية: «**ليس أحد يحاسب إلا هلك**»، قالت: قلت: يا رسول الله جعلني الله فداءك أليس يقول الله عزّ وجلّ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ إلخ، قال: «**ذاك العرض يُعْرِضُون، ومن نوقش الحساب هلك**».

رواه البخاري في التفسير رقم (٤٩٣٩) وفي الرقاق (٦٣٤٦) وفي العلم (١٠٣)، ومسلم في الجنّة (٢٨٧٦)، والترمذي في صفة القيامة وفي التفسير في الانشقاق.

الحديث الشريف يبين أن من نُوقش الحساب يوم القيامة كان من الهالكين... والمناقشة أن يقال له: عملت وعملت ولم فعلت؟ ألم يأتك كتابي... وهذا سيأخذ كتابه بشماله فيكون ذلك علامة على شقاوته، فيتمنى أن لم يحاسب ولم يؤت كتابه ويودّ الموت وينادي: ما أغنى عني ما كنت أملك من المال وما كان لي من سلطة شيئاً في هذا اليوم.

أما الصنف الثاني من أهل الحساب فيحاسب حساباً يسيراً بأن يعرض عليه عمله، ثم يقال له: اذهب فقد غفرت لك فيعطى كتابه بيميه، فينادي من شدّة الفرح: خذوا واقرؤوا كتابي، فقد أخذته بيميني وكنت أظن أني سألقى حسابي، فهو في عيش رغد وحياة مرضية في الجنان العالية قطوفها وثمارها قريبة المأخذ، ويقال لهم: كلوا واشربوا هنيئاً لكم بما أمضيتم في أيام الدنيا من الإيمان وطاعة الرحمٰن، وهنالك صنف ثالث لم يذكر هنا وهم الذين يدخلون الجنّة بدون حساب، لا بمناقشة ولا بعرض، جعلنا الله تعالى بفضله وكرمه منهم، آمين.

قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [١٧]:

{٨٧٩} ـ عن جابر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**أذن لي أن أحدّث عن مَلَكٍ من ملائكة الله من حَمَلَةِ العرش أن ما بين شَحْمَةِ أُذُنه إلى عاتقه مسيرةُ سبعمائة عام**».

رواه أبو داود في السنة (٤٧٢٧) بسند صحيح، والطبراني في الأوسط

(١٧٣٠، ٤٤١٨)، قال الهيثمي في المجمع (٨٠/١): ورجاله رجال الصحيح.

العرش أعظم خلق الله عزّ وجلّ وهو سقف هذا العالم وله حملة مكلّفون به من قبل الله تعالى يحملونه، لهم من الخلقة والعظمة ما لا يعلمه إلا الله، فإذا كان الواحد منهم ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام وهو شيء مدهش لا تتحمله عقولنا، فكيف يا ترى تكون جثته، وكل ذلك يدلّ على عظمة ربنا وإلهنا سبحانه لا إله إلاّ هو العليّ العظيم.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [٣٢]:

{٨٨٠} ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**لو أنّ رصاصةً مثلَ هذه** ـ وأشار إلى مثل جُمْجُمَةٍ ـ **أُرْسِلَتْ من السماء إلى الأرض وهي مسيرةُ خمسمائة سنة لبلغتْ الأرض قبل الليل، ولو أنها أُرسِلتْ من رأس السِّلْسِلة لسارتْ أربعين خريفاً الليلَ والنهار قبل أن تبلغَ أصلَها وقعرَها**».

رواه أحمد (١٩٧/٢)، والترمذي في صفة جهنّم (٢٤٠٧) وحسّنه وصححه.

الحديث الشريف يدلّ على أمرين اثنين، أولاً: أن المسافة بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة، وهو يرد على من أنكر ذلك. ثانياً: عظم السلسلة التي يشد بها الكافر ويسلك فيها، وأن طولها مسيرة سبعين سنة، والظاهر أن هذا العدد لا مفهوم له، والله تعالى أعلم بمراده ومراد رسوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

وبه تمّت سورة الحاقة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة سأل سائل

وآياتها أربع وأربعون، وأهم أهدافها ذكر القيامة وأهوالها والآخرة وشدائدها.

قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ﴾ إلخ:

{٨٨١} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾، قال: النضر بن الحارث بن كِلدة.

رواه النسائي في الكبرى (٤٩٨/٦)، والحاكم (٥٠٢/٢) وصححه على شرط البخاري ومسلم ووافقه الذهبي، وسنده عند النسائي صحيح على شرط البخاري، يريد ابن عباس أن السائل بنزول العذاب والداعي به هو الشقي النضر وهو القائل أيضاً: اللّهمّ إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء إلخ، وقد أهلكه الله عزّ وجلّ يوم بدر، فصار إلى أمّه الهاوية.

ومعنى الآية الكريمة: دعا داعٍ من كفار مكّة لنفسه ولقومه بنزول عذاب واقع لا محالة، للكافرين ليس له دافع، أي: لا رادّ له إذا أراد الله وقوعه...

قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [٤]:

{٨٨٢} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«ما من صاحب كنز لا يُؤَدّي زكاته إلا أخمِي عليه في نار جهنّم فيجعلُ صفائح فيكوَى بها جَنْباه وجَبِينُه حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة»** الحديث.

رواه مسلم في الزكاة (٧/٦٤، ٦٨)، والبخاري مطوّلاً وغيرهما، وتقدم في سورة التوبة رقم آية (٣٥).

اليوم المذكور هو يوم القيامة كما قال عامّة المفسرين، وهو ظاهر هذا الحديث. وجمع العلماء بين هذه الآية وبين الآية الأخرى: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ بأن القيامة فيها مواقف ومشاهد فيكون اليوم على البعض خمسين ألف سنة، وعلى البعض الآخر ألف سنة وعلى آخرين وهم المؤمنون مقدار صلاة مكتوبة. لطف الله بنا وسامحنا وعاملنا بفضله وإحسانه، آمين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [١٩ ـ ٢١]:

{٨٨٣} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«شرُّ ما في الرجل شُحٌّ هَالِعٌ، وجُبْنٌ خَالِعٌ»**.

رواه أحمد (٢/٣٠٢، ٣٢٠)، وأبو داود في الجهاد (٢٥١١)، وابن حبان (٨٠٨) بالموارد، والبخاري في التاريخ (٦/٨، ٩)، والبيهقي (٩/١٧٠) بسند صحيح.

الشحّ الهالع: هو الذي يحمل صاحبه على الحرص على المال والجزع على ذهابه، فالهلع أفحش الجزع. أما الجبن الخالع، فهو الخوف الذي ينشؤ عنه ضعف القلب وأنواع الأفكار، فكان الجبن يخلع القوة والنجدة من القلب، فهاتان الصفتان شرّ ما في الإنسان من حيث هو، وجاءت الآية الكريمة تصور ما في بني آدم الغير مستقيم من أنه هَلوعٌ جَزوعٌ إذا مسّه الشر، شحيح منوع إذا مسّه الخير، إلا المؤمنين الصالحين الذين ذكر صفاتهم الطيّبة، فليسوا كذلك جعلنا الله تعالى منهم، آمين.

قوله تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [٣٧]:

{٨٨٤} ـ عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم خرج عليهم وهم حِلَقٌ، فقال: **«ما لي أراكم عِزِين، ألا تَصُفُّون كما تَصُف الملائكة عند ربّها»**.

رواه أحمد (٥/٩٢، ٩٣، ١٠١، ١٠٧)، ومسلم في الصلاة (٤٣٠)، وأبو داود في الأدب (٤٨٢٣، ٤٨٢٤)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٩٨).

عزين جمع عزة: وهي الحلقة المجتمعة من الناس.

ومعناه: متفرّقين، فالآية الكريمة جاءت تنكر على المشركين الذين كانوا يشاهدون النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وما أتى به من الآيات، ومع ذلك كانوا مهطعين، أي: مسرعين فارّين متفرّقين يجتمعون حوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حلقاً حلقاً عن يمينه وعن شماله يسمعون كلامه ويتحدثون ويتعجّبون ويستهزئون به وبأصحابه.

وفي الحديث الشريف الإنكار على تفرّق الصحابة حلقاً حلقاً، وفي ذلك ذمّ التفرّق والإرشاد إلى الاجتماع، وفيه استحباب التشبّه بالملائكة الكرام في أفعالهم.

وبه تمّت سورة المعارج، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة الجنّ

آياتها ثمان وعشرون، وهي تتحدّث عن الجنّ الذين استمعوا لقراءة النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وآمنوا به وذهبوا إلى قومهم منذرين وإخبارهم بما كانوا عليه من قبل وما نزل بهم وانقسامهم إلى راشدين وقاسطين ظالمين.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ إلخ [١]:

{٨٨٥} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ما قرأ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم على الجنّ ولا رآهم، انطلق رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في طائفةٍ من أصحابه عامدين إلى سوق عُكاظ، وقد حِيلَ بين الشياطين وبين خبر السماء وأُرْسِلَتْ عليهم الشُّهُب، فرجعت الشياطين، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حِيلَ بيننا وبين خبر السماء، وأُرسلتْ علينا الشهب. قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حَدَث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الأمر الذي حَدَث، فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء، قال: فانطلق الذين توجّهوا نحو تِهامةَ إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بنَخْلَة وهوعامدٌ إلى سوق عكاظ وهو يصلّي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمّعوا له فقالوا: هذا هو الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا

قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾، وأنزل الله عزّ وجلّ على نبيّه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾، وإنما أوحي إليه قول الجنّ.

رواه البخاري في التفسير (٢٩٦/١٠) وفي الصلاة رقم (٧٧٣)، ومسلم فيها (٤٤٩)، والترمذي (٣١٠٥)، والنسائي (٤٩٩/٦)، والحاكم (٥٠٣/٢) ثلاثتهم في التفسير، وله حديث آخر سيأتي في الطبّ إن شاء الله تعالى.

{٨٨٦} ـ وعن علقمة رحمه الله تعالى قال: قلنا لعبدالله: هل صحب النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم منكم أحدٌ ليلة الجنّ؟ قال: لم يصحبه منّا أحد ولكنّا كنا مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشِّعاب، فقلنا: اسْتُطِيرَ واغْتِيل، قال: فبتنا بشَرِّ ليلةٍ بات بها قوم، فلمّا أصبحنا إذا هو جاءٍ من قِبَل حِراء، قال: فقلنا: يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشرِّ ليلةٍ بات بها قوم، فقال: **«أتاني داعي الجنّ فذهبت معه فقرآت عليهم القرآن»**، قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد فقال: **«لكم كلُّ عظم ذُكِر اسمُ الله عليه يقعُ في أيديكم أوفر ما يكون لحماً، وكلُّ بَعْرَةٍ عِلْفٌ لدوابكم»**، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم»**.

رواه أحمد والطيالسي (١٤٣)، ومسلم في الجهر بالقراءة في الصبح (١٦٩/٤، ١٧٠)، وأبو داود والترمذي في التفسير (٣٠٤٤)، والنسائي في الكبرى (٤٩٩/٦) وغيرهم.

في حديث ابن عباس بيان أنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يرَ الجنّ يومئذ، وإنما أخبرتْهُ بهم شجرة كما تقدم في الأحقاف. أما حديث ابن مسعود، فهي قصة أخرى كانت الدعوة فيها من الجنّ فأجابهم وقرأ عليهم القرآن وعلّمهم بعض شؤون دينهم، وكل ذلك كان بمكّة المكرمة، وأخذ العلماء من حديث ابن عباس كالقرآن أن العبرة بما قضى الله للعبد من

حسن الخاتمة لا بما يظهر منه من الشرّ، فإن هؤلاء الجنّ الذين بادروا إلى الإيمان بمجرد استماع القرآن لو لم يكونوا عند إبليس في أعلى مقامات البشر ما اختارهم للتوجّه إلى الجهة التي ظهر له أن الحدث الحادث من جهتها، ومع ذلك غلب عليهم ما قضي لهم من السعادة بحسن الخاتمة. ونحو هذا قصة سحرة فرعون أصبحوا على ذروة الكفر، وأمْسَوْا مؤمنين شهداء، وهكذا يقال في كبار أصحاب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم الذين كانوا عبدة الأصنام والأوثان، وبين عشية وضحاها صاروا أكابر هذه الأُمّة من المقرّبين السعداء ولهذا يقولون: من سبقت له السعادة لا تضره الجناية.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [١٩]:

{٨٨٧} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قول الجن لقومهم: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ﴾ إلخ، قال: لما رأوه يصلي وأصحابه يصلون بصلاته، ويسجدون بسجوده، قال: تعجّبوا من طوعية أصحابه له، قالوا لقومهم: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ إلخ.

رواه أحمد (٢٧٠/١)، والترمذي (٣١٠٦)، والحاكم (٥٠٤/٢) كلاهما في التفسير وصححاه ووافقهما الذهبي، وكذا رواه ابن جرير (١١٨/٣٠).

عبد الله في الآية هو رسولنا الكريم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وقوله تعالى: ﴿كَادُواْ يَكُونُونَ﴾ إلخ، معناه: كاد الجنّ يركب بعضهم بعضاً من شدّة الازدحام حرصاً على سماع القرآن.

وبهذا تمّت سورة الجّن، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة المزمل

هي عشرون آية، ومحورها يدور حول جانب من جوانب الرسول الكريم وحياته صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وعبادته وتبتّله ونزول الوحي الثقيل عليه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾﴾ [١ ـ ٢]:

{٨٨٨} ـ عن سعد بن هشام رحمه الله تعالى قال: انطلقنا إلى عائشة رضي الله تعالى عنها، فاستأذنا عليها فدخلنا، قلت: أنبئيني عن قيام رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، قالت: ألستَ تقرأ هذه السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾﴾، قلت: بلى، قالت: فإن الله افترض القيام في أول هذه السورة، فقام النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وأصحابه حولاً حتى انتفختْ أقدامُهم، وأمْسَك الله خاتِمَتَها اثني عشر شهراً، ثم أنزل الله عزّ وجلّ التخفيفَ في آخر هذه السورة، فصار قيام الليل تطوّعاً بعد فريضة.

رواه أحمد (٥٣/٦، ٥٤)، ومسلم (٧٤٦)، وأبو داود (١٣٤٢) وغيرهم مطوّلاً، ورواه النسائي في الكبرى (٥٠٠/٦)، وفي المجتبى، وابن ماجه (١١٩) مختصراً كما أوردناه وسنده صحيح.

{٨٨٩} ـ وعنها، قالت: قلما كان ينام رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من الليل، لما قال الله عز وجلّ له: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾﴾.

رواه النسائي في الكبرى (٥٠٠/٦)، وأبو يعلى (٤٩٣٩)، والبيهقي (٣١٢/١) بسند صحيح.

كان قيام الليل أوّل الأمر واجباً على العموم وبقي ذلك سنة كاملة، ثم خفّف الله تعالى فنسخ ذلك وبقي فرضاً على الرسول صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، كما هو قول جمهور العلماء، وفضيلة مرغباً فيها بالنسبة لسائر الأُمّة، والحكمة في نسخ ذلك هي ما ذكره تعالى في قوله آخر السورة: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، فأسباب التخفيف إذاً: المرض، والتجارة، والجهاد في سبيل الله؛ لأن هؤلاء لا يتيسّر لهم قيام الليل في الغالب، والله رؤوف رحيم لطيف بعباده.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [٥]:

{٨٩٠} ـ عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال: أنزل على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وفَخِذُه على فخذي، فكادت تُرَضُّ فَخِذِي.

رواه البخاري مطولاً في التفسير (٣٢٩/٩) وفي الصلاة وفي الجهاد، ومسلم (٤٣/١٣) في الجهاد، والترمذي (٢٨٣٧)، والنسائي في المجتبى (٩/٦)، وتقدمت أحاديث في هذا المعنى.

قوله: تُرَضّ أي: تدقّ وتكسر، وفي الحديث بيان ثقل الوحي وشدّته، فيكون قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ محتملاً الثقل المذكور، ومحتملاً ثقل التكاليف الشرعية... وبه تمّت سورة المزمل، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة المدثر

هي ستّ وخمسون آية، وأبرز أهدافها الكلام على بعض أحوال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وأمر الله إياه بإنذار الناس والدعوة إلى الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [١ ـ ٢]:

{٨٩١} ـ في حديث جابر رضي الله تعالى عنه في تحديثه عن فترة الوحي عنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**فبينا أنا أمشي إذ سمعتُ صوتاً من السماء، فرُعِبْتُ فرجعتُ فقلت: زمّلوني زمّلوني، فأنزل الله عزّ وجلّ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ فحمى الوحي».

رواه البخاري في بدء الوحي (٣١/١) وفي بدء الخلق وفي الأدب وفي التفسير (٣٠٥/١٠، ٣٠٦)، ومسلم في الإيمان (١٦١، ٢٥٥، ٢٥٦)، والترمذي في التفسير (٣١٠٨)، والنسائي في الكبرى (٥٠٢/٦، ٥٠٣)، ويأتي بلفظ آخر في العلق إن شاء الله تعالى.

الحديث يدلّ على أن هذه السورة نزلت بعد فترة الوحي وهو الحقّ، ويأتي له مزيد في سورة العلق، وبه تمت السورة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

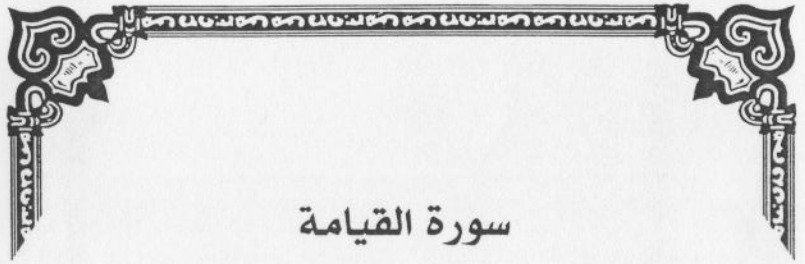

سورة القيامة

وهي أربعون آية، وتعنى بالكلام على البعث والجزاء والقيامة وأهوالها وبيان مشهد من مشاهد الاحتضار.

قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾ [١٦ ـ ١٩]:

{٨٩٢} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦﴾، قال: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يُعالجُ من التنزيل بشدَّة، وكان مما يحرك شفتيه، فقال ابن عباس: فأنا أحرّكهما لكم كما كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يحركهما... فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾، قال: جمعه لك في صدرك وتقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨﴾، قال: فاستمع له وأنصت ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾ ثم إن علينا أن نقرأه، فكان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل عليه السلام استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كما قرأه.

رواه البخاري في بدء الوحي (٣٢/١) وفي التفسير (٣٠٩/١٠، ٣١٠) وفي فضائل القرآن، ومسلم في الصلاة (٤٤٨)، والترمذي (٣١١٢)، والنسائي في الكبرى (٥٠٣/٦) كلاهما في التفسير.

كان يعالج، أي: يحاول حفظه بمشقّة، ولذلك أرشده الله تعالى إلى الإنصات واستماعه لقراءة جبريل عليه السلام، فإذا فرغ وجد ذلك في حافظته مبيناً مفسّراً، وهذا من لطف الله ورفقه بنبيّه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [٢٢ ـ ٢٣]:

{٨٩٣} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال الناس: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**هل تُضارُّون في رؤية الشمس ليس دونها سحابٌ؟ وهل تُضارُّون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟**»، قالوا: لا، قال: «**فكذلك ترونه عزّ وجلّ**»، وفي رواية: «**فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك**».

رواه أحمد (٢٧٥/٢، ٢٩٣، ٥٣٤)، والبخاري في الرقاق (٢٤١/١٤، ٢٤٢) وفي التوحيد (٢٤٣٧)، في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ ومسلم في الإيمان (١٨٢، ١٩٩)، والترمذي في صفة الجنّة (٢٣٧١)، والنسائي في الكبرى (٤٥٦/٦، ٥٠٤)، وتقدم حديث صهيب في سورة يونس كما تقدم حديث جرير البجلي في سورة قّ، والأحاديث بالرؤية يوم القيامة متواترة.

وقوله: هل تضارون، أي: هل يضرّ بعضكم بعضاً.

ورؤية المؤمنين لربّهم يوم القيامة متفق عليها بين أهل السنة من السلف والخلف، ولم يخالف في ذلك إلا المعتزلة والروافض.

وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢﴾ بالضاد المعجمة المراد بها المبتهجة المضيئة البهيّة المسرورة، والنضرة: النعمة وجمال البشرة والإشراقة الجميلة. وفي سورة التطفيف ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤﴾، جعلنا الله تعالى منهم بفضله وكرمه، آمين. وسيأتي مزيد لهذا في الرقاق إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [٤٠]:

{٨٩٤} - عن موسى بن أبي عائشة رحمه الله تعالى قال: كان رجل يصلّي فوق بيته، فكان إذا قرأ ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾، قال: سبحانك اللّهمّ فَبَلَى، فسألوه عن ذلك، فقال: سمعتُه من رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

رواه أبو داود (٨٨٤)، وابن أبي حاتم (٣٣٨٩/١٠)، والبيهقي (٣١٠/٢) بسند صحيح، وما قيل من انقطاعه يشهد له حديث أبي هريرة مرفوعاً: «**من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى إلى آخرها: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾، فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾﴾ فانتهى إلى قوله: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ فليقل: بلى، ومن قرأ المرسلات فبلغ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ فليقل: آمنا بالله**» رواه أحمد (١٤٦/٢)، وأبو داود (٨٨٧)، والترمذي (٣١٢٩)، والبيهقي (٣١٠/٢)، وهو وإن كان فيه رجل مجهول فإنه يتأيّد بحديث قتادة رواه ابن جرير (٢٠١/٢٩ و٢٥٠/٣٠) وهو مرسل صحيح، وله شاهد آخر عن ابن عباس رواه ابن جرير (٢٥٠/٣٠)، وابن أبي حاتم (٣٣٨٩/١٠) موقوفاً عليه، وبالجملة فالحديث يصلح للعمل به.

والاستفهام في الآية للتقرير، وفي الحديث مشروعيّة الجواب عند ذكر تلك الآيات بما ذكر، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة الإنسان

هي إحدى وثلاثون آية، وتتحدّث بإسهاب عن شؤون الآخرة ونعيم المتّقين الأبرار وما حباهم الله وأعطاهم من متعة، مع ذكر أوصافهم ونعيمهم بما لم يتقدم له ذكر في غيرها.

قوله تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [١٣]:

{٨٩٥} - عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**اشتكت النار إلى ربها، فقالت: ربّ أكل بَعْضِي بعضاً فنَفّسْني، فأذن لها كل عام بنَفَسين، قال: أشدّ ما تجدون من البرد من زمهرير جهنم، وأشدّ ما تجدون من الحرّ من حرّ جهنم**».

رواه البخاري في الصلاة (٥٣٧) وفي بدء الخلق (٣٢٦٠)، ومسلم في الصلاة (٦١٧)، والترمذي في صفة جهنم (٢٤١١)، وابن ماجه في الزهد (٤٣١١)، وكذا أحمد (٥٠٣/٢) وغيرهم، ويأتي في الرقاق.

الزمهرير: شدّة البرد ونهايته المفرطة. وفي الآية الكريمة بشارة لأهل الجنّة، وأنهم إذا دخلوها لا يذوقون ولا يرون فيها حرارة شمس، ولا شدّة برد، وهذا بخلاف أهل النار. وفي الحديث دليل على أن الجنّة والنار مخلوقتان الآن خلافاً للمعتزلة...

وفيه تكلم الجمادات والله عزّ وجلّ يفعل ما يشاء، وهو القادر على ما يريد لا يعجزه شيء، وبه تمّت سورة الإنسان، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

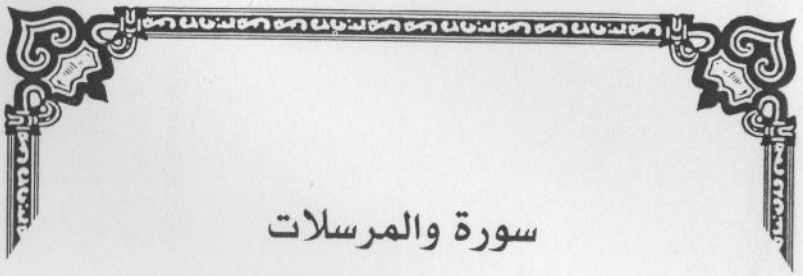

سورة والمرسلات

وهي خمسون آية، وحديثها يدور حول الآخرة مع ذكر آثار القدرة في هذه الكائنات.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾ إلخ:

{٨٩٦} ـ عن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: كنّا مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في غار وأنزلت عليه: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾ فإنا لنتلقّاها من فيه إذ خرجت علينا حيّة فابتدرناها فدخلت جُحْرها، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«وُقيتْ شرَّكم ووُقيتُم شرَّها»**.

وفي رواية: كنّا مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في سفح جبل وهو قائم يصلّي وهم نيام، قال: إذ مرّت حية فاستيقظنا وهو يقول: **«منعها منكم الذي منعكم منها»**، وأنزلت عليه المرسلات.

رواه البخاري في التفسير (١٠/٣١٣، ٣١٤) وفي بدء الخلق (٣٣١٧)، ومسلم في السلام (٢٢٣٤)، والنسائي في الكبرى (٦/٥٠٥) وفي المناسك من المجتبى، والرواية الثانية رواها أحمد (١/٤٥٣) بسند حسن.

في الحديث بيان سبب نزول السورة، وفيه الإذن في قتل الحيّات، وقد جاء الأمر بقتلها في رواية عند البخاري، ويأتي ذلك في موضعه، وفيه أن الحيات شرّ لنا، وأنها إذا اختفت وجب تركها. وبهذا تمّت السورة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه.

سورة النبإ

وهي أربعون آية، والمحور التي تدور عليه: الكلام على القيامة والبعث والنشور ودلائل التوحيد وآثار القدرة في هذا الكون الفسيح، مع بيان مصير أهل النار ومصير أهل الجنّة.

قوله تعالى: ﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾﴾ [٣٢]:

{٨٩٧} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**لاَ يَقُلْ أحدُكم الكَرْم، فإنما الكَرم الرجل المسلم، ولكن قولوا: حدائق الأعناب**».

رواه أبو داود (٤٩٧٤)، والنسائي في الكبرى (٥٠٦/٦) بسند صحيح، وأصله في البخاري (٦١٨٣)، ومسلم (٢٢٤٧)، ويأتي في الأدب إن شاء الله تعالى.

وفي الآية الكريمة بشارة للمتّقين وأن لهم ظفراً وفوزاً بجنّات النعيم وبساتين ناضرة فيها كروم الأعناب الطيّبة المتنوّعة، ونساء عذارى أبكاراً قد ظهرت ثديهن. وبه تمّت السورة، والحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة النازعات

هي ستّ وأربعون آية، وهي تتحدّث عن القيامة وأهوالها ومآل المتّقين والفاجرين.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾ [٦ ـ ٧]:

{٨٩٨} ـ عن أبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: «**يا أيها الناس اذكُروا الله جاءتْ الراجفةُ تَتْبعها الرادفة، جاء الموتُ بما فيه، جاء الموتُ بما فيه**»، قال أُبيّ: فقلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعلُ لك من صلاتي؟ قال: «**ما شئت**»، قلت: الربع؟ قال: «**ما شئت، فإن زدت فهو خير لك**»، قلت: النصف؟ قال: «**ما شئت وإن زدت فهو خير لك**»، قال: فالثلثين؟ قال: «**ما شئت فإن زدت فهو خير لك**»، قلت: أجعل لك صلاتي كلّها، قال: «**إذاً تُكْفَى همّك ويغفر لك ذنبك**».

رواه أحمد (١٣٦/٥)، والترمذي في صفة القيامة (٢٢٧٨)، والحاكم (٤٢١/٢) وصححه، والحديث حسن صحيح لطريق له.

الراجفة: هي النفخة الأُولى التي ترجف فيها الأرض والجبال، وأما الرادفة: فهي نفخة القيامة التي تدكّ فيها الأرض والجبال دكّاً.

وفي الحديث تنبيه من النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وتحذير وتذكير.

وفيه أن من جعل صلاته على النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كلّها له كفاه الله ما أهمّه من أمر دنياه وأُخراه وغفر له ذنبه، جعلنا الله عزّ وجلّ منهم بمنّه وكرمه، آمين.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾:

{٨٩٩} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**لما خلق الله الأرضَ جعلت تَميدُ، فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرَّت، فعَجِبتْ الملائكةُ من شدّة الجبال، فقالوا: يا ربّ هل من خلقك شيء أشدّ من الجبال؟ قال: نعم، الحديدُ، فقالوا: يا ربّ فهل من خلقك شيء أشدّ من الحديد؟ قال: نعم، النارُ، قالوا: يا رب فهل من خلقك شيء أشدّ من النار؟ قال: نعم الماءُ، قالوا: يا ربّ فهل من خلقك شيء أشدّ من الماء؟ قال: نعم الريحُ، قالوا: يا رب فهل من خلقك شيء أشدّ من الريح؟ قال: نعم، ابن آدم تصدَّق بصدقة بيمينه يخفيها عن شماله**».

رواه أحمد (١٢٤/٣)، والترمذي في التفسير (٣١٤٩) ورجاله ثقات، وسليمان بن أبي سليمان الهاشمي تابعي مستور، روى عنه ثقة من رجال الصحيحين، وهو العوام بن حوشب، فالحديث حسن على مذهب جماعة من أهل الحديث.

جعل الجبال راسيات للأرض من لطف الله عزّ وجلّ بعباده، فهي آية باهرة ونعمة شاملة، ولولاها لتحركت الأرض بأصلها وغرقت في المحيطات التي هي أكثر بكثير من اليابسة.

والحديث يدلّ على تفاضل الخلق في العظمة والشدّة، وأن أشدّها وأعظمها قهر النفس وحملها على التصدّق سرّاً من دون أن يطّلع عليه أحد.

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾ [٤٢]:

{٩٠٠} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما زال رسول الله

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يُسْأَلُ عن الساعة حتى أنزل الله تعالى عليه: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾، فكفّ عنها.

رواه ابن جرير (٤٩/٣٠)، والبزار مع الكشف (٢٢٧٩)، والحاكم (٥١٣/٢) وصححه ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع (١٣٣/٧): رجاله رجال الصحيح.

وله شاهد عن طارق بن شهاب عنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان لا يزال يذكر من شأن الساعة حتى نزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾﴾ إلخ.

رواه النسائي (٥٠٦/٦)، وابن جرير (٤٩/٣٠)، والطبراني في الكبير (١٢١٠)، وسنده صحيح إلى طارق.

كانوا يسألون النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كثيراً عن وقت قيام الساعة، فقال الله تعالى له: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾ أي: ليس علمها إليك حتى تذكرها لهم ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾ أي: مردّها ومرجع علم وقتها إلى الله عزّ وجلّ، فالواجب عليك إنذار من يخافها.

وبه تمت «النازعات»، والحمد لله رب العالمين، وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة عبس

وهي ثنتان وأربعون آية، وهي تتحدّث عن ترسيخ العقيدة وبيان دلائل التوحيد والقدرة في الإنسان والنبات والطعام ولفت الأنظار إلى ما في ذلك من نعم سوابغ، ثم الكلام على القيامة وأهوالها.

قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾ [١]:

{٩٠١} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أنزل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ في ابن أُمّ مكتوم الأعمى أتى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يُعْرِضُ عنه ويُقْبِلُ على الآخر، ويقول: **«أترى بما أقول بأساً»؟** فيقول: لا، ففي هذا أنزل.

رواه الترمذي (٤١١٤)، وابن جرير (٥٠/٣٠)، وابن حبان (١٧٦٩)، والحاكم (٥١٤/٢) وسنده صحيح على شرط الشيخين.

عبس معناه: كلح، وتولى أي: أعرض، ولم يكن ذلك منه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم احتقاراً له، وإنما كان ذلك حرصاً منه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم على إسلام ذلك الكافر، فجاءت الآيات الكريمات ترشده صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى ما كان ينبغي له أن يفعله، وهو تذكير الأعمى رضي الله تعالى عنه وإرشاده لعله يزكى... وقد ضلّ هنا أقوام وأساؤوا الأدب مع حضرة النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾:

{٩٠٢} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«تحشرون حُفاةً عراة غرلاً»**، فقالت امرأة: أيُبْصِر أو يرى بعضنا عورة بعض؟ قال: يا فلانة **«لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه»**.

رواه الترمذي في التفسير (٣١١٥)، والنسائي في الكبرى (٥٠٧/٦)، وابن أبي حاتم (٣٤٠٠/١٠)، وحسّنه الترمذي وصححه، وهو عنده صحيح على شرط الشيخين، وسيأتي ما يشهد له في الرقاق إن شاء الله تعالى.

الحشر: هو الجمع، والغُرل ـ بضم الغين وسكون الراء ـ: جمع أغرل، والغرلة: الجلدة التي تكون على حشفة الذكر فتقطع في الختان... وفي الآية والحديث إخبار عن مشاهد يوم القيامة، وأن الناس سيخرجون من قبورهم كما خلقهم الله، وأن كل امرىء منهم له ما يشغله ويغنيه عن النظر إلى غيره، فهم عراة نساءً ورجالاً، ورغم ذلك لا يبالي أحدهم بغيره لما دهمهم من الأهوال والشدائد والدواهي التي يشيب له الولدان عياذاً بالله من ذلك.

وبه تمّت سورة عبس، والحمد لله رب العالمين، وصلواته وسلامه وبركاته على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

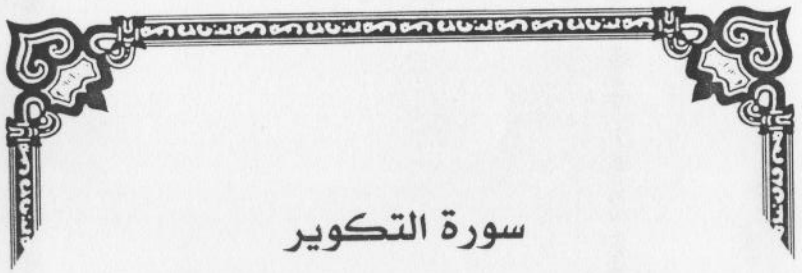

سورة التكوير

هي تسع وعشرون آية، وحديثها جاء عن القيامة وفناء هذا الكون واضمحلاله..

قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ [١]:

{٩٠٣} - عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**من سَرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت**».

رواه أحمد رقم (٤٨٠٦، ٤٩٣٤، ٤٩٤١)، والترمذي (٣١١٦)، والحاكم (٥١٥/٢) وسنده صحيح، إنما كانت القيامة متجلية في هذه السور الثلاث لأنها وصفتها بأوصاف دقيقة مخيفة، نسأل الله تعالى العفو والعافية، آمين.

{٩٠٤} - وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**الشمس والقمر مكوّران يوم القيامة**».

رواه البخاري في بدء الخلق (١٠٨/٧)، والإسماعيلي في مستخرجه كما في الفتح.

قوله: مكوّران أي: مجموعان مع طمس نورهما، ثم يلقيان في النار زيادة في تعذيب أهلها، وليس معناه كما قد يفهم أنهما يعذّبان. كلا إنهما

خلق الله تعالى جعلا في النار تبكيتاً لمن كان يعبدهما، وليعلموا أن عبادتهم كانت باطلة.

وبه تمّت السورة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وزوجه.

سورة الانفطار

هي تسع عشرة آية، وهي كسابقتها في الكلام على الانقلاب الكوني وقيام الساعة...

قوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [٨]:

{٩٠٥} ـ عن بُسْر بن جحاش أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بصق يوماً في كفّه ووضع عليها أصبعه، ثم قال: «**يقول الله تعالى: يا ابن آدمَ أنّى تُعْجِزُني، وقد خلقتُك من مثل هذه حتى إذا سوّيتك وعدّلتك مشيتَ بين بُرْدَين وللأرض منك وَئِيدٌ فجمعْتَ ومنعتَ حتى إذا بلغت نفسُك هذه**» وأشار إلى حلقه. وفي رواية: «**حتى إذا بلغتْ التراقي قلت: أتصدَّق وأنّى أوان التصدّق**».

رواه أحمد (٤/٢١٠)، وابن ماجه (٢٧٠٧)، وابن سعد في الطبقات (٧/٤٢٧). قال البوصيري في الزوائد: وإسناده صحيح ورجاله ثقات.

قوله: أنّى تعجزني ـ بفتح الهمزة وتشديد النون المفتوحة ـ أي: كيف يتسنّى لك أن تجعلني أو تعتقدني عاجزاً عن إعادتك وإحيائك من جديد، وأنا الذي أوجدتك من مثل هذه النطفة... وقوله: وللأرض منك وئيد أي: ثقل.

وفي الآية امتنان من الله تعالى على عباده وتعداد نعمه عليهم في

خلقتهم وتسويتهم وتعديلهم. أما الحديث، فجاء يوبخ الكافر الظلوم الأثيم المنكر للبعث والجزاء.

قوله تعالى: ﴿كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ۝١٢﴾ [١١ ـ ١٢]:

{٩٠٦} ـ فيه حديث أنس عنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**هل تدرُون مِمّ ضَحِكت... من مخاطبة العبد ربّه، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم**... وفيه: **كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، فيختم على فيه**» الحديث، وتقدم في سورة يٰس وغيرها، وهو عند مسلم وغيره.

والكرام... هم الحفظة الذين يكتبون حسناتنا وسيّئاتنا ولا يفارقوننا ليل نهار طوال حياتنا، وكل منّا معه اثنان أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله.

قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ۝١٩﴾ [١٩]:

{٩٠٧} ـ فيه حديث أبي هريرة عندما نزل: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ۝٢١٤﴾ قال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**يا مَعْشَرَ قريش اشْتَرُوا أنفُسَكم لا أُغني عنكم من الله شيئاً**، وهكذا نادى بني عبد مناف وعمّه العباس وعمّته صفية، كلٌّ يقول لهم: **لا أغني عنكم من الله شيئاً**»، رواه الشيخان وغيرهما، وتقدم في الشعراء آية (٢١٤).

وفي الآية والحديث التأكيد على أنه لا يملك أحد لأحد شيئاً يوم القيامة بإذنه، لأن المُلْك يومئذ لله وحده. نعم من أذن الله تعالى له من أصفيائه أن يشفع لمن أراد تعالى رحمته فعل ونفعه بإذنه عزّ وجلّ. أما أن يملك أحد لآخر بإذنه شيئاً فهذا ليس لأحد سوى الله عزّ وجلّ، وبهذا تمّت الانفطار، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

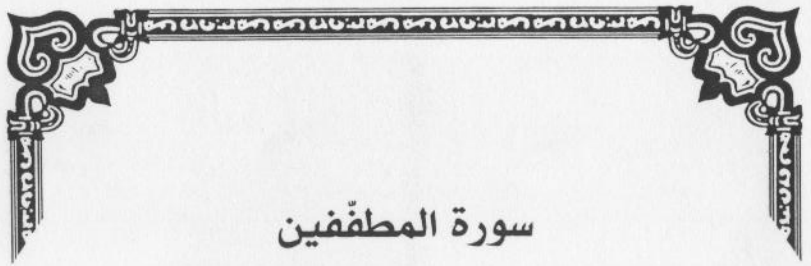

سورة المطفّفين

هي ستّ وثلاثون آية، وجاءت حرباً سافراً عنيفاً على المطفّفين الذين يبخسون الناس أشياءهم ويخدعون الآخرين في الكيل والميزان.

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ [١ ـ ٣]:

{٩٠٨} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما قدم النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم المدينة كانوا أخبث الناس كَيْلاً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾، فحَسَّنُوا الكيل بعد ذلك.

رواه النسائي في الكبرى (٥٠٨/٦)، وابن ماجه في التجارات (٢٢٢٣)، وابن حبان (١٧٧٠) بالموارد، والحاكم (٣٣/٢) وصححه ووافقه الذهبي، وهو أيضاً عند ابن جرير (٩١/٣٠).

التطفيف: البخس والنقص في الكيل والميزان ونحوهما إما بالزيادة إن اكتال من الغير لنفسه، وإما بالنقص إن كال لهم من عنده، ولهذا قال تعالى: ﴿إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: من الناس يستوفون أي: يأخذون حقّهم بالوافي والزائد، وإذا كالوا لهم أو وزنوهم يخسرون أي: ينقصون ويبخسون. وحسب المطففين أن الله افتتح الكلام معهم بالويل والهلاك. والحديث يدلّ على أن السورة مدنية، ولذلك اختلف فيها المفسّرون، فمن قائل إنها مكية ومن قائل إنها مدنية، ومن قائل إنها نزلت بين مكة

والمدينة، ومن قائل إنها مدنية إلا ثمان آيات فمكّية، وهي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ ألخ، والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [٦]:

{٩٠٩} ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ **يقوم أحدُهم في رَشْحِه إلى أنصافِ أُذُنَيْهِ**»، وفي رواية: «**يَغيبُ أحدُهم في رَشْحِ عَرقه**».

رواه أحمد (٤٦١٣، ٤٦٩٧)، والبخاري في التفسير (٣٢٤/١٠) وفي الرقاق (٦٥٣١)، ومسلم في الجنّة (٢٨٦٢)، والترمذي في صفة القيامة (٢٢٤٢) وفي التفسير (٣١١٨)، والنسائي في الكبرى (٥٠٩/٦)، وابن ماجه (٤٤٧٨).

الرشح: هو العرق، وما في الآية والحديث موقف خطير هائل، وسيكون ذلك عقب خروج الناس من القبور وقبل الشفاعة العظمى التي سيحظى بها نبيّنا صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وسيأتي الكلام على هذا الموضوع بإسهاب في الرقاق إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤﴾ [١٤]:

{٩١٠} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**إن العبدَ إذا أذنب ذنباً نكتتْ في قلبه نكتة سوداء، فإنْ هو نزع واستغفر وتاب صُقِل قلبُه، وإن عاد زِيد فيها حتى تعلوَ قلبه، فهو الران الذي ذكر الله:** ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤﴾».

رواه أحمد (٢٩٧/٢)، والترمذي (٣١١٧)، والنسائي في الكبرى (٥٠٩/٦)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٤٤) وحسّنه الترمذي وصححه، وابن حبان (١٧٧١)، والحاكم (٥١٧/٢) وصححه ووافقه الذهبي.

نكتت، النكت: هو الأثر القليل كالنقطة مثل أثر الوسخ في المرآة،

والران ويقال: الرين، من ران هو التغطية والصدأ على القلب يعتري الكفار والمسرفين في الإجرام والفواحش، فالذنوب إذا تتابعت على القلب ولم يتب صاحبها أغلقته وأصبح أسود مظلماً، فإن تاب ورجع إلى الله تعالى صقل وانجلى ورجع إلى حاله الأصلي.

قوله تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾﴾ [٢٥]:

{٩١١} ـ عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أراه قد رفعه إلى النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**أيما مؤمن سَقَى مؤمناً شُربة ماءٍ على ظمإ سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأيُما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله من ثمارِ الجنّة، وأيُما مؤمن كسا مؤمناً ثوباً على عُرْي كساه الله من خُضر الجنّة**».

رواه أحمد (٣/١٣، ١٤)، وأبو داود في الزكاة (١٦٨٢)، والترمذي في صفة القيامة (٢٢٧٠) من طريقين هو بهما حسن، وقد حسّنه المنذري والسيوطي والمناوي.

في الآية والحديث بشارة للأبرار والمحسنين الذين يطعمون الجائعين، ويسقون العطشى ويكسون العراة والعرايا، وأن الله عزّ وجلّ سيجازيهم يوم القيامة من جنس أعمالهم، حقّقنا الله تعالى بذلك بمنّه وكرمه، آمين. وبه تمت السورة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة الانشقاق

هي خمس وعشرون آية، وموضوعها كسوابقها: الكلام على الانقلاب الكوني وأهوال يوم القيامة.

{٩١٢} ـ تقدم حديث: «**من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ إذا الشمس كوّرت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقّت**»، رواه أحمد والثلاثة وغيرهما؛ لأن هذه السور الثلاث قد جمعت مشاهد يوم القيامة، بكل أهواله ومخاويفه وتقلّباته بأهله.

قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾﴾:

{٩١٣} ـ عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يقرأ في الظهر والعصر: إذا السماء انشقّت والسماء والطارق ونحوهما.

رواه أحمد (٥/١٠٣، ١٠٦، ١٠٨)، وأبو داود (٨٠٥)، والترمذي (٢٧٥)، والنسائي (٢/١٢٩)، وابن حبان (٤٦٥) وغيرهم، وحسّنه الترمذي وصححه.

{٩١٤} ـ وعن أبي رافع قال: صلّيتُ مع أبي هريرة رضي الله تعالى عنه العتمة فقرأ إذا السماء انشقّت فسجد، فقلت له، فقال: سجدت خلف أبي القاسم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه.

رواه البخاري (٢/٢١٤)، ومسلم (٥٧٨)، والنسائي في المجتبى وفي الكبرى (٦/٥١٠) وغيرهم.

في الحديث الأول مشروعيّة قراءة الانشقاق والطارق في الظهرين، ولا خلاف في ذلك. بينما الحديث الثاني يدلّ على جواز سجود التلاوة في الفريضة، وبه قال جمهور الأئمّة والعلماء.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤﴾ [٤]:

{٩١٥} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«تُلْقِي الأرضُ أفلاذ كبدها أمثال الأسْطُوانَة من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قُتِلْتُ، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعتُ رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قُطعتْ يدي، ثم يَدَعُونَه فلا يأخذون منه شيئاً»**.

رواه مسلم في الزكاة (٧/٩٧، ٩٨)، والترمذي في الفتن (٢٠٣٩)، وابن حبان (١٥/٩٠).

أفلاذ: جمع فلذ ـ بكسر الفاء وسكون اللام ـ: وهي القطعة من اللحم، والأسطوانة: هي السارية. ومعنى الحديث أن الأرض ستلقي ما في بطنها من المعادن كالذهب والفضّة... وهو مبيّن لبعض ما في الآية الكريمة، فإن الآية أعمّ منه، فإنها تشمل ما في جوفها من الأموات والمعادن وغيرها، فستلقي الجميع وتتخلى عنهم. قال القرطبي: أخرجت أمواتها وتخلّت عنهم، وألقت ما في بطنها من الكنوز والمعادن، كما تلقي الحامل ما في بطنها من الحمل، وذلك يؤذن بعظم الهول.

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [٨]:

تقدم حديث: **«من نُوقش الحساب هلك»** في الحاقة آية (١٩)، وهو في الصحيحين.

{٩١٦} ـ وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت رسول الله

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول في بعض صلاته: **«اللّهمّ حاسِبْني حساباً يسيراً»**، فلما انصرف قلت: يا رسول الله ما الحساب اليسير؟ قال: **«أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه، إنه من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك»**. وفي رواية: **«وكل ما يصيب المؤمن يُكفَّر عنه من سيّئاته حتى الشَّوكة تَشُوكُه»**.

رواه أحمد (٦/٤٨، ١٨٥)، وابن جرير (٣٠/١١٥)، وابن حبان (١٦/٣٧٢)، والحاكم (١/٥٧، ٢٥٥) و(٤/٢٤٩، ٥٧٩) وصححه ووافقه الذهبي، وابن إسحٰق صرّح بالتحديث عند أحمد.

في الحديث بيان ما في الآية من الحساب اليسير والعرض، وهو أن ينظر في كتاب العبد ويرى ما فيه من سيئات، فيتجاوز الله عنه ولا يناقشه، وللحساب اليسير أسباب كثيرة وموجبات عدّة، والنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم مع غفران ما تقدم له وما تأخر يسأل الله عزّ وجلّ الحساب اليسير، وذلك يدلّ على شدّة خوفه من الله تعالى وعدم أمنه من عذابه تعالى.

قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ۝١٦﴾ [١٦]:

{٩١٧} ـ عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أنّه قال: **«وقت المغرب ما لم يَغِب الشَّفَق»**.

رواه مسلم في المواقيت (٥/١١٢، ١١٣) مطوّلاً.

الشَّفَق ـ بفتحتين ـ: هو الحمرة التي تبقى على الأفق الغربي بعد غيبوبة الشمس، هكذا فسّره جمهور أهل اللغة، وهو الظاهر من الحديث وعمل النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فوقت المغرب يمتدّ إلى ذهابه، فإذا غاب دخل وقت العشاء. وهذا طبعاً في الأقاليم المعتدلة التي يغيب فيها الشفق، وهي وسط الكرة الأرضية التي علم الله أن الإسلام سيكون فيها.

وبه تمّت الانشقاق، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة البروج

هي ثنتان وعشرون آية، وهدفها البارز الكلام على أصحاب الأُخدود.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ [٢ ـ ٣]:

{٩١٨} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**اليومُ الموعودُ يوم القيامة، واليومُ المشهودُ يومُ عرفة، والشاهدُ يومُ الجمعة**»، قال: «**وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل منه**».

رواه أحمد (٢/٢٩٨)، والترمذي (٣١٢١)، والحاكم (٢/٥١٩) بسند حسن أو صحيح وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي، وله شاهد عن أبي مالك رواه الطبراني، وهو في المجمع (١/٢٣٥).

في الحديث بيان ما أبهم في الآيتين من اليوم الموعود والشاهد والمشهود.

قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾ إلخ [٤]:

{٩١٩} ـ عن صُهَيْب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر فلما كبر قال للملك: إني كبِرتُ فابعث إليَّ غلاماً أعلّمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلّمه، فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مرّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه**

فشكى ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابّة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل، فأخذ حجراً فقال: اللّهمّ إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابّة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب: أي: بُنَيَّ أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك سَتُبْتَلَى، فإن ابْتُلِيتَ فلا تدلّ عليّ، وكان الغلام يبرىء الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع به جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما ها هنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له: من ردّ عليك بصرك؟ قال: ربّي، قال: ولك ربٌّ غيري؟ قال: ربّي وربّك الله، فأخذه فلم يزل يعذّبه حتى دلّ على الغلام، فجيء بالغلام فقال له الملك: أي: بني قد بلغ من سحرك ما تبرىء الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل؟ فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله فأخذه فلم يزل يعذّبه حتى دلّ على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك، فأبَى فدعي بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقّه حتى وقع شقّاه، ثم جيء بجليس الملك، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبَى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقّه به حتى وقع شقّاه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك، فأبَى فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللّهمّ اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قُرْقُور فتوسّطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به فقال: اللّهمّ اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله تعالى، فقال

للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كَبِدِ القوس، ثم قل: بسم رب الغلام، ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهماً من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: بسم ربّ الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنّا بربّ الغلام، آمنّا برب الغلام، آمنّا برب الغلام، فأُتِي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس، فأمر الأخدود في أفواه السكك فخُدَّتْ وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها، أو قيل له: اقتحم ففعلوا، حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيه، فقال لها الغلام: يا أمّه اصبري فإنك على الحق».

رواه أحمد (١٦/٦، ١٨)، ومسلم آخر صحيحه (١٣٠/١٨، ١٣٣)، والترمذي (٣١٢٢) بتهذيبي، والنسائي في الكبرى (٥١٠/٦، ٥١١، ٥١٢) زاد الترمذي قال: يقول الله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾ حتى بلغ: ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾، قال: فأمّا الغلام فإنه دُفن قال: فيذكر أنه أخرج في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل.

قوله: مفرق رأسه أي: وسطه، وذروة الجبل ـ بكسر الذال وضمّها ـ أعلاه، فرجف أي: اضطرب، قرقور ـ بضم القافين ـ: السفينة الصغيرة، الأخدود: شقّ مستطيل في الأرض، تقاعست أي: تأخّرت.

هذا حديث عظيم فيه فوائد وعِبر وهو مبيّن للآية الكريمة، وقد ذكرت فوائده وعبره في «عجائب الأقدمين». وبه تمّت السورة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة الأعلى

هي تسع عشرة آية.

قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [١]:

تقدمت أحاديث تتعلق بالسورة في العيدين وفي الجمعة، وفي سورة الحديد وغير ذلك.

سورة الفجر

هي ثلاثون آية، وأبرز ما تحدّثت عنه قصص الأقدمين كعاد وثمود وفرعون الطاغية: العتاة المفسدين وما نزل بهم من العذاب والعقاب.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾:

{٩٣٠} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**ما من أيام العمل فيهنّ أحب إلى الله من هذه الأيام العشر**»، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «**ولا الجهاد في سبيل الله، إلاّ رجلٌ خرج بنفسه وماله فلم يَرجع من ذلك بشيء**».

رواه أحمد (٢/٢٢٤، ٣٣٨)، والبخاري في العيدين (٩٦٩)، وأبو داود (٢٤٣٨)، والترمذي (٦٦٩)، وابن ماجه (١٧٢٧) كلّهم في الصوم.

في الحديث بيان أن العشر المذكورة في القرآن هي عشر ذي الحجّة، وأن العمل فيها أحب إلى الله تعالى من العمل في غيرها، حتى أن العمل فيهنّ أفضل من مطلق الجهاد في سبيل الله.

{٩٣١} ـ وعن جابر رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**إن العشر عَشْرُ الأضحى والوتر يومُ عرفة، والشفع يوم النحر**».

رواه أحمد (٣/٣٢٧)، والنسائي في الكبرى (٦/٥١٤)، والحاكم (٤/٢٢٠) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.. والحديث مفسّر

للآية، ومع ذلك فقد اختلفت في ذلك أقوال المفسّرين كما يعلم من تفسيري ابن جرير وابن كثير وغيرهما.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝١٧﴾ [١٧]:

{٩٣٢} ـ فيه حديث أبي هريرة مرفوعاً: «**كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة إذا اتّقى الله تعالى**».

رواه مسلم وغيره، وفي الباب أحاديث ستأتي في البرّ والصلة إن شاء الله تعالى.

وكافل اليتيم: هو القائم بنفقته وتربيته والإحسان إليه وإكرامه.

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾ [٢٢]:

في حديث الشفاعة الطويل: «**فيجيء الله لفصل الخطاب**»، ويأتي في محله في الرقاق.

{٩٣٣} ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في حديث الصراط والرؤية: «... **فيأتيهم الله تعالى في الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربّكم، فيقولون: أنت ربنا**» الحديث.

رواه البخاري في الرقاق (١٤/٢٤٦) مطوّلاً، ويأتي إن شاء الله تعالى في الرقاق.

هذا المجيء مما يجب الإيمان به على ما أراد الله عزّ وجلّ، قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره: وجاء ربك يعني: لفصل القضاء بين خلقه، وذلك بعد ما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الإطلاق ـ سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ـ بعد ما يسألون أولي العزم من الرسل واحداً بعد واحد، فكلّهم يقول: لست بصاحب ذاكم حتى ينتهي السؤال إلى سيدنا محمد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فيقول: «**أنا لها أنا لها**»، فيذهب فيشفع عند الله تعالى في أن يذهب الناس لفصل القضاء، فيشفعه الله تعالى في ذلك، وهي أولى الشفاعات وهي المقام المحمود كما

تقدم بيانه في سورة سبحان، فيجيء الربّ تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفاً صفوفاً...

فيجب علينا أن نؤمن بهذا المجيء كما أخبر القرآن ونطقت به السنّة الصحيحة، مع اعتقادنا أن الله عزّ وجلّ ليس كمثله شيء، وما يقع في الآخرة هو من علم الغيب وفوق مستوى عقولنا.

قوله تعالى: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [٢٣]:

{٩٢٤} ـ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«يُؤتَى بجهنّم يومئذ لها سَبعُون ألف زِمام مع كلِّ زمامٍ سبعون ألف ملك يجُرُّونها»**.

رواه مسلم في كتاب الجنّة (١٧/١٧٩)، والترمذي في صفة جهنم (٢٣٩٠).

الآية والحديث متفقان في أنه يؤتى يوم القيامة بجهنم، وذلك لموقف الناس لِيُرْعِبَ الكفار بها ويزعجهم، وهذا أيضاً من علم الغيب مما لا ندري كيفيّته، فيجب الإيمان به وكفى.

قوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ [٢٤]:

{٩٢٥} ـ عن محمد بن عمرة وكان من أصحاب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: لو أنّ عبداً خرَّ على وجهه من يوم وُلِد إلى أن يموتَ في طاعة الله لحَقَره يومَ القيامة، ولودَّ أنه رُدَّ إلى الدنيا كَيْمَا يَزْدَاد من الأجر والثواب.

رواه أحمد (٤/١٨٥) بسند صحيح وهو من قبيل المرفوع لأنه لا مجال فيه للنظر.

ويتجلّى في الآية والحديث ما سيحصل للإنسان يوم القيامة وما يتمنّاه، ولكنه هيهات هيهات، وبه تمّت السورة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

سورة البلد

وهي عشرون آية، وأبرز ما فيها القسم بالبلد الأمين وبكل والد وما ولد على أن الإنسان في كبد وشدّة يقاسي المتاعب والشدائد طوال حياته، مع ذكر نِعم الله تعالى على عباده من العينين واللّسان والشفتين... وبيان العقبة الكئود التي ينبغي اقتحامها.

قوله تعالى: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾ [١٣]:

{٩٢٦} ـ عن البراء رضي الله تعالى عنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله علمني عملاً يدخلني الجنّة، قال: **«لَئِن كنت أقْصَرْتَ الخُطبة لقد أعرَضْتَ المسألة أعتق النسمة، وفُكَّ الرقبة»**، فقال: يا رسول الله أوَ ليستا بواحدة؟ قال: **«لا، إن عتق النسمة أن تفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في عتقها، والمنحة الوكوف، والفيءُ على ذي الرحم الظالم، فإن لم تُطق ذلك فأطعم الجائع، واسقِ الظمآن، وأمر بالمعروف وانَه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك فكفَّ لسانك إلا من الخير»**.

رواه أحمد (٤/٢٩٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٩)، والطيالسي (٧٣٩)، وابن حبان (٢/٩٧، ٩٨)، والحاكم (٢/٢١٧)، والبيهقي (١٠/٢٧٢، ٢٧٣)، والبغوي في شرح السنّة (٩/٣٥٤) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال النور في المجمع برواية أحمد: رجاله ثقات (٤/٢٣٤).

أقصرت الخطبة أي: جئت بها قصيرة، لقد أعرضت أي: جئت بها عريضة واسعة، والنسمة: ذات الروح والمنحة الوكوف أي: غزيرة اللبن.

وفي الحديث فضل فكّ الرقاب وعتقها، وذلك بعض اقتحام العقبة المذكورة في الآية.

وفي الحديث مع ذلك مكارم ينبغي للمسلم الاتّصاف بها، وهي من موجبات الجنّة بإذن الله تعالى وفضله، وهي منحة الماشية لشرب لبنها، والصدقة على القريب المعتدي، وإطعام الجائع، وسقي العطشان، والأمر بالخير والنهي عن الشر، فمن لم يطق ذلك فلا أقل أن يكون سلبياً لا له ولا عليه بأن يكفّ لسانه عن الآخرين إلا من خير، فالحديث من جوامع الأخلاق.

قوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [١٤ ـ ١٦]:

{٩٢٧} ـ عن سلمان بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: **«الصدقة على المسكين صدقةٌ، وعلى ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة»**.

رواه أحمد (١٧/٤، ١٨، ٢١٤)، والحميدي (٨٢٣)، والترمذي (٥٨٢)، والنسائي (٦٩/٥) كلاهما في الزكاة، ورواه الأخير في الكبرى (٢/٦، ٤٩)، وابن ماجه (٨٤٤)، وابن خزيمة (٢٣٨) وغيرهم، والحديث صحيح لشواهده.

وفي الحديث بيان فضل الصدقة على القريب، وهي من اقتحام العقبة.

وقوله: في يوم ذي مسغبة أي: ذي مجاعة. وبه تمّت السورة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة الشمس وضحاها

هي خمس عشرة آية، وأبرز ما فيها الكلام على تزكية النفس أو إيرادها موارد الهلاك.

فيه حديث أنس في قصة معاذ في صلاته العشاء، وقوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«اقرأ بسبح اسم ربك الأعلى والشمس وضحاها»** ونحوهما، رواه أحمد وغيره، ونحوه عن جابر في مسلم، وانظر كتاب الصلاة.

قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [٧ ـ ١٠]:

{٩٢٨} ـ فيه حديث زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: **«اللّهمّ آتِ نَفْسِي تقواها وزكّها أنت خير من زكّاها»**، رواه أحمد ومسلم، وتقدم في الأدعية.

زكّاها أي: طهّرها، وقوله: دسّاها أي: حقّرها بالكفر والذنوب، وأوردها الموارد...

قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾ [١٢]:

{٩٢٩} ـ عن عبدالله بن زمعة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يخطب وذكر الناقة والذي

عقرها، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل عزيز عارِم مَنيعٌ في رهطِهِ مثل أبي زَمْعَة**».

رواه أحمد (١٧/٤)، والبخاري في التفسير (٣٣٣/١٠، ٣٣٤) وفي أحاديث الأنبياء، ومسلم في الجنّة (٢٨٥٥)، والنسائي في الكبرى (٥١٥/٦).

قوله: إذ انبعث أي: انطلق أشقى القوم بسرعة ونشاط، وعاقر الناقة اسمه قُدار على وزن غراب لعنه الله وأخزاه.

وقوله: عارم أي: صعب كثير الشهامة والشر، وقوله: منيع أي: قوي ذو منعة، له رهط يمنعونه من كل ضَيْم. وبه تمّت السورة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

سورة الليل

هي إحدى وعشرون آية، وأهم ما فيا القسم ببعض الكائنات على أن الناس مختلفون في سعيهم وأعمالهم منهم المؤمن، ومنهم الكافر.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ [١ ـ ٣]:

{٩٣٠} ـ عن علقمة رحمه الله تعالى قال: قدمنا الشام، فدخلنا مسجد دمشق على أبي الدرداء، فقال: كيف يقرأ عبدالله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾ فقرأت عليه: ﴿**والَّيل إذا يغشى والنَّهار إذا تجلَّى والذَّكر والأُنثى**﴾ قال: والله لقد أقرأنيها رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من فيه إلى فيّ.

رواه البخاري في مواضع في الفضائل (٢٧٤٢، ٣٧٦١) وفي الاستئذان (٦٢٧٨)، ومسلم في الصلاة (٨٢٤)، والترمذي في القراءات (٢٧٤٥)، والنسائي في الكبرى (٥١٦/٦).

قراءة ابن مسعود وأبي الدرداء هذه ليست بمتواترة، وهي مخالفة للمصحف الإمام الذي أجمع عليه الصحابة والموجود بين أيدي المسلمين، ولعلّها من القراءات المنسوخة التي لم يبلغ نسخها ابن مسعود وأبا الدرداء رضي الله تعالى عنهما، وهذا مما لا ينبغي التشكّك فيه، وقد تقدم هذا أوّل التفسير.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [٥ ـ ٧]:

{٩٣١} ـ عن عليّ رضي الله تعالى عنه قال: كنّا في جنازة ببقيع الغَرْقَد، فأتانا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقعد وقعدنا حوله وبيده مِخْصَرة، فجعل ينكت بها الأرض، ثم قال: «**ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار، ومقعده من الجنّة**»، فقالوا: يا رسول الله أفلا نتّكل على كتابنا؟ فقال: «**اعملوا فكل ميسّر لما خُلِق له، أمّا من كان من أهل السعادة فسييسر إلى عمل السعادة، وأمّا من كان من أهل الشقاء فسييسر إلى عمل الشقاء**»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾.

رواه الطيالسي (٦١)، وأحمد رقم (١٢١، ١٦٧، ١٦٨، ١١٠)، والبخاري في القدر وفي التوحيد (٣٠٥/١٧)، ومسلم في القدر (١٩٥/١٦، ١٩٦)، وأبو داود (٤٦٩٤) في القدر، والترمذي فيه (١٩٦٨) وفي التفسير (٣٢١٦)، والنسائي في الكبرى (٥١٧/٦)، وابن ماجه (٧٨)، وفي الباب أحاديث عن أنس وعمران بن حصين في الصحيحين، وعند ابن عمر عند أحمد والترمذي، وقد تقدم بعضها في القدر.

قوله: مخصرة ـ بكسر الميم ـ كالسوط والعصا، ينكت أي: يضرب أفلا نتكل ـ أي: نعتمد على القدر وما كتب علينا وندع العمل، اعملوا: أي: لا بدّ من العمل، فإنه الذي يصدق ما كتب في الأزل، فالسعيد سيهيؤ للإيمان والعمل الصالح وييسره الله لما خلق لأجله، والشقي بعكس ذلك فمن اعتمد على ما كتب عليه وترك العمل كان ذلك علامة على شقاوته.

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ إلخ، أي: أنفق ماله ابتغاء وجه الله واتّقى ربّه فآمن وكفّ عن محارمه، وصدق بالجنّة فسنهيّئه لعمل الخير ونسهل عليه فعل الطاعات، وترك المحرمات، والعكس بالعكس، فمن بخل

بإنفاق ماله واستغنى عن ربّه وعن عبادته وكذب بالجنّة فسنهيّئه للخصلة المؤدية للعسرى، وهي طريق الشرّ المؤدي إلى النار

وبه انتهت سورة الليل، والحمد لله رب العالمين، وصلواته وسلامه على نبيّه وعلى آله وصحبه وحزبه، كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكر الغافلون.

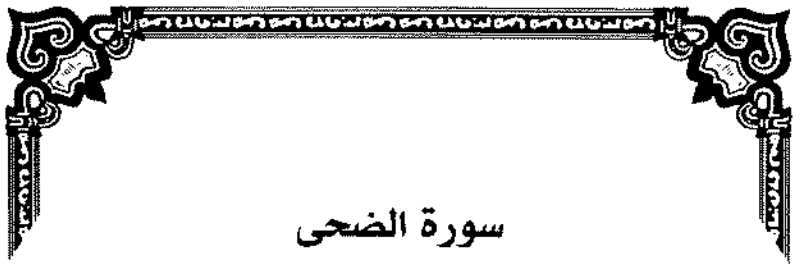

سورة الضحى

آياتها إحدى عشرة، وهي تتحدّث عن شخصية الحبيب المصطفى صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [١ ـ ٣]:

{٩٣٢} ـ عن جندب البجلي رضي الله تعالى عنه قال: اشتكى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين، وفي رواية: ليلتين أو ثلاثاً، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾.

رواه البخاري في التهجّد (١١٢٤، ١١٢٥) وفي التفسير (٣٣٩/١٠، ٣٤٠) وفي فضائل القرآن ج (٣٨٢/١٠)، ومسلم في الجهاد (١٥٦/١٢)، والترمذي (٣١٢٧)، والنسائي في الكبرى (٥١٧/٦، ٥١٨).

قوله: ما ودّعك أي: ما تركك، وما قلا أي: أبغضك، وفي الآيات ردّ على تلك المرأة وهي امرأة أبي لهب.

قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾ [٥]:

{٩٣٣} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: عُرِض على

رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ما هو مفتوح على أُمّته كُفْراً كُفْراً، فسرّ بذلك فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾، فأعطاه في الجنّة ألف قصر من لؤلؤ ترابه المسك، في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم.

رواه ابن جرير (٢٣٢/٣٠)، وابن أبي حاتم (٣٤٤٣/١٠) وزاد في الدر المنثور: عبد بن حميد والطبراني والحاكم والبيهقي وابن مردويه وأبا نعيم، وسنده صحيح.

ما ذكره ابن عباس جميعه مرفوع لأنه لا مجال فيه للرأي، وفي الحديث كالآية ما شرف الله تعالى به نبيّه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من العطايا والخصائص مما لا يلحقه فيه لاحق أبداً.

وبه تمّت الضحى، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سور الانشراح

هي ثمان آيات، وموضوعها الكلام على شخصية الرسول الكريم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وامتنانه عليه بما أولاه من نعم وخصائص.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [١]:

{٩٣٤} ـ عن أنس بن مالك بن صعصعة رضي الله تعالى عنه أن نبيّ الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلاً يقول: أحد بين الثلاثة فأُتيتُ بطَسْت من ذهب فيها ماء زمزم، فشرح صدري إلى كذا وكذا**»، قال قتادة: قلت لأنس: ما يعني؟ قال: إلى أسفل بطني، قال: «**فاستخرج قلبي فغسل قلبي بماء زمزم ثم أُعيد مكانه ثم حشي إيماناً وحكمة**».

رواه البخاري ومسلم مطوّلاً في قصة الإسراء، وقد تقدم.

وقع له صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم هذا الحادث ـ شقّ الصدر ـ مراراً أوّله كان وهو رضيع في بني سعد، وظاهر قوله: وشرح صدري إلى كذا وكذا أنه كان محسوساً وهو مما لا ينبغي الخلاف فيه، لما ثبت في الصحيح عن أنس أن أثر ذلك كان يرى ببطنه الشريف.

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [٤]:

{٩٣٥} ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أنّه قال: «**أتاني جبريل عليه السلام فقال:**

إن ربي وربك يقول لك: تَدْرِي كيف رفعتُ ذكرك؟ قال: الله أعلم، قال: إذا ذُكرتُ ذُكرتَ معي».

رواه ابن جرير (٢٣٥/٣٠)، وابن أبي حاتم (٣٤٤٥/١٠)، وأبو يعلى (٥٧٦/١) وصححه ابن حبان (١٧٥/٨)، وحسّنه نور الدين في المجمع (٣٥٤/٨)، ومعناه صحيح.

إن هذا النبيّ العظيم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم مرفوع الذكر في الدنيا والآخرة بأبي هو وأمّي، فلا يؤذن مؤذّن ولا يصلّي مصلٍ، ولا يذكر ذاكر إلا ذكر النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وكيف لا وذكره مقرون بالله في عدة سور من القرآن الكريم.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [٥ ـ ٦]:

{٩٣٦} ـ عن الحسن رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ إلخ، قال: خرج النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم مسروراً فرحاً وهو يضحك، وهو يقول: «**لن يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ، لن يغلب عسرٌ يسرين، إن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً**».

رواه عبدالرزاق (٣٨٠/٢)، وابن جرير (٢٣٦/٣٠)، وابن أبي حاتم (٣٤٤٦/١٠) ثلاثتهم في التفسير، والحاكم (٥٢٨/٢) وهو مرسل صحيح ونحوه عن قتادة أيضاً مرفوعاً رواه ابن جرير (٢٣٦/٣٠) بسند صحيح أيضاً، وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: ذكر لنا أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بشّر أصحابه الآية: «**لن يغلب عسر يسرين**» عزاه الحافظ في الفتح لعبد بن حميد، وقال: سنده جيّد، وذكره البخاري ترجمة في التفسير (٣٤١/١٠) فقال: ولن يغلب عسر يسرين. وقال الحاكم (٥٢٨/٢): صحّ ذلك عن عمر وعليّ رضي الله تعالى عنهما.

وبالجملة فالحديث ثابت بما أوردنا.

وفي الآية مع الحديث بشارة للمكروبين بحصول الفرج بعد الشدّة،

وقد كتب الناس في الفرج بعد الشدة واليسر بعد العسر.

ومعنى قوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**لن يغلب عسر يسرين**» أن العرب جرت عادتها في كلامها أن المعرفة إذا تكرّرت كانت الثانية هي الأُولى، فالعسر الثاني في الآية هو الأول فهو عسر واحد، بينما النكرة إذا تكرّرت كانت الثانية غير الأُولى، وعليه فاليسر الثاني غير الأول، فيكون يسران في مقابلة عسر واحد.

وهذا من دقيق فهم النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وعظيم استنباطه.

وبه تمّت الانشراح، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة التين والزيتون

هي كسابقتها ثمان آيات، وأبرز ما فيها بيان أن الإنسان خُلق في أحسن تقويم.

{٩٣٧} ـ عن البراء رضي الله تعالى عنه قال: صلّيت مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم العشاء فقرأ بالتين والزيتون.

رواه البخاري (٧٦٧/٧٦٩)، ومسلم (٤٦٤) وغيرهما في الصلاة، ورواه البخاري في التفسير أيضاً (٣٤٢/١٠)، وقد تقدم في الصلاة والحمد لله.

{٩٣٨} ـ وتقدم حديث أبي هريرة: «**من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى إلى أخرها: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾، فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين**»، رواه أحمد والترمذي وأبو داود وغيرهم، وقد قدمنا في سورة القيامة أنه حديث حسن، يصح العمل به.

والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وحزبه.

سورة العلق

هي تسع عشرة آية، وهي تتحدّث عن أعظم نعمة، وأشمل رحمة، وأعمّ خير حظيت به هذه الأُمّة تبعاً لنبيّها العظيم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ألا وهو الوحي الإلٰهيّ ونزول القرآن الكريم، وأوّل خطاب من الحضرة الإلٰهيّة إلى الحضرة النبوية: ﴿اَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾.

قوله تعالى: ﴿اَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [١ ـ ٥]:

{٩٣٩} ـ عن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت: أوّل ما بدىء به رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء، وكا يخلو بغار جِراء، فيتحنث فيه وهو التعبّد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها، حتى جاءهُ الحق وهو في غار جِراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: «**ما أنا بقارىء**»، قال: «**فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني**»، فقال: اقرأ، قلت: «**ما أنا بقارىء**»، قال: «**فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني**»، فقال: اقرأ، فقلت: «**ما أنا بقارىء، فأخذني فغطّني الثالثة ثم أرسلني**»، فقال: ﴿اَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣﴾، فرجع بها رسول الله صلّى الله

تعالى عليه وآله وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها، فقال: «**زمّلوني، زمّلوني**» حتى ذهب عنه الرَّوْع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «**لقد خشيت على نفسي**»، فقالت خديجة: كلاّ والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتُعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى ابنْ عمّ خديجة، وكان امرأً تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عمّ اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أوَ مخرجي هم**»؟ قال: نعم، لم يأتِ رجل قطّ بمثل ما جئت به إلا عُودي، وإن يُدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي.

رواه أحمد (٦/٢٣٢، ٢٣٣)، والبخاري في بدء الوحي (١/٢٥، ٣٠) وفي التفسير (١٠/٣٤٤، ٣٥٠) وفي التعبير وفي الأنبياء، ومسلم في الإيمان (٢/١٩٧، ٢٠٥) وغيرهم.

قولها: الرؤيا الصالحة، في رواية: الصادقة، وقولها: كفلق الصبح أي: يظهر صدقها في اليقظة كضياء الصبح، وقوله: ما أنا بقارىء أي: لا أحسن القراءة، فلما قال ذلك ثلاثاً قال له في الأخير: ﴿اَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ إلخ، وقيل: هي استفهامية أي: ماذا أقرأ أو كيف أقرأ والله أعلم، وقوله: فغطني أي: ضمّني وعصرني، وقوله: الجهد ـ بضم الجيم وفتحها ـ: وهو المشقّة والغاية، وقولها: يرجف أي: يرتعد ويضطرب، وقوله: الروع ـ بفتح الراء ـ الفزع، وقولها: لا يخزيك الله أي: لا يهينك ولا يفضحك، والكل ـ بفتح الكاف ـ ومعناه: تنفق على الضعيف واليتيم والعيال، وقولها: وتكسب المعدوم أي: تكسب غيرك المال المعدوم

وتعطيه إياه، وقوله: جذعاً ـ بفتحتين ـ أي: شاباً قوياً، وقوله: نصراً مؤزراً أي: قوياً بالغاً.

وفي هذا الحديث الشريف فوائد كثيرة هامّة، فهو يدلّ على أن أوّل ما بدىء به من الوحي الرؤيا، ومكث على ذلك ستّة أشهر على الصحيح، وفيه أن أوّل ما نزل من القرآن: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ وهو قول الجمهور، وفيه فضل مولاتنا خديجة رضي الله تعالى عنها وقوّة يقينها وتأييدها للنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، ويؤخذ منه أنها أوّل من آمن إطلاقاً، وفيه أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان متّصفاً بالأخلاق الكريمة قبل النبوة، وقد عرفت ذلك خديجة منه، فلذلك طمأنته بقولها ما قالت...، وفيه الفزع إلى أهل العلم عند نزول المدلهمات، وفيه فضل ورقة بن نوفل وأنه آمن بالنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وتمنّى نصره عندما يدعو قومه ويخرجونه من بلدته، وقد جاء في رؤيا له صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ما يدلّ على أنه من أهل الجنّة، وفي الحديث غير ذلك من الفوائد.

﴿ قوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾ [١٧ ـ ١٩]:

{٩٤٠} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يصلّي فجاءه أبو جهل فقال: ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟ فانصرف النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فزبره، فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾، قال ابن عباس: والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله.

رواه أحمد (٢٥٦/١، ٣٢٩، ٣٦٨)، والترمذي في التفسير (٣١٣١)، والنسائي في الكبرى (٥١٨/٦) بسند صحيح على شرط مسلم.

{٩٤١} ـ وعنه في رواية، قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً

يصلي لأطأنّ على عنقه، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«لو فعل لأخذته الملائكة عياناً»**.

رواه عبدالرزاق في التفسير (٣٨٤/٢)، وأحمد (٣٤٨٣)، والبخاري (٣٥٣/١٠، ٣٥٤)، والترمذي (٣١٣٠)، والنسائي (٥١٨/٦)، وابن جرير (٢٥٦/٣٠، ٢٥٧) كلّهم في التفسير.

{٩٤٢} ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال أبو جهل: هل يُعَفِّر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم، قال: فقال: واللات والعزّى لَئِن رأيته يصلّي كذلك لأطأنّ على رقبته ولأعفرنّ وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو يصلّي ليطأ على رقبته، قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتّقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ قال: فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهولاً وأجنحة، قال: فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً»**، قال: وأنزل الله ـ لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا ـ ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣﴾ ـ يعني: أبا جهل ـ ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧﴾ ـ يدعو قومه ـ ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾ ـ الملائكة ـ ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾.

رواه مسلم في صفة المنافقين (١٣٩/١٨، ١٤٠)، والنسائي في الكبرى (٥١٨/٦)، وابن جرير (٢٥٦/٣٠)، وابن أبي حاتم (٣٤٥٠/١٠) من طريقه.

قوله: فزبره أي: نهره وأغلظ عليه، والزبانية: هم ملائكة النار المكلّفون بها وبأهلها، وقوله: لأعفرنّ أي: لألصقنّ وجهه بالتراب وأمرغه، وقوله: ينكص أي: يرجع إلى الوراء... وفي هذه الأحاديث حماية الله عزّ وجلّ نبيّه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وحفظه من أعدائه، وأنه لو شاء

لبعث عليهم بعض ملائكته الشداد الغلاظ العظام فأخذوهم بدون كبير تعب منهم، ولكنه تعالى كان يسلك به كغيره من الأنبياء والمقرّبين سبيل سنّته في خلقه وهو طريق الأسباب.

وبه تمّ الكلام على سورة العلق، والحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة القدر

هي خمس آيات، وتمتاز بالكلام على بيان الليلة المباركة ليلة القدر التي ذكرت مبهمة في سورة الدخان.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [١]:

{٩٤٣} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ قال: نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر وكان الله عزّ وجلّ ينزل على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بعضه في إثر بعض، قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾. وفي رواية: أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا.

رواه النسائي في الكبرى (٥١٩/٦)، وابن جرير (٢٥٩/٣٠)، وابن أبي حاتم (٣٤٥٢/١٠)، والحاكم (٢٢٢/٢، ٥٣٠) وصححه ووافقه الذهبي، وعزاه النور في المجمع (١٤٠/٧) لكبير الطبراني (٢٣٨٢)، والبزار (٢٢٩٠) وقال: رجال البزار رجال الصحيح.

الحديث يبين أن نزول القرآن في رمضان، ومعناه: نزوله من اللوح المحفوظ جملة واحدة إلى السماء الدنيا، ثم جعل ينزله الله منجماً حسب الأسباب حتى تمّ في ثلاث وعشرين سنة، وهذا معلوم لا شكّ فيه، وقد تقدم شيء من هذا في سورة البقرة، وفي سورة الفرقان، وفي أول هذا التفسير.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾:

{٩٤٤} ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: سُئِل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عن ليلة القدر، فقال: «**تَحَرَّوْها في السبع الأواخر من شهر رمضان**».

رواه البخاري (٢٠١٥)، ومسلم (٨/٥٨، ٥٩) كلاهما في الصيام.

فضل ليلة القدر والكلام على وقتها يطول، وقد تقدم الكلام على فضلها وما جاء فيها آخر الصيام فارجع إليه. وبهذا تمّت السورة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة البيّنة

هي أول سورة مدنية تتخلّل خمساً وأربعين سورة مكية كما تقدم أول (تبارك) الملك، وهي ثمان آيات، وامتازت بذكر خير البرية وشرها.

{٩٤٥} ـ فيها حديث أنس مرفوعاً إلى النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال لأُبيّ بن كعب: «**إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾**»، رواه الشيخان، وتقدم، ويأتي أيضاً في الفضائل.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [٦]:

{٩٤٦} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: يا خير البرية، قال: «**ذاك إبراهيم**».

رواه مسلم في الفضائل (١٥/١٢١)، وأبو داود (٤٦٧٢)، والترمذي (٣١٣٤)، والنسائي في الكبرى (٦/٥٢٠).

قوله: خير البرية أي: أفضل المخلوقات، وما قاله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم هو من تواضعه مع جدّه إبراهيم عليه السلام، والآية تدلّ على أن المؤمنين الصالحين خير المخلوقات الكافرة والمنحرفة، وبه تمّت السورة، والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

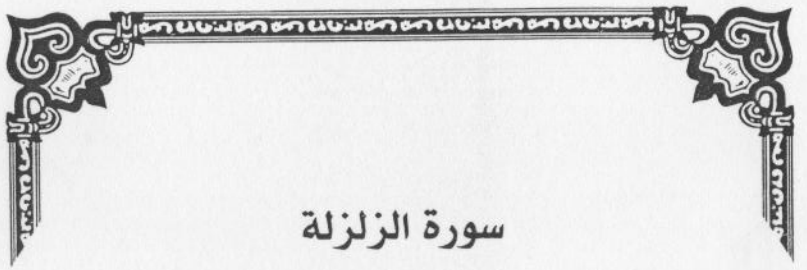

سورة الزلزلة

هذه السورة من المدنيات، وهي ثمان آيات، وموضوعها يخالف موضوعات السور المدنية، إذ هي تتحدّث عن القيامة وأهوالها وإخراج ما في بطن الأرض من الأموات والكنوز... وتحدث الأرض بما وقع عليها ثم انصراف الناس وصدورهم فرقاً فرقاً ليروا أعمالهم، وامتازت بتلك الآية الفاذة الجامعة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾:

{٩٤٧} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قرأ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾، قال: **«أتدرون ما أخبارها»؟** قال: قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **«فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها تقول: عمل يوم كذا كذا وكذا فهذه أخبارها»**.

رواه أحمد (٢/٢٧٤)، والترمذي (٢٢٤٩، ٣١٣٥)، والنسائي في الكبرى (٦/٥٢٠)، وابن حبان (٢٥٨٦) بالموارد، والحاكم (٢/٢٥١، ٥٣٢)، وحسّنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وللحديث شاهد عند الطبراني. انظر المجمع (٧/٢٤١) وبه صححه الترمذي. في الحديث بيان أخبار الأرض يوم القيامة، وأنها ستشهد على كل من عمل فوقها شيئاً من الأعمال...

قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [٧ ـ ٨]:

{٩٤٨} ـ عن صَعْصَعَة عم الفرزدق قال: قدمت على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فسمعته يقول: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾ الآية، قال: حَسْبِي لا أبالي أن لا أسمع غيرها.

رواه أحمد (٥/٥٩)، والنسائي في الكبرى (٦/٥٢٠، ٥٢١)، والحاكم (٣/٦١٣)، والطبراني في الكبير (٧٤١١)، قال النور في المجمع (٧/١٤١)، مرسلاً ومتّصلاً ورجال الجميع رجال الصحيح، وكذا صححه البوصيري في الإتحاف (٨/٤٤٥).

المثقال: هو الوزن والذرة: أقلّ شيء، والآية الكريمة كافية لمن اعتبر كهذا الرجل الذي لم يتطلع إلى غيرها لما علم منها أن العبرة بالخير والشر، فمن أكثر من الخير كان سعيداً، ومن ازداد من الشر كان خاسراً، والله تعالى حكم عدل لا يظلم أحداً.

{٩٤٩} ـ وتقدم حديث أبي هريرة أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم سُئِل عن الحُمُر فيها زكاة؟ فقال: **«ما جاءني فيها شيء إلا هذه الآية الفاذة:** ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾**»**.

رواه البخاري ومسلم، وانظر ما سبق في الزكاة.

الفاذّة: هي قليلة النظير، وبه تمّت السورة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

سورة التكاثر

هي ثمان آيات كسابقتيها، وامتازت بالتهديد الشديد والزجر الأكيد للإنسان بأنه سيعلم ما أنذر به علم اليقين، وسيرى الجحيم ويشاهدها عين اليقين...

قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [١]:

{٩٥٠} ـ عن أُبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: كنّا نرى هذا من القرآن، حتى نزلت: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾، يعني: لو كان لابن آدمَ وادٍ من ذهب أحبَّ أن يكون له واديان، ولن يَملأ فاهُ إلا الترابُ ويتوبُ الله على من تاب.

رواه البخاري في الرقاق (١٤/٣٢، ٣٣)، ويأتي مع أحاديث أخرى إن شاء الله تعالى. وفي الآية والحديث بيان ما جبل عليه ابن آدم من حبّ المال وتفاخره بالكثرة حتى الموت.

{٩٥١} ـ وعن عبدالله بن الشِّخّير رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ قال: **«يقول ابن آدم: مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت، وما سوى ذلك فذاهبٌ وتاركه للناس»**.

رواه أحمد (٤/٢٤، ٢٦)، ومسلم (٢٩٥٨)، والترمذي (٢١٦١)

كلاهما في الزهد، ورواه أيضاً في التفسير (٣١٣٦)، والنسائي في الكبرى (٦/٥٢١).

الحديث يفيد أن مال الإنسان الذي يجول ويصول به في حياته ليس له منه إلا ما قدمه بين يديه من صدقة ومعروف وما عدا ذلك فسيتركه وراءه ليقتسمه ورثته.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾:

{٩٥٢} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في حديث: **«هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تُسألون عنه يوم القيامة: الظلّ البارد والرطب الطيب عليه الماء البارد»**.

رواه مسلم (٢٠٣٨) مطوّلاً، وأبو داود في الأدب (٥١٢٨)، والترمذي في الاستئذان وفي الزهد (٢١٨٨)، والنسائي في الكبرى (٦/٥٢١)، وابن ماجه (٣٧٤٥)، ويأتي في الرقاق والزهد.

{٩٥٣} ـ وعنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«إن أول ما يُسأل عنه يوم القيامة** ـ يعني: العبد ـ **من النعيم أن يقال: ألم نُصِحّ لك جِسمَك، ونُرْوِك من الماء البارد»**.

رواه الترمذي في التفسير (٣١٤٠)، وابن حبان (٢٥٨٥) بالموارد، والحاكم (٤/١٣٨) بسند صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

في الآية والحديثين بيان أن الإنسان سيُسأل يوم القيامة عن كل ما يتمتّع به من نعيم في هذه الحياة بداية من الظلّ والماء البارد والتمر الطيّب وصحة الجسم فضلاً عمّا هنالك من نِعَم سوابغ ظاهرة وباطنة، يتنعّم ويتمتّع بها الإنسان طوال حياته. وبه تمت التكاثر، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة الفيل

هي خمس آيات، وامتازت بقصة أصحاب الفيل الذين أهلكهم الله حماية لبيته.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾:

{٩٥٤} ـ تقدم حديث: «**إن الله تعالى حبس عن مكة الفيل وسلّط عليها رسوله والمؤمنين**» إلخ، وهو في الصحيحين. ومعنى ذلك أن الله منع الفيل عن استباحة الحرم الشريف وأباح ذلك لنبيّه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ساعة من نهار يقاتل فيها من قاتله...

وسيأتي حديث: «**ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل**»، وهو في البخاري مطوّلاً في حديث صلح الحديبية، ويأتي في المغازي. وقوله: حبسها حابس الفيل أي: حبسها الله عزّ وجلّ عن دخول مكّة كما حبس الفيل... والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة الماعون

هي سبع آيات، وامتازت بذكر الويل للساهين عن الصلاة والمرائين بأعمالهم والمانعين الماعون.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ [٦]:

{٩٥٥} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**من سَمَّع سمع الله به، ومن راءى راءى الله به**».

رواه مسلم في الزهد (٢٩٨٦) وغيره، وهو في البخاري عن جندب، وفي الباب غير ذلك.

سمّع ـ بتشديد الميم ـ: أي: ذكر أعماله الصالحة ليسمعه الناس ويثنوا عليه، وقوله: راءى أي: عمل عملاً أراه للناس ليحترموه ويعتقدوا فضله. وهذا كلّه شرك في العمل إذا كان قصده ذلك، فإن كانت نيّته الاقتداء به أو التحدّث بنعمة الله عليه فليس بمذموم.

قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾:

{٩٥٦} ـ عن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: كل معروف صدقة، كنا نعدّ الماعون على عهد رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عارية الدلو، والقدر، وفي رواية: والفاس، والميزان، وما تتعاطون بينكم.

رواه أبو داود (١٦٥٧)، والنسائي في الكبرى (٥٢٢/٦)، وابن جرير

(٣١٧/٣٠)، وابن أبي حاتم (٣٤٦٩/١٠)، والطبراني في الكبير (٩٠١٣)، والأوسط (١٤٩٥)، والبزار (٢٢٩٢)، والبيهقي (١٨٣/٤) وسنده حسن وهو صحيح لطرقه وشواهده، بل قال النور في المجمع (١٤٣/٧): رجال الطبراني رجال الصحيح.

في هذا الحديث بيان الماعون الذي يعاقب مانعه وهو ما ذكر من القدر والفاس ونحو ذلك كالإبرة والملح... والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وحزبه.

سورة الكوثر

هي ثلاث آيات، وهي أقصر سورة في القرآن الكريم، وامتازت بذكر كوثر نبيّنا صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم الذي أعطاه الله إيّاه في الجنّة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾:

{٩٥٧} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: بينا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بين أظهرنا في المسجد إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «**لقد أنزلت عليّ آنفاً سورة فقرأ: بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾**».

قال: «**أتدرون ما الكوثر؟**» فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنه نهر وعدنيه ربّي عزّ وجلّ، عليه خير كثير ترد عليه أُمّتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم فيُخْتَلَجُ العبدُ منهم، فأقول ربّ: إنه من أُمّتي، فيقول: ما تدري ما أحدثوا بعدك**».

رواه أحمد (١٠٢/٣، ١٦٤، ٢٣٦)، ومسلم (١١٢/٤)، وأبو داود (٧٨٤) كلاهما في الصلاة، والنسائي في الكبرى (٥٢٣/٦)، وتأتي أحاديث الكوثر والحوض في الرقاق إن شاء الله تعالى.

قوله: أغفى أي: نام، وقوله: فيختلج أي: ينتزع ويقتطع. الكوثر: هو نهر في الجنّة وهو أصلٌ لِلْحَوض الذي هو قبل الصراط وهو الذي

سيختلج العباد دونه، وجاءت الأحاديث متّحدة في الكوثر والحوض، وسيأتي بيان ذلك في الرقاق بحول الله عزّ وجلّ وإذنه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾:

{٩٥٨} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة، قالت له قريش: أنت خير أهل المدينة وسيّدهم، قال: نعم، قالوا: ألا ترى إلى هذا المنتبر من قومه زعم أنه خير منّا ونحن! يعني: أهل الحجيج، وأهل السدانة، قال: أنتم خير منه، فنزلت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾.

رواه النسائي في الكبرى (٥٢٤/٦)، وابن جرير (٣٣٥/٣٠)، والبزار (٢٢٩٣)، وابن حبان (١٧٣١) بالموارد، والطبراني في الكبير (١٦٤٥) وسنده صحيح.

الشانىء: هو المبغض، والأبتر: هو الذي إذا مات انقطع نسله وذكره. وكان المشركون يلمزون النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بذلك، لكونه لم يكن له ذكر، فدافع الله عنه وأخبره بأن شانئه ومبغضه هو الأبتر الأذلّ الأخزى الأقل، أما هو صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقد أعلى الله ذكره على رغم أنوفهم وأعزّه وأظهر دينه وأوجب شرعه على جميع العباد عبر الأجيال، وآمن به واتّبعه ملايين من الإنس والجنّ، ولا يزال الناس يدخلون في دينه من سائر الأديان في كل عصر من العصور، وكل ذلك يعتبر عزّاً له وتشريفاً، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه إلى الأبد.

سورة الكافرون

هي ستّ آيات، وامتازت بالبراءة من الكفر والشرك وقطع أطماع الكافرين فيما طلبوه من النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم والمسلمين في التسامح بينهم وتبادل العبادة بين الله وبين الأصنام...

وتقدمت مواضع كان النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقرأ هذه السورة فيها، كصلاة الفجر، وصلاة ما بين العشائين، وصلاة الطواف.

{٩٥٩} ـ وعن قرة بن نوفل عن أبيه رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**ما جاء بك؟**» قلت: جئت يا رسول الله لِتُعَلِّمَنِي شيئاً أقوله عند منامي، قال: «**إذا أخذتَ مَضْجَعك فاقرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾، ثم نم على خاتمتها فإنها براءة من الشرك**».

رواه أبو داود في الأدب (٥٠٥٥)، والترمذي في الدعوات (٣١٨٣)، والنسائي في الكبرى (٥٢٤/٦)، وابن حبان (٢٣٦٣، ٢٣٦٤) بالموارد، والحاكم (٥٦٥/١) وصححه ووافقه الذهبي.

فيه أن قراءة هذه السورة عند النوم تبرىء صاحبها من الشرك...

والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

سورة النصر

هي مدنية، وهي الثالثة تتخلل نيفاً وأربعين سورة مكّية وآياتها ثلاث كالكوثر، لكن هذه أطول من تلك بكلماتها وهي تتحدّث عن مجيء نصر الله للإسلام وأهله وفتح مكّة المكرمة ودخول الناس في دين الله أفواجاً، وإعلام نبيّ الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بدنوّ أجله.

{٩٦٠} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان عمر رضي الله تعالى عنه يسألني مع أصحاب النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال له عبدالرحمٰن بن عوف رضي الله تعالى عنه: أتسأله ولنا بنون مثله، قال: فقال له عمر: إنه من حيث يعلم فسأله عن هذه الآية: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ إلخ، فقلت: إنما هو أجل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أعلمه إيّاه، وقرأ السورة إلى آخرها، فقال له عمر: والله ما أعلم منها إلا ما تعلم.

رواه البخاري في التفسير (١٠/٣٦٥، ٣٦٧) وفي مواضع، والترمذي (٣١٤٣)، والنسائي في الكبرى (٦/٥٢٥)، ويأتي في الفضائل مطوّلاً إن شاء الله تعالى.

فيه بيان ما امتاز به ابن عباس من التفسير، ولذلك كان سيدنا عمر يقدمه، وفيه أن السورة كانت نعياً لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وقُرب أجله.

{٩٦١} ـ وعنه أنه قال لعبيدالله بن عتبة: يا ابن عتبة أتعلم آخر سورة

من القرآن نزلت؟ قلت: نعم، ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾، قال: صدقت.

رواه مسلم آخر الكتاب (١٨/١٦٠، ١٦١)، والنسائي في الكبرى (٦/٥٢٥).

هذا بالنسبة للسور القصار وقد قيل إن آخر سورة نزلت المائدة أو التوبة، أما آخر ما نزل إطلاقاً فقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه إلى الأبد.

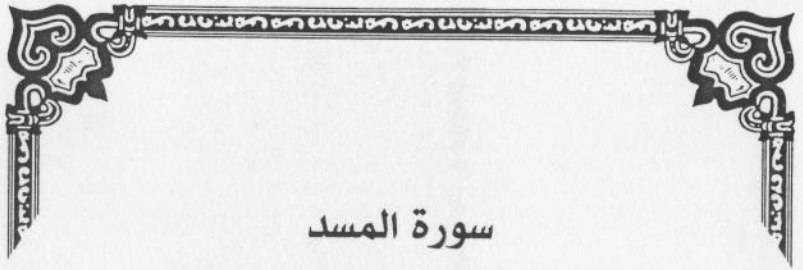

سورة المسد

هي خمس آيات، وحديثها يدور بالخصوص حول ذلك الخائن الخاسر الشقي أبي لهب وزوجته القذرة أم جميل، وقد سجل الله تعالى عليهما الخيبة والتباب في قرآن يتلى مدى الدهر.

قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾:

{٩٦٢} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: صعِد رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ذات يوم على الصفا فنادى: **«يا صَباحَاه»**، فاجتمعتْ إليه قريش، فقال أبو لهب: أَلِهَذا جمعتنا تَبّاً لك؟ فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾.

رواه البخاري في التفسير (٣٦٨/١٠)، ومسلم في الإيمان (٢٠٨)، والترمذي (٣١٤٤)، والنسائي في الكبرى (٥٢٦/٦)، وقد تقدم مطوّلاً في سورة الشعراء عند آية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾.

قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ أي: خسرت، والتباب: الهلاك والخسران وعبّر تعالى باليدين عن الذات وهو شائع في الأساليب العربية، وقوله: ذات لهب أي: صاحبة اشتعال وتلهّب، والجيد: العنق، والمسد: الليف.

{٩٦٣} ـ وعن ربيعة بن عباد الديلمي قال: رأيت النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في الجاهلية في سوق ذي المجاز، وهو يقول: **«يا أيها**

الناس قولوا: لا إلـه إلاّ الله تُفْلِحُوا»، ويدخل في فجاجها والناس متقصفون عليه، فما رأيت أحداً يقول شيئاً وهو لا يسكت يقول: **«أيها الناس قولوا: لا إلـه إلاّ الله تفلحوا»** إلا أن وراءه رجلاً أحول وضيء الوجه ذا غديرتين يقول: إنه صابىء كاذب، فقلت: من هذا؟ قال: محمد بن عبدالله وهو يذكر النبوّة، قلت: من هذا الذي يكذّبه؟ قالوا: عمّه أبو لهب.

رواه أحمد وابنه عبدالله (٤٩٢/٣، ٤٩٣) من طرق و(٣٤١/٤)، والطبراني في الكبير (٦١/٥)، وأورده الهيثمي (٢٢/٦) وقال: بأسانيد، وأحد أسانيد عبدالله بن أحمد ثقات الرجال... وله شاهد عن طارق بن عبدالله وعن رجل من بني مالك بن كنانة، وعن منيب الأزدي، وعن مدرك أوردها كلّها الهيثمي في المجمع (٢١/٦، ٢٢)، وفيها ما رجالها رجال الصحيح أو رجالها ثقات غير أن في بعضها بدل أبي لهب أبو جهل.

وفي هذا الحديث بيان ما كان عليه نبيّنا صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من تحمّل المشاق والشدائد في تبليغ رسالة ربّه مع تغرّبه وهو صابر صامد لا يتضجّر ولا يتأخر حتى أظهره الله تعالى ونصره، وفيه ما كان عليه ذلك الخاسر الخائب أبو لهب من خذلانه ابن أخيه الكريم، وما كان يعامله به من سفاهة وخبث...

والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

سورة الإخلاص

هي أربع آيات، وتتحدّث عن التوحيد وصفات الأُلوهية إثباتاً ونفياً، فأثبتت لله عزّ وجلّ الوحدانية والصمدية، ونفت عنه الولادة والولد والكفؤ والمماثل، وفي ذلك ردّ على المشركين القائلين بالذرية والبنين له، وعلى النصارى القائلين بالتثليث، وبذلك كانت جامعة لتوحيد الله عزّ وجلّ؛ لأن التوحيد مركب من الإثبات والنفي: إثبات ذات لا تشبه الذوات غير معطلة عن الصفات، منزّهة عن الشَّبَه والمماثلة للمحدثات، ولذلك كانت تعدل ثلث القرآن.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾:

{٩٦٤} ـ عن أُبي بن كعب رضي الله تعالى عنه أن المشركين قالوا لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: انسب لنا ربك، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾.

والصمد: الذي لم يلد ولم يولد، لأنه ليس بشيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وأن الله تعالى لا يموت ولا يورث، ولم يكن له كفواً أحد، قال: لم يكن له شبيه ولا عدل ولا كمثله شيء.

رواه الترمذي في التفسير (٣١٤٥)، وابن جرير (٣٤٢/٣٠)، وابن أبي حاتم (٣٤٧٤/١٠)، والحاكم (٥٤٠/٢) وصححه ووافقه الذهبي، وللحديث طرق يحسن أو يصحح بها.

في الحديث بيان سبب نزول هذه السورة العظيمة، وأحاديث فضائلها تقدّمت في فضائل القرآن، وحديث بريدة في كونها فيها الاسم الأعظم تقدّم في الدعوات، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه إلى الأبد.

سورة الفلق

هي خمس آيات، وأهدافها طلب التحصّن برب الفلق من الشرور العارضة من المخلوقات، ومن شرّ الليل إذا أظلم، ومن شرّ الساحرات والحاسدين.

قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾﴾:

{٩٦٥} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أخذ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بيدي، وإذا القمر حين يطلع فقال: **«يا عائشة، اسْتَعِيذِي بالله مِن شرّ هذا، فإن هذا هو الغاسق إذا وَقَب»**.

رواه أحمد (٦/٦١، ٢٣٧، ٥٠٦، ٦١٥)، والترمذي في التفسير (٣١٤٦)، والنسائي والحاكم (٢/٥٤٠، ٥٤١)، وحسّنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم والذهبي، وحسّنه الحافظ.

ظاهر الحديث أن الغاسق هو القمر إذا طلع، ويقال أيضاً للّيل إذا أظلم، والأمر متقارب، وقوله: وَقَب أي: دخل بظلامه.

المعوذات

تقدّمت أحاديث مشتركة في فضل المعوّذات: الإخلاص والفلق والناس في فضائل القرآن، وسيأتي لها مزيد في الطبّ إن شاء الله تعالى.

وبه تم التفسير، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا وحبيبنا ومرشدنا أبي القاسم مولانا محمد النبيّ الأمين وعلى آله وذرّيته الطيبين الطاهرين، ورضي الله تعالى عن صحابته البررة الأكرمين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون، وكان الفراغ منه صبيحة يوم الثلاثاء خامس محرم الحرام مفتتح عام ثلاثة وعشرين وأربعمائة وألف.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الفهرس
سورة الحجر	٣٤٧
سورة النحل	٣٥٤
سورة الإسراء	٣٦١
سورة الكهف	٣٧٥
سورة مريم	٣٨٤
سورة طه	٣٩١
سورة الأنبياء	٣٩٥
سورة الحج	٤٠١
سورة المؤمنون	٤١٠
سورة النور	٤١٦
سورة الفرقان	٤٣١
سورة الشعراء	٤٣٤
سورة النمل	٤٣٨
سورة القصص	٤٤٠
سورة العنكبوت	٤٤٣
سورة الروم	٤٤٥
سورة لقمان	٤٤٩
سورة السجدة	٤٥٢
سورة الأحزاب	٤٥٥

الموضوع	الصفحة
سورة سبأ	٤٧٠
سورة فاطر	٤٧٤
سورة يٰس	٤٧٧
سورة الصافات	٤٨١
سورة صٓ	٤٨٤
سورة الزمر	٤٩٠
سورة غافر	٤٩٥
سورة حم السجدة (فصلت)	٤٩٨
سورة الشورى	٥٠١
سورة الزخرف	٥٠٦
سورة الدخان	٥٠٩
سورة الجاثية	٥١٢
سورة الأحقاف	٥١٣
سورة محمد (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم)	٥١٨
سورة الفتح	٥٢٤
سورة الحجرات	٥٢٨
سورة قٓ	٥٣٦
سورة الذاريات	٥٣٨
سورة الطور	٥٤٠
سورة النجم	٥٤٣
سورة القمر	٥٥١
سورة الرحمٰن	٥٥٣
سورة الواقعة	٥٥٩
سورة الحديد	٥٦٩
سورة المجادلة	٥٧٤
سورة الحشر	٥٧٩
سورة الممتحنة	٥٨٧

الموضوع	الصفحة
سورة الصف	٥٩٢
سورة الجمعة	٥٩٦
سورة المنافقون	٥٩٩
سورة التغابن	٦٠١
سورة الطلاق	٦٠٣
سورة التحريم	٦٠٧
سورة تبارك، الملك	٦١٢
سورة ن والقلم	٦١٣
سورة الحاقة	٦١٦
سورة سأل سائل (المعارج)	٦١٩
سورة الجنّ	٦٢٢
سورة المزّمّل	٦٢٥
سورة المدثر	٦٢٧
سورة القيامة	٦٢٨
سورة الإنسان	٦٣١
سورة والمرسلات	٦٣٣
سورة النبإ	٦٣٤
سورة النازعات	٦٣٥
سورة عبس	٦٣٨
سورة التكوير	٦٤٠
سورة الانفطار	٦٤٢
سورة المطفّفين	٦٤٤
سورة الانشقاق	٦٤٧
سورة البروج	٦٥٠
سورة الأعلى	٦٥٣
سورة الفجر	٦٥٤
سورة البلد	٦٥٧

الموضوع	الصفحة

سورة الشمس وضحاها ٦٥٩
سورة الليل ٦٦١
سورة الضحى ٦٦٤
سور الانشراح (الشرح) ٦٦٦
سورة التين والزيتون ٦٦٩
سورة العلق ٦٧٠
سورة القدر ٦٧٥
سورة البيّنة ٦٧٧
سورة الزلزلة ٦٧٨
سورة التكاثر ٦٨٠
سورة الفيل ٦٨٢
سورة الماعون ٦٨٣
سورة الكوثر ٦٨٥
سورة الكافرون ٦٨٧
سورة النصر ٦٨٨
سورة المسد ٦٩٠
سورة الإخلاص ٦٩٢
سورة الفلق ٦٩٤
المعوذات ٦٩٥
فهرس الموضوعات ٦٩٧